



مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها

دور المهرة في ثورة ظفار
(١٣٨٣-١٤٠٢هـ / ١٩٦٣-١٩٨٢م)
د. سماح سعيد علي يسلم العزاني

دور المسجد النبوي في ترسيخ الدعوة الإصلاحية لدى علماء
جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في بداية القرن العشرين
أ.د. تواتية بودالية

نقوش قتبانية إهدائية جديدة
أ.د. جمال محمد ناصر الحسني

السوق القديم بمدينة ذمار اليمنية "دراسة حضارية أثرية"
د. مبروك محمد الذماري / أ. طارق أحمد المحنش

المراجعات:

- كتاب: "دفاعاً عن التاريخ"، ريتشارد جي. إيفانز، ترجمة د. محمد بن عبد الله الفريح. أ.د. عبد الرحمن بن عبد الله الأحمري
- كتاب: "التاريخ المُقنَّع، نقد أطروحات التوراتيين العرب"، عارف أحمد إسماعيل المخلفي. أ.د. أحمد السري
- كتاب: "اللوائح المنظمة لتجار صُرّوآح ومحاجر الألباستر في المَحْدَرَة (اليمن)"، نوربرت نيبس. أ.د. عميدة شعلان



مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها

دورية علمية محكمة

تصدر عن

مركز الملك سلمان لدراسات تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها

جامعة الملك سعود

المجلد الثالث – العدد (٢)

شوال، ١٤٤٧هـ / مارس، ٢٠٢٦م

<https://shcajournal.ksu.edu.sa/ar>

shcajournal@ksu.edu.sa

المشرف العام

أ.د. علي بن محمد مسملي

رئيس جامعة الملك سعود المكلف

نائب المشرف العام

أ.د. نايف بن ثنيان بن محمد آل سعود

المشرف العام على مركز الملك سلمان لدراسات تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها

الهيئة الاستشارية

أ.د. سعد عبود سمار	أ.د. محمد الكحلوي	أ.د. أحمد آل فائع	أ.د. جون هيلي
جامعة واسط	جامعة القاهرة	جامعة الملك خالد	جامعة مانشستر
	أ.د. ماضي عبدالله السرحان	أ.د. أحمد بوشرب	أ.د. ليلى نعمة
	جامعة الملك سعود	جامعة الحسن الثاني	جامعة السوربون

رئيس التحرير

أ.د. سليمان بن عبدالرحمن الذيب

هيئة التحرير

أ.د. خالد بن عبدالكريم البكر	أ.د. عبدالرحمن بن عبدالله الأحري
جامعة الملك سعود	جامعة الملك سعود
أ.د. أحمد محمود أمين	أ.د. أحمد الجلاد
جامعة الفيوم	جامعة أوهايو

مدير التحرير

د. أحمد محمد عطوه عبدالحميد

السكرتارية والإخراج

محمد بن سمير عبدالله
عبدالرحمن بن موسى الجديد
سعود بن محمد التميمي

مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها

دورية علمية محكمة نصف سنوية متخصصة في دراسات تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها على مر العصور، تصدر في شهري (أكتوبر- مارس) عن مركز الملك سلمان لدراسات تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها بجامعة الملك سعود تحت اسم "مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها". وتُعنى بنشر البحوث، والدراسات، ومراجعات الكتب، وملخصات الرسائل العلمية، باللغتين العربية والإنجليزية.

الرؤية

تتطلع المجلة أن تكون عالمية مفهرسة يمكن الوصول إليها إلكترونيًا، ورائدة في ميدان نشر البحوث في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها. فضلًا عن سعيها إلى نشر دراسات نقدية لأحدث الإصدارات العربية والعالمية عن تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها.

الرسالة

تسعى المجلة لتصبح مرجعًا علميًا للباحثين وطلبة العلم في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها، لتزويدهم بالمعارف والمهارات، انطلاقًا من الثقافة العربية والإسلامية والتراث الإنساني.

الأهداف

- نشر البحوث والدراسات التاريخية والحضارية المحكّمة في ميدان تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها.
- التطلع إلى مشاركة الباحثين وطلاب الدراسات العليا، وحثهم على مزيد من التجويد والتدقيق في أبحاثهم المتعلقة بتاريخ الجزيرة العربية وحضارتها.
- استقطاب الباحثين في مجال الدراسات التاريخية والحضارية للجزيرة العربية.

للتواصل والمراسلة

مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها

ص.ب: ٢٤٥٦ - الرياض: ١١٤٥١

مركز الملك سلمان لدراسات تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها
جامعة الملك سعود - الرياض - المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٩٨٥٣٩ - ١١

فاكس: ٤٦٧٥٥١٦ - ١١

البريد الإلكتروني: shcajournal@ksu.edu.sa

الموقع الإلكتروني: <https://shcajournal.ksu.edu.sa/ar>

رقم الإيداع (ورقي): 1443/9173

رقم الرمد (ورقي): 1658-9270

رقم الإيداع (النشر الإلكتروني): 1445/2699

رقم الرمد (النشر الإلكتروني): 1658-9831

© مركز الملك سلمان لدراسات تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها، ١٤٤٧هـ (٢٠٢٦م)

جميع حقوق النشر محفوظة. لا يسمح بإعادة نشر أي جزء من المجلة أو نسخه بأي شكل وبأي وسيلة سواء كانت إلكترونية أو آلية بما في ذلك التصوير والتسجيل أو الإدخال في أي نظام حفظ معلومات أو استعادتها بدون الحصول على موافقة كتابية من مركز الملك سلمان لدراسات تاريخ الجزيرة العربية بجامعة الملك سعود.

قواعد النشر

الضوابط العامة وإجراءات النشر:

١. تنشر المجلة البحوث التي لم يسبق نشرها، بالعربية أو بالإنجليزية، في حقل تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها.
٢. أن تتسم البحوث بالموضوعية والتنظيم المترابط وعدم استخدام الضمائر الشخصية قدر المستطاع.
٣. الالتزام بالمنهج العلمي وتوخي الجودة والأصالة في الكتابة وسلامة الأسلوب وتنظيم الحقائق والأفكار.
٤. التقيد بأصول البحث العلمي بعرض الحقائق وتقدير وجهات نظر الآخرين.
٥. التقيد بالأمانة العلمية وألا يحتوي البحث على أي سرقة علمية أو انتهاك للملكية الفكرية.
٦. دعم الموضوع بالصور والخرائط والوثائق كلما أمكن ذلك.
٧. ضبط أسماء المواقع والأعلام بدقة والتعريف بها وتوثيقها في الهامش.
٨. منهج التوثيق المعتمد في المجلة هو نظام جمعية علم النفس الأمريكية (APA)، ويشمل ذلك التوثيق داخل النص وفي قائمة المصادر والمراجع.
٩. لا يتجاوز عدد كلمات البحث (١٠ آلاف كلمة) بما فيها الملخصين العربي والإنجليزي، والكلمات المفتاحية، وقائمة المصادر والمراجع، والملاحق.
١٠. يرفق مع العمل ملخص باللغتين العربية والإنجليزية في حدود (٢٠٠) كلمة.
١١. يتضمن ملخص البحث (٥ كلمات مفتاحية) تعبر عن موضوع البحث والقضايا الرئيسة التي تناوّلها.
١٢. تكتب بيانات الباحث/الباحثين (الاسم، الرتبة العلمية، التخصص، المؤسسة التعليمية، عنوان المراسلة، البريد الإلكتروني، ورقم الجوال) باللغتين العربية والإنجليزية.

١٣. لا يجوز أن يُصرَّح باسم الباحث/ الباحثين في متن البحث أو هوامشه.
١٤. يعد إرسال الباحث ببحثه تعهدًا منه بأن البحث لم يسبق نشره، وأنه لم يقدم للنشر في جهة أخرى حتى تنتهي إجراءات تحكيمه في المجلة.
١٥. تقوم هيئة التحرير بفحص أولي للأبحاث لتقرير مدى صلاحيتها لاستكمال إجراءات التحكيم.
١٦. تخضع جميع الأبحاث بعد إجازتها الأولية من هيئة التحرير للتحكيم العلمي على نحو سري مزدوج.
١٧. يرسل البحث إلى اثنين من المحكمين المتخصصين في موضوعه فإن اختلف رأيهما، أُرسِل إلى ثالث ويكون رأيه حاسمًا.
١٨. الأبحاث التي يشترط المحكمون قبولها بعد إجراء التعديلات عليها تعاد لأصحابها لإجراء التعديلات على ألا يتأخر الباحث في إرسال النسخة المعدلة عن أسبوعين من تاريخ الإرسال.
١٩. الأبحاث المقبولة للنشر في المجلة لا يجوز نشرها في أي منفذ نشر آخر، ورقي أو إلكتروني، دون أخذ موافقة خطية من رئيس هيئة التحرير.

اللغة والأسلوب:

١. التقيد بالأسلوب العلمي (عرضًا وتوثيقًا) بعيدًا عن العاطفة والإطناب الممل أو الإيجاز المخل.
٢. اعتماد الوضوح وتحري الدقة والصياغة الجيدة للأفكار والمفاهيم.
٣. معالجة الموضوعات وعناصرها بصورة تتسم بالتغطية الشاملة.
٤. العمل على التناسب والتوازن بين عناصر الموضوع.
٥. مراعاة أصول التحرير العلمي من سلامة اللغة وقواعد الإملاء وعلامات الترقيم والتنقيط.

تنسيق الصفحات:

١. حجم الصفحة A4.
٢. هوامش الصفحة: (٥, ٢سم) لليمن واليسار و(٥, ٣سم) من أعلى الصفحة وأسفلها.
٣. حجم الخط للمتن (١٤) بخط Lotus Linotype
٤. حجم الخط للعناوين (١٤) بخط ثقیل Lotus Linotype
٥. حجم الخط لعناوين الأشكال والجداول والصور (١٢) بخط ثقیل Lotus Linotype
٦. حجم الخط للتعليقات (١٢) بخط Lotus Linotype
٧. حجم الخط لمحتوى الجداول (١٢) بخط Lotus Linotype
٨. حجم الخط للمتن بلغة غير عربية (١٠) بخط Times New Roman
٩. حجم الخط للهامش بلغة غير عربية (٨) بخط Times New Roman

آلية إرسال الأبحاث:

- ترسل الأبحاث إلى البريد الإلكتروني للمجلة (shcajournal@ksu.edu.sa) بعد التأكد من التقيّد بشروط تسليم البحث وضوابط تحريره.
- أوقات العمل: تعمل المجلة على استقبال البحوث العلمية على مدار العام.
- لغة النشر: تستقبل المجلة الأبحاث المكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية، مع وجوب الالتزام بسلامة اللغة والصياغة.

إرشادات التقديم:

- يتم إرسال نسختان من البحث العلمي، واحدة بصيغة (Word) وأخرى بصيغة (Pdf).

● تضمين الرسالة المرسلة على البريد الإلكتروني بالمرفقات الآتية:

١. خطاب موجه إلى رئيس هيئة تحرير المجلة ويتضمن أهمية البحث وفرضيته وارتباطه بأهداف المجلة ورؤيتها.
٢. ملخص للبحث العلمي بكل من اللغة العربية واللغة الإنجليزية في حدود (٢٠٠) كلمة، مضمناً (٥) كلمات مفتاحية.
٣. السيرة الذاتية للباحث الرئيس وللباحث المشارك (إن وجد).
٤. نموذج إقرار نشر بحث بعد تعبئته واعتماده، وفي حال وجود أكثر من باحث، يقوم كل باحث بتعبئة الإقرار واعتماده منفرداً.

المحتويات

أبحاث العدد:

- دور المسجد النبوي في ترسيخ الدعوة الإصلاحية لدى علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في بداية القرن العشرين
أ.د. تواتية بودالية..... ١
- دور المهرة في ثورة ظفار (١٣٨٣-١٤٠٢هـ/ ١٩٦٣-١٩٨٢م)
د. سماح سعيد علي يسلم العزاني..... ٤١
- السوق القديم بمدينة ذمار اليمنية "دراسة حضارية أثرية"
د. مبروك محمد الذماري/ أ. طارق أحمد المحنش..... ٨٥
- نقوش قتبانية إهدائية جديدة
أ.د. جمال محمد ناصر الحسني..... ١٣٩

المراجعات:

- كتاب: "دفاعاً عن التاريخ"، ريتشارد جي إيفانز، ترجمة د. محمد بن عبدالله الفريح
أ.د. عبدالرحمن بن عبدالله الأحري..... ١٧١
- كتاب: "التاريخ المُقنَّع، نقد أطروحات التوراتيين العرب"، عارف أحمد إسماعيل المخلافي
أ.د. أحمد السري..... ١٩١
- كتاب: "اللوائح المنظمة لتجار صرّواح ومحاجر الألباستر في المَحْدَرَة (اليمن)"، نوربرت نيس
أ.د. عميدة شعلان..... ٢٠٧

دور المسجد النبوي في ترسيخ الدّعوة الإصلاحية لدى علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين في بداية القرن العشرين أ.د. (ة). تواتية بودالية

جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر، الجزائر
boudalia.touatia@univ-mascara.dz

(قُدّم للنشر في ٢٢/٠٦/١٤٤٦هـ، وقُبِلَ للنشر في ٢٨/٧/١٤٤٦هـ)

الملخص:

شهد القرن العشرون مرحلة حاسمة في تاريخ الجزائر، حيث برزت تحولات جوهرية في الإستراتيجية الإصلاحية لمواجهة الاستعمار الفرنسي، الذي استهدف الدين الإسلامي ومقومات الهوية الوطنية بالطمس والتشويه. في ظل هذه الظروف العصيبة، لعب المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة دورًا حاسمًا في تعزيز الفكر الإصلاحي لدى العلماء الجزائريين، مما ساهم في إحياء روح النهضة العلمية والدينية.

برزت في تلك الفترة شخصيات وطنية جزائرية أقامت في المدينة المنورة، حيث تلقت تكوينها العلمي والإصلاحي في أروقة الحرم النبوي. وقد كان لهذا الصّرح العلمي أثر بالغ في صياغة وعيهم الفكري والروحي، إذ نهلوا من منابعه علوم الشريعة ومبادئ الإصلاح، وعادوا إلى الجزائر محملين برسالة تجديدية تعززت بأسس الدّعوة الإصلاحية.

ساهم هذا التفاعل بين النهضة العلمية في المدينة المنورة وظروف الجزائر الاستعمارية في ترسيخ دعائم الحركة الإصلاحية التي قادها علماء النهضة الجزائرية. وفي هذا السياق، يعتبر "دور المسجد النبوي في ترسيخ الدّعوة الإصلاحية لدى علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين في بداية القرن العشرين" كإطار تاريخي مهم لفهم التأثير العميق للمسجد النبوي في صياغة الخطاب الإصلاحي الجزائري.

الكلمات المفتاحية: المسجد النبوي - الإصلاح - التعليم - ابن باديس - الإبراهيمي.

The Role of Al-Masjid Al-Nabawi in Strengthening the Reformist Mission Among the Scholars of the Algerian Muslim Association in the Early Twentieth Century

Prof. Boudalia Touatia

Mustapha Stambouli University of Mascara, Algeria
boudalia.touatia@univ-mascara.dz

(Received: 22/ 06/ 1446 H; Accepted for publication: 28/ 07/ 1446 H)

Abstract:

The twentieth century marked a pivotal phase in Algeria's history, characterized by significant transformations in the reformist strategy to confront French colonialism, which sought to undermine Islamic religion and distort the foundations of national identity. Amid these challenging circumstances, the Prophet's Mosque in Medina played a crucial role in fostering reformist thought among Algerian scholars, contributing to the revival of scientific and religious renaissance.

During that period, prominent Algerian national figures resided in Medina, where they received their scientific and reformist training in the halls of Al-Masjid Al-Nabawi. This scholarly institution had a profound impact on shaping their intellectual and spiritual awareness, as they drew from its sources the sciences of Sharia and the principles of reform. They returned to Algeria carrying a revitalizing message strengthened by the foundations of the reformist call.

The interaction between the scientific renaissance in Medina and Algeria's colonial circumstances strengthened the pillars of the reformist movement led by the Algerian Renaissance scholars. In this context, the topic " The Role of Al-Masjid Al-Nabawi in Strengthening the Reformist Mission Among the Scholars of the Algerian Muslim Association in the Early Twentieth Century " provides a significant historical framework for understanding the profound impact of the Prophet's Mosque on shaping Algerian reformist discourse.

Keywords: Prophet's Mosque - Reform - Education - Ibn Badis - Al-Ibrahimi.

المقدمة:

في بداية القرن العشرين، وفي ظل الضغوط الاستعمارية التي كانت تهدف إلى طمس الهوية الإسلامية في الجزائر، أدرك العلماء والطلاب الجزائريون ضرورة التواصل مع مراكز الفكر الإصلاحي في المشرق العربي لتعزيز مقاومة الاستعمار والحفاظ على الهوية الإسلامية؛ فاختار بعضهم التوجه إلى الحجاز، حيث توفر بيئة علمية وثقافية غنية تتيح لهم التفاعل مع كبار العلماء والمفكرين. وكان المسجد النبوي في المدينة المنورة من أهم هذه المراكز الحيوية الذي أتاح للعلماء الجزائريين فرصة تعميق الفكر الإصلاحي والدعوي في سياق المقاومة الوطنية.

شكلت إقامة أعلام النهضة الجزائرية في المدينة المنورة محطة جوهرية في بناء شخصياتهم الدينية والسياسية؛ فقد تلقوا تكوينهم العلمي داخل أروقة المسجد النبوي، الذي كان منارة للمعرفة ومحطة للقاء العلماء المصلحين. تأثر هؤلاء العلماء، ومن أبرزهم الشيخ الطيب العقبي، والشيخ عبد الحميد بن باديس، والشيخ محمد البشير الإبراهيمي، بالدعوة الإصلاحية وشيوخها في المدينة، مما جعلهم يحملون روح التجديد الفكري عند عودتهم إلى الجزائر.

ولا شك أن المسجد النبوي بما يمثله من مركز علمي وثقافي شكل واجهة مركزية في صقل شخصية هؤلاء العلماء، ممهدًا الطريق لتأسيس الحركة الإصلاحية في الجزائر. فقد ساهم هذا التكوين في إعدادهم لخوض معركة استنهاض الأمة الجزائرية ومقاومة الاستعمار والاستبداد، حاملين رسالة فكرية وروحية متأثرة بعمق بمبادئ الإصلاح الإسلامي.

ونظرا لأهمية المسجد النبوي في الحركة الإصلاحية الجزائرية، تسعى هذه الدراسة إلى معالجة حيثياته من خلال معالجة موضوع بعنوان "دور المسجد النبوي في ترسيخ الدعوة الإصلاحية لدى علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في بداية القرن العشرين". ولاستكمال ملاحظته وأبعاده طرحت الإشكالية التالية: كيف ساهم المسجد النبوي في ترسيخ أسس وثوابت الدعوة الإصلاحية لدى العلماء المسلمين الجزائريين؟ وكيف أثر شيوخ

المسجد النبوي في تعزيز المنهج الإصلاحي لشيوخ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؟ وما طبيعة العلاقة بين المسجد النبوي والقضية الجزائرية؟

يكتسي موضوع البحث أهمية كبيرة في تحليل حلقة جديدة بالدراسة، وذلك للتنبؤ بالمكانة التي يحتلها المسجد النبوي في نفوس المسلمين الجزائريين، كونه مركز إشعاع فكري وحضاري وقبلة لطلاب العلم والمعرفة من الجزائر، ومنبع الإصلاح الفكري وصاحب الريادة في الحركة العلمية لدى رواد النهضة العلمية الجزائري الذين كرسوا حياتهم لتحسين المجتمع الجزائري من البدع والخرافات بعد عودتهم إلى أرض الوطن.

وتهدف هذه الدراسة إلى إبراز دور المسجد النبوي في صياغة الإستراتيجية الإصلاحية لرواد النهضة الجزائرية، والكشف عن مدى تأثير وتأثر علماء الجزائر بشيوخ المسجد النبوي، وكيف ساهم هؤلاء في دعم القضية الجزائرية. وفي السياق المصدري تكشف هذه الدراسة مدى أهمية المصادر الجزائرية في التأريخ لتاريخ المدينة المنورة.

اقترن الإطار الزمني لهذه الدراسة ببداية القرن العشرين، الذي مثل امتداداً لتحولات عميقة مست الحجاز في شتى المجالات. ولا سيما الدعوة الإصلاحية التي كان لها الأثر في مواجهة الاستعمار في الجزائر. ولم تكن الجزائر بمنأى عن هذه التحولات الإصلاحية، إذ أسهمت رحلات علمائها إلى الحج وتواصلهم مع شيوخ الحرمين الشريفين في نقل هذه الأفكار وتجسيدها.

ركزت هذه الدراسة على مصادر تاريخ الجزائر باعتبارها إضافة قيمة لفهم تاريخ المسجد النبوي، مسلطة الضوء على تفاعل العلماء الجزائريين مع النشاط العلمي في المسجد النبوي، خصوصاً في بداية القرن العشرين؛ فقد كان المسجد منارة علمية ونقطة إشعاع فكري، يسهم بفاعلية في نشر التعليم والدعوة الإصلاحية، مما ترك أثراً عميقاً على الحركات الإصلاحية في الجزائر، ومنها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

تناول هذا البحث مفهوم الدعوة الإصلاحية كمدخل لفهم الأسس التي قامت عليها النهضة الجزائرية، متتبّعاً رحلات علماء الجزائر إلى المدينة المنورة خلال الحقبة الإستعمارية،

حيث مثل المسجد النبوي محطة رئيسة في تكوينهم العلمي عبر نظامه التعليمي الراسخ والإجازات التي منحها شيوخه. كما يستعرض البحث جهود العلماء الجزائريين في نشر الثقافة الإسلامية العربية، مع إبراز نشاطهم التدريسي في المسجد النبوي كنموذج يعكس عمق تأثيره كمركز للعلم والإصلاح. ويتطرق كذلك إلى دور المسجد النبوي في النهضة الإصلاحية الجزائرية، إذ شكّل نقطة انطلاق لتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، كما أسهم في ترسيخ المنهج الإصلاحي للإمام ابن باديس. ويعرّج البحث على الأثر الذي تركه شيوخ المسجد النبوي في توجيه الفكر الإصلاحي لدى علماء الجزائر، مع أفراد مساحة لإسهامات الشيخ عمار بن عبد الله بن الأزعر في دعم القضية الجزائرية. مما يُبرز عمق تأثير المسجد النبوي في صياغة مسار النهضة الجزائرية.

أولاً: الدعوة والإصلاح في المفهوم اللغوي والاصطلاحي

١- مفهوم الدعوة

قال ابن منظور: "دعا الرجل دعواً ودعاء: ناداه، والاسم الدعوة، ودعوت فلاناً أي صحت به، واستدعيته ... وتداعى القوم: دعا بعضهم بعضاً حتى يجتمعوا .. والدعاة: قوم يدعون إلى هدى أو ضلالة، وأحدهم داعٍ. ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين، أدخلت الهاء فيه للمبالغة. والنبي صلى الله عليه وسلم داعي الله، وكذلك المؤذن". (ابن منظور، د.ت، ص ص ٢٥٨-٢٥٩).

عرّف ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م): "الدعوة إلى الله عز وجل بأتمها" الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه" (ابن تيمية، ٢٠٠٥م، ج ١٥، ص ٩٢). ويضيف: "فالدعوة إلى الله تكون بدعوة العبد إلى دينه، وأصل ذلك عبادته وحده لا شريك له، كما بعث الله بذلك رسله، وأنزل به كتبه، قال تعالى: "شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ (سورة الشورى، الآية ١٣)" (ابن تيمية، ٢٠٠٥م، ج ١٥، ص ٩٢).

وتختص الدعوة عند الشيخ عبد الحميد بن باديس في: "بيان حجج الإسلام ودفع الشبه عنه، ونشر محاسنه بين الأجانب ليدخلوا فيه،... ومن الدعوة إلى الله مجالس الوعظ والتذكير، لتعريف المسلمين بدينهم، وتربيتهم في عقائدهم وأخلاقهم وأعمالهم على ما جاء به، وتحييهم فيه، ببيان ما فيه من خير وسعادة لهم، وتحذيرهم مما أدخل من محدثات عليه هي سبب كل شقاء وشر لحقهم" (ابن باديس، ٢٠٠٣م، ص ٣١٥).

٢- مفهوم الإصلاح

الصالح ضد الفساد، والإصلاح نقيض الإفساد، والاستصلاح نقيض الاستفسار، وأصلح الشيء بعد فساد أقالمه، وأصلح الدابة أحسن إليها فصلحت، واصطلح القوم زال ما بينهم من عداوة وشقاق، قال ابن فارس: "الصّاد واللام والحاء أصل واحد يدلّ على خلاف الفساد". والصّالح إنهاء الخصومة، وتصالح القوم بينهم، والصّالح السّلم، وهي المسالمة بعد المنازعة (ابن منظور، د.ت، ج ٢، ص ٥١٦-٥١٧).

الإصلاح هو الرجوع إلى الإسلام، ويصحب ذلك منهج كامل متكامل يشمل الأفراد والمجتمعات، يصلح العقيدة والفكر والثقافة، ويصلح السلوك والعبادة، فهو إصلاح اجتماعيًا واقتصاديًا وسياسيًا، وهو إصلاح دعويًا تربويًا تنظيمي شامل متكامل (عبد الحليم، ١٩٩٤م، ص ١٥). والإصلاح "هو تصويب ما أعوج في ممارسة أمور الدين والدنيا عند المسلمين، والعودة بها إلى الأصل الذي لم يلحقه زوائد ومحدثات" (بلقزيز، ١٩٩٧م، ص ١٥).

ونظير ذلك، فسر الشيخ عبد الحميد بن باديس بأن: "الإصلاح هو إرجاع الشيء إلى حالة الاعتدال إزاء ما طرأ عليه من فساد، والإفساد هو إخراج الشيء عن حاله اعتداله بإحداث اختلال فيه فأصلاح البدن بمعالجته بالحمية والدواء وإصلاح النفس بمعالجتها بالتوبة الصادقة وإفساد البدن بتناول ما يحدث به من ضرر وإفساد النفس بمقاربة المعاصي

والذنوب، وهكذا تعتبر النفوس بالأبدان في باب الصلاح والفساد في كثير من الأحوال غير أن الاعتدال بالنفوس أهم وألزم لأن خطرهما أكبر وأعظم" (ابن باديس، ١٩٨٢م، ص ١٠٧).

٣- مفهوم الدعوة الإصلاحية عند العلماء المسلمين الجزائريين

يرى رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشيخ عبد الحميد بن باديس أن "نقطة البدء في أي إصلاح هي تطهير العقائد من الشرك، والأخلاق من الفساد،" فلا داعي إلى تحقير أنفسنا، ولا موجب للقنوط من رحمة الله، وليس لنا أن نستعين بما نزيله كل يوم من فساد، فبدوام السعي واستمراره يأتي ذلك القليل من الإصلاح على صرح الفساد العظيم من أصله" (الصفصاف، ١٩٨١م، ص ٢٠٣). ويعتمد المنهج الإصلاحي عند الشيخ عبد الحميد بن باديس على "التمرد على الحاضر والاستنجاد بالماضي لاكتساب الطاقة الحرارية التي تنقل المجتمع الجامد إلى السير نحو مستقبله يخططها بنفسه من صميم "سلفية" لا تنتعش إلا لتندمج في الصورة الجديدة التي تنعش حضارة ما وتسير بها إلى الأمام" (عمريش، عدد ٨٥، ص ص ٢٠٦ - ٢٠٧).

يقول الشيخ العربي التبسي رحمه الله: "فإنَّ الدَّعوة الإصلاحية التي يقوم بها دعاة الإصلاح الإسلامي في العالم الإسلامي عامّة، وتقوم بها «جمعية العلماء» في القطر الجزائريّ خاصّة، تتلخّص في دعوة المسلمين إلى العلم والعمل بكتاب ربّهم وسنة نبيّهم، والسير على منهاج سلفهم الصّالح في أخلاقهم وعبادتهم القويّة والاعتقاديّة والعملية، وتطبيق ما هم عليه اليوم من عقائد وأعمال وآداب على ما كان في عهد السّلف الصّالح، فما وافقه عددناه من دين الله فعملنا به، واعتبرنا القائم به قائماً بدين الله، وما لم يكن معروفاً في عهد الصّحابة عددناه ليس من دين الله، ولا علينا فيمن أحدثه أو عمل به؛ فالدين حجة على كل أحد وليس عمل أحد حجة على الدين" (الملي، ٢٠٠١م، ص ٢٧).

ثانياً: رحلة علماء الجزائر إلى المدينة المنورة إبان الفترة الاستعمارية

شهدت فترة العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين نهضة إصلاحية بارزة في الجزائر، أسوة ببقية الأفطار العربية، وقد لعب رجال النهضة العلمية الجزائرية دوراً أساسياً في الحركة الإصلاحية، بعد أن تشكلت رؤاهم الفكرية والدينية في المدينة المنورة. وكانت رحلاتهم لأداء فريضة الحج وزيارة المسجد النبوي فرصة للتعليم والتدريس، مما أسهم في استكمال تكوينهم العلمي والاستعداد لمواجهة الاستعمار وتوجيه المجتمع نحو الإصلاح. اتسمت الهجرة الجزائرية في تلك الفترة بطابعها القسري، إذ جاءت هروباً من الاضطهاد الاستعماري الفرنسي، وتعبيراً عن رفض القوانين التعسفية والممارسات القمعية، حيث فضل الكثيرون الفرار من البطش الاستعماري على الخضوع للإذلال، ليجدوا في المدينة المنورة ملاذاً روحياً وعلمياً يعينهم على مواجهة التحديات الوطنية والإصلاحية. ومن الشخصيات التي كان لها صيت بالمدينة المنورة نذكر:

- **الطيب العقبي (١٨٨٩-١٩٦٠م):** ولد بسيدي عقبة^(١) عام ١٨٨٩م، هاجر مع أسرته إلى المدينة المنورة عام ١٨٩٥ فنشأ فيها وفيها أكمل العقبي طفولته، وعندما أتم ست سنوات وجهه أبوه إلى التعليم القرآني في المدينة المنورة، فحفظ القرآن كله على أيدي معلمين مصريين برواية حفص وكان حفظه للقرآن متقناً راسخاً، جعل القرآن عدته المسيرة الحاضرة في كل موافقه كما درس فن التجويد (مريوش، ٢٠١٢م، ص ص ٢٧-٢٨-٣٠؛ عيساوي، ٢٠١٣م، ص ٦٢١).

بعد إتمامه لحفظ القرآن دخل الطيب العقبي المسجد النبوي الشريف طلباً للعلم فنهل من المعارف والعلوم المتاحة حتى نبغ في علوم الفقه وهذا ما سمح له بتكوين ثقافة محافظة تقليدية. ودرس بالحرم النبوي الشريف، تولى رئاسة جريدة القبلة الحجازية، وإدارة المطبعة الأميرية بمكة، شارك في الثورة العربية ضد العثمانيين عام ١٩١٦م، عاد إلى الجزائر عام

(١) بلدية سيدي عقبة، نسبة إلى الفاتح عقبة بن نافع، تقع في الجنوب الشرقي لولاية بسكرة، بها الضريح ومسجد عقبة بن نافع (ابن عذاري، ١٩٨٣م، ج ١، ص ٢٩).

١٩٢٠م، أصدر مجلة الإصلاح عام ١٩٢٧م، وتولى رئاسة جريدة البصائر بين عامي (١٩٣٥-١٩٢٧)، توفي في ٢١ آيار ١٩٦٠م (خرفي، د.ت، ص ص ٢٨٣-٣٨٦).

– الشيخ عبد الحميد بن باديس (١٨٨٩-١٩٤٠م): ولد في مدينة قسنطينة^(١) عاصمة الشرق الجزائري عام ١٣٠٨هـ/ ٥ ديسمبر عام ١٨٨٩م، وله من الأخوة ستة أولاد واثنتان من البنات، نشأ في بيت علم. حفظ القرآن الكريم في السنة الثالثة عشرة من عمره حين تتلمذ على يد الشيخ أحمد أبو حمدان الونيسي^(٢) الذي علمه مبادئ العربية والمعارف الإسلامية، وبهذه النشأة وبفضل والده اعترف الشيخ عبد الحميد فيها نشرته مجلة الشهاب بمناسبة احتفاله بختم تفسير القرآن وذلك بقوله: "إنّ الفضل يرجع أولاً إلى والدي الذي رباني تربية صالحة، ورضي لي العلم طريقاً" (زروقة، ١٩٩٩م، ص ٧٥؛ فلوسي، ٢٠٠٦م، ص ١٤؛ رمضان، مايو ١٩٤٩م، ص ٤٣).

– سافر الشيخ عبد الحميد بن باديس إلى تونس عام ١٩٠٨م وهو في التاسعة عشرة من عمره، حيث التحق بجامع الزيتونة^(٣). تخرج منه بشهادة التطويع^(٤) عام ١٩١٢/١٩١١م وعمره ثلاث وعشرون سنة. وبعد التخرج، درس لمدة عام في جامع الزيتونة. وعقب عودته

(١) قسنطينة مدينة قديمة تقع في الشرق الجزائري، يعود تاريخ بنائها إلى ١٤٥٠ ق.م، وبحكم موقعها الاستراتيجي كانت من أقاليم الأيالة الجزائرية ونقطة تلاقي الطرق التجارية عند الأتراك. تعرضت للاحتلال الفرنسي سنة ١٨٢٧م (قشي، ٢٠١٣، ص ٢٠؛ خلاصي، ٢٠١٥م، ص ٢٥٦).

(٢) حمدان الونيسي: عالم، من زعماء حركة القومية الإسلامية في الجزائر، واستاذ عبد الحميد بن باديس. من أهل قسنطينة، درس بها، ثم هاجر الى الديار المقدسة بعد إعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨م واستقر بالمدينة إلى أن مات. (نويّض، ١٩٨٠م، ص ٣٤٦).

(٣) جامع الزيتونة من أهم المعاهد الإسلامية في تونس، بناه عبيد الله الحبحاب عندما دخل افريقية سنة ١١٦هـ/ ٧٣٣م. بقي يؤدي وظيفته في العهد الأغلبي والفاطمي، والحفصي، والعثماني كمؤسسة تعليمية مهمة. تخرج من جامع الزيتونة ما بين (١٩١٥-١٩٤٨م) عدد مهم من العلماء الجزائريين من رواد الحركة الإصلاحية (ابن عذاري، ١٩٨٩م، ج ١، ص ٥٢؛ بوطيبة، ٢٠١٧م، ص ١٩٦ وما بعدها).

(٤) شهادة التطويع هي أعلى شهادة علمية في بداية القرن العشرين، كان يمنحها جامع الزيتونة بتونس، واستمر العمل بها إلى سنة ١٩٣٣ حيث أحدث نظام جديد للتعليم وللشهادت الزيتونية، وأصبحت أعلى شهادة التعليم الزيتوني، تسمح للمحرزين عليها من اللحاق بالعديد من الوظائف والخطط الدينية والقضائية. للتفاصيل ينظر (الولب، ٢٠١٧).

إلى الجزائر، غادرها مجدداً في عام ١٩١٣م لأداء فريضة الحج. وبعد عودته من مكة، كرّس حياته لمعالجة مختلف القضايا الاجتماعية، والأخلاقية، والدينية، والعلمية، والسياسية التي كانت تعاني منها الجزائر والعالم الإسلامي. استمر في عطائه الفكري والدعوي حتى وافته المنية في ١٦ أبريل ١٩٤٠م (الطالبي، ١٩٩٩م، ص ٧٦).

– البشير الإبراهيمي (١٨٨٩-١٩٦٥م): هو محمد البشير بن محمد العربي بن عمر بن عبد الله بن عمر الإبراهيمي، المولود عام ١٨٨٩م في مدينة سطيف^(١) بالشرق الجزائري، تربى في كنف أبيه وحفظ القرآن الكريم في التاسعة وبدأ التدريس وهو في الرابعة عشرة، وهاجر والده إلى المدينة المنورة عام ١٩٠٨م ثم لحق به في عام ١٩١١م حتى عام ١٩١٧م، ارتحلوا إلى دمشق ثم عاد إلى الجزائر في عام ١٩١٩م ليلحق برفيق دربه ابن باديس (مهداوي، ١٩٨٨م، ص ٣٣؛ الإبراهيمي، ٢٠٠٧م، ص ٢٢١؛ الإبراهيمي، ج ١، ١٩٩٧م، ص ٩).

شارك الشيخ البشير الإبراهيمي في المجمع العلمي سنة ١٩٢١م ثم عاد إلى الجزائر في السنة نفسها، وكان من مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة ١٩٣١م، تولى رئاستها وهو في المنفى خلفاً للشيخ عبد الحميد بن باديس، إذ نفته السلطات الفرنسية إلى جنوب الجزائر أفلوا بسبب نشاطه الإصلاحي. ومن أهم مؤلفاته: عيون البصائر، شعب الإيمان، والعديد من الكتب والمقالات. سجن وعذب عام ١٩٤٥م (نويض، ١٩٨٠م، ص ١٣-١٤). وساند الثورة الجزائرية إلى غاية وفاته سنة ١٩٦٥م.

– الشيخ عمار بن الأزعر القماري السوفي (ت ١٣٨٩هـ / ١٩٦٨م): هو الشيخ عمار بن عبد الله بن الطاهر ابن أحمد بن محمد الهلالي القماري السوفي الجزائري ثم المدني الشهير بعمار الأزعر (دفتردار، أكتوبر-نوفمبر ١٩٦٩م)، ويصرح بمرحلته التعليمية بقوله: "ثم ابتدأت أحفظ القرآن الكريم وأنا في سن مبكرة من حياتي في بلدة "فلياش" قرية من قرى بسكرة،

(١) سطيف مدينة الهضاب العليا في الشرق الجزائري، بنيت منذ العهد الروماني، احتلتها فرنسا سنة ١٨٤٨م. وممغل الثورة الإصلاحية مع تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. (سعيدوني، ١٩٨٨م، ج ٢، ص ٧١-٧٤؛ أشكناني، ٢٠٠٩، العدد ١٣٠١، ص ٤١).

وأتممت حفظه في بلدة سيدي عقبة بجنوب الجزائر، ثم رجعت إلى مسقط رأسي، ولما لم أجد ما كنت أصبو إليه من طلب العلم استعنت بالله ورحلت إلى تونس مشياً على الأقدام بصحبة والدي، وقد تكبدت مصاعب كثيرة عظيمة يهون أمرها على من طارت به الأشواق في طلب العلم والاكتراع من معينه الزُّلال، ودخلت توا جامع الزيتونة، وانخرطت في سلك التَّعلم وذلك في سنة ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م... " (دفتردار، أكتوبر-نوفمبر ١٩٦٩م).

كان الشَّيخ عَمَّار من أنصار الإصلاح ومن مؤسسي جمعية العلماء، ولكنه وجد مضايقة كبيرة من أنصار الإدارة الفرنسيَّة ومن بعض الطُّرُق الصُّوفيَّة المحليَّة فلم يسعه إلاَّ مغادرة "قمار"؛ في في عام ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م ودع الشَّيخ عمار مسقط رأسه لزيارة البقاع المقدسة، وأداء فريضة الحج. وبعد أداء مناسك الحج رجع إلى قمار، وبعد ذلك قرر قراره: "أنَّ لا بقاء في ذلك الوسط الجاحد ولا بد من الهجرة، وذلك خوفاً على أهله وذريته من الفتن، وكان ذلك في عام ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م؛ حيث هاجر مع جمع غفير إلى البلاد المقدسة واستقر في مدينة البرية-المدينة المنورة- على ساكنها أفضل الصلاة والسَّلام، وكان خروجه من بلاده بمشهد عظيم اجتمع فيه كثير من النَّاس، فمنهم الفرح بخروجه، ومنهم الباكي..." (الكتبي، ٢٠١٦م، ص ٣٨٢).

— حميدة الطيب (١٢٨٨-١٣٦٢هـ/ ١٨٧٠-١٩٥٠م)

ولد حميدة بن الطيب بن علال الإبراهيمي في بلدة عين بسام بالجزائر عام (١٢٨٨هـ/ ١٨٧٠م)، من أسرة تشتهر بالعلم والفضل والدفاع عن الإسلام والجهاد ضد الاحتلال الفرنسي للجزائر. وعندما بلغ سن التَّعليم حفظ القرآن الكريم على روايتي ورش وحفص وهو في العاشرة من عمره، ثم أكمل دراسته في معهد زاوية الهامل في الجزائر، وبدأ دراسته فيه؛ فانكب على العلم، وقرأ كثيراً من كتب الحديث، والسَّيرة النَّبوية، والتَّفسير، والتَّاريخ، وعلوم القرآن؛ حتى نال حظاً وافراً، ومكانة عالية في العلم، وكان من شيوخه: العلامة عبد الحميد بن باديس، وغيره (الكتبي، ٢٠١٦م، ص ٨٩-٩٠).

لما اشتد طغيان الفرنسيين في الجزائر، هاجر إلى الحجاز فاراً بدينه، فوصل إلى مكة المكرمة، وأدى فيها مناسك العمرة في العشرينات من القرن الرابع عشر الهجري، ثم توجه إلى المدينة، وأقام فيها، ولم تمض فترة حتى تصدر للتدريس في المسجد النبوي الشريف، واتخذ له ثلاث حلقات يومية: واحدة بعد صلاة الفجر، وأخرى بعد صلاة العصر، والثالثة بعد صلاة المغرب، يدرّس فيها العلوم الشرعية والعربية (الكتبي، ٢٠١٦م، ص ٩٥).

ثالثاً: المسجد النبوي مركز تكوين العلماء المسلمين الجزائريين

١ - التعليم بالمسجد النبوي

يعتبر المسجد النبوي من أعرق المراكز الثقافية في العالم الإسلامي التي ساهمت في ترسيخ الدعوة الإصلاحية في نفوس العلماء الجزائريين عن طرق التعليم، فلا يمكن مباشرة الإصلاح من دون تعميق المعرفة العلمية والدينية. وفي هذا السياق أكد ابن باديس رائد النهضة الإصلاحية على أهمية إصلاح العلماء عبر التعليم باعتباره الأساس المتين لتحقيق التغيير المنشود بقوله: "لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماءهم، فإنما العلماء من الأمة بمثابة القلب، وإذا صلح صلح لجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله، وصلاح المسلمين إنّما هو بفقههم الإسلام، وعلمهم به، وإنّما يصلح إليهم هذا على يد علماءهم، فإذا كان علماءهم أهل جمود في العلم وابتداع في العمل، فكذلك المسلمون يكونون، فإذا أردنا إصلاح المسلمين فلنصلح علماءهم، ولن يصلح العلماء إلا إذا صلح تعليمهم، فالتعليم هو الذي يطبع المتعلم الذي يكون عليه في مستقبل حياته.... فبالتعليم يكون المسلم عالماً من علماء الإسلام، يأخذ عنه الناس دينهم، ويقتدون به..." (ابن باديس، أكتوبر ١٩٣٤م، ص ٤٧٨).

كانت الهجرة الجزائرية إلى الحجاز فرصة كبيرة لاكتساب العلم ولقاء كبار شيوخ المسجد النبوي المرموقين بالصّلاح والإصلاح. ومن أعلام الجزائر الذين درسوا بالمسجد النبوي على يد شيوخه البارزين، يبرز الطيب العقبي، الذي لم يصرح سوى بثلاث شيوخ لم تأثر كبير عليه، أمثال الشيخ محمد بن عبد الله زيدان الشنقيطي الذي أخذ عنه السيرة النبوية ومعرفة أنساب العرب وأدهم الجاهلي (مريوش، ٢٠١٢م، ص ٣٦؛ دبوز، ١٩٦٥م، ج ٢،

ص ١٠٧). وبالمثل، درس العقبي على شيخه حمدان الونيسي الذي أخذ عنه العلم والأخلاق، ويرجع له الفضل في تعليمه وتربيته وتنشئته. (مريوش، ٢٠١٢م، ص ٣٧-٣٨).

مثل التّعليم على يد العلماء المصلحين بداية حقيقة للتّرويج بالفكر الإصلاحي لدى الطلبة المهاجرين إلى أرض المسجد النبوي للتّربية والتّعليم، ولعل علاقة البشير الإبراهيمي في مرحلة التّعليم قوية بالمدينة المنورة، على حدّ تعبيره: "ثم أُلقيت الرحال بالمدينة حيث استقر والدي، وعكفت على القراءة والإقراء، فكنت أُلقي عدة دروس متطوعاً... وكنت أغشى ثلاث مكتبات جامعة غنية بعشرات الآلاف من المخطوطات النّادرة... فبلغت منها غايتي حفظاً وإطلاعاً مدة خمس سنوات وشهور" (الإبراهيمي، ١٩٩٧م، ج ٥، ص ١٦٦). ويعزز الشّيخ البشير الإبراهيمي مكانة علماء ومشايخ المدينة المنورة في تكوينه العلمي والديني بقوله: "... لم أجد علماً صحيحاً إلّا عند رجلين هما شيخاي: الشّيخ عبد العزيز الوزير التّونسي^(١)، والشّيخ أحمد الفيض أبادي الهندي^(٢)، فهما - والحق يقال - عالمان محققان واسعا أفق الإدراك، أخذت عنه الموطأ درايةً. ولازمت الثاني في دراسة صحيح مسلم،

(١) محمد العزيز بن محمد الوزير، من علماء تونس، درس ودرّس بتونس ثم هاجر إلى المدينة المنورة للتدريس، وكان يقرئ بالمسجد النبوي، وشهد له البشير الإبراهيمي بدقة التحرير وسعة الإطلاع. توفي بالمدينة المنورة سنة ١٣٣٨هـ ودفن بها. (الغسيري، ٢٠١٨م، ص ٦٨).

(٢) الشّيخ حسين أحمد الفيض أبادي ولد بقرية "بانكرم" التابعة لفيض آباد بتاريخ ٢١ ربيع الثاني ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٥م، هاجر في شبابه مع والده حبيب الله إلى الحجاز، واستقر بالمدينة المنورة، ولكنه لم يلبث أن عاد إلى الهند حيث بقي بها. كان السيد أحمد على علم باللغات فقد كان يتكلم اللغتين الفارسية والأردية إلى جانب إتقانه للغة العربية مع إلمام بمبادئ اللغتين التركية والانجليزية. تتلمذ على يديه الكثيرون من علماء المدينة المنورة وشعرائها منهم بشير الإبراهيمي. ظل حسين أحمد مقيماً بالمدينة يلقي الدروس على تلاميذه بالمسجد النبوي الشريف إلى أن نشبت الحرب العالمية الأولى، ونُفي بعدها إلى جزيرة مالطة ومكث بها إلى أن انتهت الحرب العالمية وعاد إلى الهند يدعم حركة التحرير والثورة السياسية في الهند إلى غاية وفاته سنة ١٩٥٧م. (الحسني، ١٩٩٩م، ج ٨، ص ١٢١٤؛ مغربي، ١٤١٤هـ، ص ١١-٢٢).

وأشهد أنّي لم أرى لهذين الشّيخين نظيراً من علماء الإسلام إلى الآن، وقد علا سني واستحكمت التجربة، وتكاملت الملكة في بعض العلوم" (الإبراهيمي، أكتوبر ١٩٦٥م، ص ٩٤؛ حفناوي، د.ت، ص ٥٣٤).

بلورت التجربة العلمية التي مرّ بها الشيخ البشير الإبراهيمي في المدينة المنورة معالم الإصلاح الديني والعلمي التي حملها إلى الجزائر. فقد نهل في مجاورته بالمدينة المنورة علم التفسير عن الشيخ الجليل إبراهيم الأسكوبي^(١)، وكان ممّن يشار إليهم في هذا العلم. وأخذ الجرح والتعديل وأسماء الرجال عن الشيخ أحمد البرزنجي الشهرودي^(٢) في الحرم النبوي، وكان من أعلام المحدثين، ومن بقاياهم الصالحة. وأخذ أنساب العرب وأدبهم الجاهلي، والسيرة النبوية عن الشيخ محمد عبد الله زيدان الشنقيطي، وهو أعجوبة الزمان في حفظ اللغة العربية وأنساب العرب، وحوادث السيرة. وأتمّ معلوماته في علم المنطق عن الشيخ عبد الباقي الأفغاني^(٣) قرأ عليه الحكمة الشرقية، وكان قيماً عليها، بصيراً بدقائقها. (الإبراهيمي، جوان ١٩٩٥م، ص ٣٨٥؛ حفناوي، د.ت، ص ٥٣٤). ومما لاشك فيه، فإنّ الشيخ الإبراهيمي خرّيج مدرسة المدينة المنورة وهذا ما يقوله بلسانه: "...فأنا لم أخرج في جامع الزيتونة، ولم أقرأ فيه حرفاً، ولكنّي تخرّجت، بالمدينة المنورة،..." (الإبراهيمي، ماي ١٩٣٦م، ص ١٥٩).

(١) إبراهيم بن حسن بن حسين الأسكوبي المدني، نسبة إلى أسكوب من بلدان يوغسلافيا، كان شاعراً ويحسن العديد من اللغات. (الزركلي، ١٩٨٧م، ج ١، ص ٣٥).

(٢) أحمد بن إسماعيل بن زين العابدين (ت ١٩١٩م)، شهاب الدين البرزنجي المدني، كان من مدرسي المسجد النبوي وتولى إفتاء الشافعية بالمدينة، وكان نائباً عنها في مجلس النواب العثماني. (الزركلي، ١٩٨٧م، ج ١، ص ٩٩).

(٣) العلامة الفقيه الأصولي الشيخ عبد الباقي النوشهري الكابلي الأفغاني الحنفي نزيل طرابلس الشام في مطلع القرن الرابع عشر الهجري، والمتوفى بجمص سنة ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٥م، وكان من أكابر علماء الأفغان الذين انتفع بهم علماء طرابلس، وقد برع في العلوم وألف المصنفات الدالة على علو كعبه في الفقه الحنفي وأصوله، وكان يقوم بطبعها وبيعها. كان من وجهاء حص وأعيانها توفي عن عمر ناهز ٨٥ عاماً، انظر: (دمج، ٢٠٢٣م، ص ٣٠٨ - ٣٠٩).

ومن الذين رحلوا إلى المدينة المنورة وتعلموا على يد شيوخ الحرم النبوي، الشيخ محمد العربي التباني السطايقي، ولد بسطيف سنة ١٨٩٧م، وتوفي بمكة سنة ١٩٧٠م، ودفن بمقبرة المعلاة. وفي تعليمه قال الشيخ في تعداد شيوخه: "أخذت العلم تحصيلاً عن جلة المشائخ، أجلهم بالمدينة المنورة: الأول شيخنا العلامة المحقق بن أحمد الونيسي القسنطيني... والشيخ عبد العزيز الوزير التونسي، والشيخ مكي عزوز"، والشيخ بلقاسم بن منيع القسنطيني^(١)..." (التباني، ٢٠١٤م، ص ٩).

٢- إجازة شيوخ المسجد النبوي للشيخ عبد الحميد بن باديس

الإجازة هي الإذن الذي يتلقاه طالب العلم في علمه من مستجيزه سواء لفظاً أو كتابةً (النبراوي، ١٩٩٩م، ص ٢٢٨)، كما يشير إلى ذلك القلقشندي بقوله: "جرت العادة أنه إذا تأهل بعض أهل العلم للفتيا والتدريس أن يأذن له شيخه في أن يدرس ويكتب له بذلك..." (القلقشندي، د.ت، ج ٢، ص ٢٢٦-٢٢٧). ومهما كان نوع الإجازة، سواء كانت شفوية أو كتابية، فإنها تمثل في الواقع دلالة على المستوى العلمي الذي وصل إليه العلماء، لا سيما في القرن العشرين، الذي يُعدّ قرناً للنبوغ العلمي الذي شهدته الجزائر على يد رواد النهضة العلمية. ومن أبرز هذه الإجازات هي التي نالها الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس، رائد النهضة الإصلاحية في الجزائر، عندما رحل إلى المدينة المنورة ودرس في المسجد النبوي على يد كبار شيوخه. من بين أهم الإجازات التي حصل عليها الشيخ عبد الحميد بن باديس

(١) أبو عبد الله محمد المكي بن مصطفى بن محمد بن عزوز الشريف الحسني الإدريسي المالكي التونسي ولد بنفذه ببسكرة سنة ١٨٥٤م. درس على يد كبار علماء تونس والجزائر، وبرع في المعقول والمنقول، في الفروع والأصول. انتقل في عام ١٩١٢م للتدريس في المدينة المنورة في الجامعة الإسلامية. توفي سنة ١٩١٦م. ينظر للتفصيل (الحسيني، ص ٢٠ وما بعدها).

(٢) الشيخ بلقاسم بن منيع القسنطيني (١٢٨٧ - ١٣٧٤هـ / ١٨٧٠ - ١٩٥٤م) شاعر، أديب، من نواحي قسنطينة. اشتغل بالتدريس والوعظ. من آثاره "نزهة اللبيب في محاسن الحبيب" قصيدة طويلة تزيد على أربعائة بيت، طبعت بمدينة قسنطينة سنة ١٩٢٦م. (نويض، ١٩٨٠، ص ٣٢٢).

في المسجد النبوي كانت إجازات في العلوم الشرعية والعلمية التي أسهمت بشكل كبير في تشكيل منهجه الإصلاحية الذي حمّله لاحقاً إلى الجزائر، لتكون نقطة انطلاق في مسيرته الإصلاحية وتعليمه للأجيال القادمة. نذكر:

أ- إجازة حمدان الونيسي

هي إجازة عامة مطلقة في المعقول والمنقول والفروع والأصول في ١٣ ربيع الأنوار ١٣٣٢ الموافق ل ٩ فيفري/ شباط ١٩١٤ م جاء فيها:

"وكان (يقصد الإمام عبد الحميد بن باديس) من جملة من قرأ علينا واستفاد وامتاز بصفة العلم والإدراك بين الأنداد، ابننا الفقيه الأجل الشيخ سيدي عبد الحميد بن باديس، وكنت أجزته مشافهة إذ كنت بالأقطار الجزائرية أعادها الله إلى دار الإسلام، ولما أردت مبارحتها، أوصيت أباه الأجل سيدي محمد المصطفى، بأن يرسله إلى تونس يكمل قراءته ويشفي علته ويطفي حرارته، فتم مراده والحمد لله، وحصل ورجع إلى بلده قسنطينة لإفادة طلاب العلم ومريديه، صحيح الإدراك والفهم، ثم في هذه السنة جاء حاجاً إلى بيت الحرام، وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام، ومكث عندنا بالمدينة المنورة إلى مولده صلى الله عليه وسلم.

ولما عزم السفر إلى مسقط الرأس؛ حيث المستقر، طلب من الفقير أن يسطر له ما كان شفاهاً ليتم له المقصود من الإجازة، ويكمل بهاء؛ فقلت بعد الاستخارة وأنا الفقير الذي لا حول ولا قوة، تطفلاً على موائد الكرام ذوي المفاخر العظام، عسى الله أن ينفعني بهم وإياهم، فأمام أهل القرب والجاء، أجزت ابننا المذكور في كل ما عندي في المعقول والمنقول والفروع والأصول إجازة عامة مطلقة، بشرط أن يعطي من التأمل والبحث مسألته حقها ومن بيانها وتوضيحها... وإلى أروى التفسير والحديث والفقه والأصول وسائر العلوم الآلية

(١) المعقول المعرفة التي تستند على العقل والتفكير المنطقي والاستدلال، والمنقول هو ما جاء عبر الوحي من الكتاب والسنة أو النقل الموثوق.

عن شيخنا العلامة سيدي أبي المواهب عبد القادر المجاوي القسنطيني (ت ١٩١٤م) ابن الإمام أبي محمد سيدي عبد الله المجاوي^(١)، أطال الله حياته، أمين عن شيخه سيدي الصالح الشاوي وخاتمة المحققين سيدي محمد قنون (كنون) الفاسيين، بسندهما وعن جميع مشيخة قسنطينة... المشايخ بالمغرب المشارق... حرر في الثالث عشر من ربيع الأنوار عام ١٣٣٢هـ/ الموافق ل ٩ فيفري/ شباط ١٩١٤م " (الدفتري، ورقة ٣٩-٤٠)^(٢).

ب- إجازة الشيخ أحمد الفيضي أبادي الهندي (ت ١٩٥٧م)

خادم العلم بالمسجد الشريف أجاز الشيخ عبد الحميد بن باديس إجازة عامة بجميع ما أجازته شيوخه العلماء ورؤسائهم العاملين في الهند وفي المدينة المنورة ومكة المكرمة، في ذلك يقول:

"فإن أخانا في الله الفتى اللبيب الفاضل الأريب الفقيه العلامة سيدي عبد الحميد بن محمد المصطفى بن باديس المغربي القسنطيني، قد اجتمعت به عام ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م (بالمدينة المنورة، حين قدومه من الحج لزيارة سيد الرسل عليه الصلاة والسلام، فاستجازني بالصحيح الست، مما تجوز لي روايته من كتب المعقول والمنقول، فأجزته بجميع ذلك... حسب ما أجازني مشايخي الكرام بالشروط المعبرة المعروفة عند العلماء العظماء، وإني أروي العلوم والكتب عن مشايخ كثيرين، من رؤوس علماء الهند ودار الهجرة البلد الأمين، جلهم من العلماء العاملين أمام الفقهاء المحدثين... " (ابن باديس، ورقة ٤١-٤٢)^(٣). وتمت الإجازة بتاريخ ربيع الأول من سنة ١٣٣٢هـ الموافق لشهر فيفري/ شباط ١٩١٣م.

(١) عبد القادر بن عبد الله بن عبد الكريم بن عبد الرحمن المشهور بالمجاوي الفقيه المفسر، ولد بتلمسان سنة ١٨٤٨م، أتم قراءة القرآن بطنجة حيث تقلد والد خطة القضاء. عبد القادر المجاوي عالم الجزائر وخطيبها وقاضيتها بتلمسان مدة ربع قرن. درس في مساجد قسنطينة. ويعتبر حمدان بن أحمد النونسي من أهم تلامذة الشيخ، ودرس معه سنة ١٨٨١م بالجامع الكبير قسنطينة. توفي سنة ١٩١٨م بقسنطينة (سعد الله، ١٩٩٠، ج ٢، ص ١٩٣).

(٢) ينظر مخطوطة الإجازة في الملحق.

(٣) ينظر مخطوطة الإجازة في الملحق.

ج- إجازة الشيخ محمد العزيز الوزير التونسي (ت ١٩١٧م)

تعتبر إجازة الشيخ محمد العزيز الوزير التونسي الإمام عبد الحميد بن باديس إجازة تامة مطلقة عامة في ١٤ أشرف ربيعي سنة ١٣٣٢هـ الموافق ل ١٠ من شهر فيفري/ شباط سنة ١٩١٤م. وفي ذلك يقول:

"جامع شتات المزايا الفاخرة، والخصال الحميدة الباهرة الشيخ سيدي عبد الحميد بن محمد المصطفى بن باديس القسنطيني؛ فكان من صالح نيّاته الحسنة، وطويات سرائره المستحسنة، أن رغب الإجازة، على العادة المألوفة المستجارية... فلم تسعني إلا إجابته وامتنال ما تحصل به رغبته.. فأجزت أخانا الفاضل المذكور بكل ما وصل إليّ واتصلت روايته لون من معقول ومنقول في فروع وأصول، لما أجازني به مشايخي الجهابذة الأنام بحاضرة تونس... ومن مكة المكرمة .. ومن المدينة المنورة... ومن الهند .. إجازة تامة مطلقة عامة، حاوية لإثبات المشاهير وأسانيد العلماء... وأوصية بما أوصيت به من التقوى والنصح من تحرير محمد العزيز الوزير في ١٤ أشرف ربيعي ١٣٣٢هـ الموافق ل ١٠ من شهر فيفري/ شباط ١٩١٤م)" (الدفتر، ورقة ٤٣-٤٤)^(١).

رابعاً: جهود العلماء المسلمين الجزائريين في نشر الثقافة الإسلامية العربية : التدريس بالمسجد النبوي أنموذجاً

لقد أدرك المصلحون في وقت مبكر من العهد السعودي أهمية تعميق الوعي الإصلاحي والنهوض به، وذلك من خلال الإشراف والتوجيه على أبرز الهيئات العلمية للتدريس في الحرمين الشريفين. وكان الشيخ العلامة عبد الرحمن بوحجر من أبرز الشخصيات الجزائرية السلفية التي هاجرت إلى المشرق طلباً للعلم، حيث أسهمت رحلته العلمية في إثراء الحركة الإصلاحية والتفاعل مع أفكار المصلحين في تلك الحقبة. ومن الذين تم تعيينهم في الحرم المدني وفي ١٨ / ١ / ١٣٤٧هـ - ١٩٢٩م، بقرار مرسوم ملكي جديد

(١) ينظر مخطوطة الإجازة في الملحق.

يشكل «هيئة لمراقبة الدروس والتدريس في الحرم» (إذ كان الملك (الملك عبد العزيز آل سعود) حريصاً على أن لا يحيد المدرسون عن تقرير مذهب السلف في العقائد، ومؤكداً عليهم في نهي الناس عن البدع الفاشية)... ويعيّن حضرات المشايخ الآتية أسماؤهم أعضاء مراقبين وهم... وذكرهم، ومنهم: الشيخ عبد الرحمن أبو حجر... (أبوراس، ١٩٨٧م، ص ١٧٩-١٨١).

ويصور أحد تلامذته حلقات التدريس وذكرياته مع شيخه في رسالة تحت عنوان: "فضيلة الشيخ عبد الرحمن أبو حجر":

"يكاد لا يختلف فضيلة الشيخ عبد الرحمن أبو حجر عن غيره من علماء الأزهر الذين قدموا الحجاز بطلب من الدولة السعودية للإسهام في دفع عجلة التعليم والثقافة، خاصة فيما يتصل بالعقيدة السلفية، تعرّفت على فضيلته منذ قدومه مع أصحاب الفضيلة الشيخ عبد الظاهر أبو السمح والشيخ محمد عبد الرزاق، وتتلذذت عليه في المسجد الحرام وكانت حلقة درسه متواضعة لا تضم أكثر من عشرين طالباً يجلس إليهم ضحوة كل يوم، قرأت عليه «سنن أبي داود»، وأعجبني في تقريره وشرحه أنّه يعوّل على ما وقف عليه من شرح العلماء وأقوالهم ويذكر مفاهيمهم ويعتمد على اجتهاداتهم في الحديث، ويتقيد بها؛ لذلك لم يؤخذ عليه مأخذ، ولم يحاسب على قول اعتمده أو قرّره لطلابه، كنت إذا وقفت على درسه وجّه نظرك إليه بلهجته المغربية التي كثيراً ما تسبق إلى لسانه على الرغم من محاولته النطق بالعربية الفصحى، فيه مرح لا يفارقه حتى وهو يلقي الدرس يضرب الأمثال بالنكتة المستملحة، ويحرّك الشعور بإلهاب الحماس في طلابه، والإخلاص يبدو واضحاً على محياه، فيجمع لهم بين العلم والمرح، فينتهي الدرس دون أن يشعر الطالب بملل أو ضغط فكري أو تعب نفسي، ومع الأسف لا أعرف الكثير من أخبار شيخنا أبي حجر؛ لأنّي لم أتعّمق في صحبته واتصالاتي به كاتصالاتي بالشيخين الكريمين الشيخ عبد الظاهر أبي السمح، والشيخ محمد عبد الرزاق، حتى هذه الكنية «أبو حجر» لست أدري من أين أتته؟! هل كانت عائلته تدعى بعائلة أبي حجر فاتصلت الكنية به؟ وكم كان يدور بخلدي أن أسأل فضيلته عنها في آية ساعة من ساعات انشراح صدره في الدرس أو بعد الدرس، ولكنني خشيت من ثورته، ومن أن يسمعي ما يشقّ علي سماعه كما قيل: «من سأل عمّا لا يعنيه سمع ما لا يرضيه»،

فأحجمت، واكتفيت بالإفادة من حضور درسه والاتصال به في بعض الفترات في المسجد أيضاً، فقد كان فضيلته انعزالياً لأبعد الحدود؛ لذلك لم أحظ بزيارته في داره، كان انعزالياً تمثيلاً مع قول القائل: «يا غريب كن أديباً»، أو تطبيقاً لبعض الآثار التي ترجح العزلة، ثم انتقل بعد مضي فترة إلى جُدة مدرّساً..... وإنَّ شخصية كشخصية شيخنا فضيلة الشيخ عبد الرحمن أبي حجر ليس غريباً أن تترك في نفسي أثراً يتجدّد كلما عرضت في الذهن هذه الشخصية، أو تحدث عنها المعاصر لها طالباً أو زميلاً أو غيرهما، يرحمه الله» (أبو راس، ١٩٨٧م، ص ٣٣٤-٣٣٦).

تسلط هذه الذكريات الضوء على شخصيّة الشيخ عبد الرحمن أبو حجر، التي تجمع بين العلم والصدق والإخلاص في التدريس، حيث كان له تأثير كبير على طلابه رغم عزوفه عن المشاركة الاجتماعية المكثفة. يشير فيها التلميذ إلى بعض الخصائص التي تميز بها الشيخ عبد الرحمن أبو حجر، مثل تواضع حلقات درسه، التي كانت تضم عدداً محدوداً من الطلاب، وأسلوب الشرح المبني على الاستناد إلى آراء العلماء واختيار الاجتهادات الصحيحة في تفسير الحديث. ويبيد التلميذ إعجابه بتوجيهات الشيخ التي تركز على تقوية الفهم الشخصي والاجتهاد، وعدم الاعتماد فقط على ترديد الأقوال. كما يتبين أنّ الشيخ كان يسعى إلى توصيل العلم بطريقة غير مملّة، بحيث كان يضيف جواً من المرح على دروسه، ويستخدم الأمثلة الطريفة التي تُسهم في تحفيز حماس الطلاب، ما يساعد في حفظ الطاقة الذهنية والنفسية للطلاب.

علاوة على ذلك، كان للدّرس الذي ألقاه الشيخ عبد الحميد بن باديس أثر بالغ في تعزيز مسيرة الإصلاح، حيث التقى بشيوخ الإصلاح في المسجد النبوي بعد أن أدى فريضة الحج وزار المدينة المنورة. هناك، التقى مع شيخه ومعلمه الشيخ أبو حمدان الونيسي، الذي كان قد هاجر إلى المدينة، بالإضافة إلى العديد من العلماء من مختلف أنحاء العالم الإسلامي. وقد نال شرف إلقاء درس في المسجد النبوي بحضور شيخه الونيسي وعدد كبير من المسلمين من ذوي الثقافات المتنوعة (عبد الباسط، أكتوبر ٢٠٠٧م، ص ٦٠). تجدر الإشارة إلى أنّ حلقات التدريس في المسجد النبوي كانت مفتوحة للجميع، حيث كان يحضرها

طلاب العلم وعامة الناس، وتتناول موضوعات متنوعة في العقيدة، والتفسير، والفقه، والقراءات، والنحو. وقد شكلت هذه الفرصة نقطة تواصل مهمة للشيخ عبد الحميد بن باديس مع مجموعة واسعة من العلماء والمفكرين من مختلف البلدان الإسلامية، حيث أقام في المدينة المنورة لمدة ثلاثة أشهر.

وليس أقل من سابقه، يعتبر الشيخ عمار بن محمد لزعر القماري من أعلام المدينة المنورة ومن فضائل شيوخها ومدرسي المسجد النبوي؛ حيث "استقبله العلماء ورحبوا به، والتقت معه القلوب، واتسع نطاق معارفه، وعلموا بما عنده من علم فبدأ يعطي دروسه حتى طبق صيته علماء المسجد النبوي الشريف؛ فرشحوه مدرساً رسمياً بتاريخ ١/١/١٣٦٦هـ-١٩٤٦م وعقد للعلم وأهله سوقاً نافعا، والتف حوله طلاب العلم من المدينة المنورة ومن المهاجرين إليها، وقد درس صحيح البخاري، ومن أشهر تلاميذه فضيلة الشيخ محمد الحركان وزير العدل سابقاً، وفضيلة الشيخ العلامة عمر فلاتة المدرس بالمسجد النبوي، وفضيلة الشيخ القاضي عطية محمد سالم المدرس بالمسجد النبوي الشريف" (الكتبي، ٢٠١٦م، ص ٣٨٢).

وبالمثل، تصدر الشيخ حميدة الطيب (١٢٨٨-١٣٦٢هـ/ ١٨٧٠-١٩٥٠م) للتدريس في المسجد النبوي؛ فجعل المسجد مأواه طوال يومه وبعض ليله يدرس العلوم الدينية والعربية فتعرف عليه طلاب العلم والتفوا حوله وآثروه على غيره لما لمسوا لديه من علم غزير وبيان منير وأفاد وانتفع به الكثير، وكان يقضي طوال يومه في التدريس والعبادة وله ثلاث حلقات يومية يصلي الفجر ويلتف الطلاب من حوله فيعقد حلقاته الأولى ويدرس بها الفقه فإذا ختم الدرس أخذ يدرس النحو الأجرومية^(١) مرة والألفية^(٢) مرة وغيرهما. وبعد

(١) الأجرومية متن نحوي مختصر، من تأليف الإمام محمد بن محمد بن داود ابن أجروم، تابعت الأجيال على دراسته من كل البلاد والأمصار، وهو بمثابة مدخل لدراسة النحو، فاختصاره ووضوح عباراته سهلا حفظه على المبتدئين. ينظر للتفصيل (العيوني، د.ت، ص ١٣).

(٢) الألفية وتسمى الخلاصة من مصنفات أبو عبد الله محمد جمال الدين بن عبد الله بن مالك الأندلسي. لخص فيه علمي النحو والصرف، صاغها مالك نظماً على بحر الرجز ليجمع فيها شتات القواعد النحوية فيسهل حفظها، واسترجاعه على المبتدئين والطلاب الدارسين. ينظر الألفية (ابن مالك، ١٤٢٨هـ).

صلاة العصر يلتف الطلاب من حوله وتمتلى حلقته بطلاب العلم وكان وقتاً مناسباً حيث يسود الهدوء المسجد النبوي الشريف فلا يوجد به إلا طلبة العلم وقليل من الصالحين وكان يدرس فيها كتب القواعد. أما عن حلقته الثالثة وهي بعد صلاة المغرب وكانت أكبر حلقات الشيخ يحضرها طلاب العلم من مختلف الأقطار الإسلامية وفي هذا الوقت كانت ساحات المسجد النبوي كخلية النحل لا تجد موقعاً في المسجد إلا وهناك شيخ ومن حوله طلابه لأن المسجد النبوي كان وما زال المدرسة الأولى أو الجامعة الإسلامية الكبرى.."(الكتبي، ٢٠١٦م، ص ٨٩-٩٩).

وبسبب الحرب العالمية الأولى خرج الشيخ حميدة الطيب من المدينة المنورة لاضطراب الأوضاع الأمنية بها، وبعد نهايتها عاد الشيخ مرة ثانية إلى المدينة المنورة، وبدأ يمارس التدريس ثانية في المسجد الشريف كعادته وعادت حلقات العلم الخاصة بالشيخ حميدة إلى سابق عهدها ثلاث حلقات يومياً. وكان الطلاب يقدون على بيته ليسألوه في مسائل شتى فيستقبلهم بصدر رحب ويحنو عليهم حنو الأب على أبنائه ويقدم الطالب النبيه منهم ويأخذ بيده ليحتل المقام الأول بين العلماء ويصبح عالماً كبيراً فرحمة الله عليه كان لا يقصر في إعطاء العلم وهو مثلاً للعلماء الأعلام. الشيخ حميدة قاضياً. وعندما حل العهد السعودي الزاهر في عصر المؤسس الأول الملك عبد العزيز آل سعود عين الشيخ حميدة قاضياً في المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة، لكنه لم قدم استقالته ليتفرغ للتدريس ونشر العلم (الكتبي، ٢٠١٦م، ص ٨٩-٩٩).

خامساً: أثر المسجد النبوي في النهضة الإصلاحية للأمة الجزائرية

١ - المسجد النبوي نواة لتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

لقد اضطلع دعاة الحركة الإصلاحية الجزائرية في الحجاز بدور رائد وحيوي في فهم النهج السلفي، وتحصيل العلم، باعتبارهما أساساً قوياً للإصلاح. ولا يفوتنا أن ننوّه بالدور الكبير للمسجد النبوي في تعزيز ثمره العمل الإصلاحي منذ عام ١٩١٣م في المدينة المنورة، وخاصة خلال لقاء الشيخ عبد الحميد بن باديس مع الشيخ محمد البشير الإبراهيمي. حيث

وصف الإبراهيمي لقائه بابن باديس في المدينة المنورة، مؤكداً الأثر العميق لهذا اللقاء في تعزيز مسيرة الإصلاح وتوجيهه:

"كان من تدابير القدرة الإلهية للجزائر، ومن مخبات الغيوب لها أن يرد علي بعد استقرار في المدينة المنورة سنة وبضعة أشهر أخي ورفيقي في الجهاد بعد ذلك، الشيخ عبد الحميد بن باديس، أعلم علماء الشمال الإفريقي ولا أعالي، وباني النهضة العلمية والأدبية والاجتماعية والسياسية في الجزائر- وهذه الشهادة من الشيخ الإبراهيمي لها وزنها الذي لا يضاهي- كنا نؤدي صلاة العشاء الأخيرة كل ليلة في المسجد النبوي، ونخرج إلى منزلي فنستمر مع الشيخ ابن باديس منفردين إلى آخر الليل حين يفتح المسجد، فندخل مع أول داخل لصلاة الصبح ثم نفرق إلى الليلة الثانية إلى نهاية الثلاثة أشهر التي أقامها الشيخ في المدينة، كانت هذه الأسفار المتواصلة كلها تديراً للوسائل التي تنهض بها الجزائر، ووضع البرامج المفصلة لتلك النهضة الشاملة التي كانت كلها صوراً ذهنية تترأى في مخيلتنا، وصحبها مع حسن النية وتوفيق الله ما حققها في الخارج بعد بضع عشرة سنة، وأشهد الله على أن تلك الليالي من عام ١٩١٣ م هي التي وضعت فيها الأسس الأولى لجمعية العلماء المسلمين في الجزائر التي لم تبرز إلى الوجود إلا في عام ١٩٣١ م" (الإبراهيمي، ١٩٩٧م، ج ٥، ص ٢٧؛ الإبراهيمي، ١٩٦٤م، ص ص ١٤٠-١٤١).

يظهر أن بداية ظهور "جمعية العلماء المسلمين في الجزائر" كانت نتاجاً لتخطيط طويل الأمد، حيث كانت الأسس الأولى للجمعية قد وُضعت في لقاءات مكثفة بين الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ محمد البشير الإبراهيمي في المدينة المنورة عام ١٩١٣م. تميزت هذه اللقاءات بتنوع الأفكار والرؤى التي تهدف إلى نهضة الجزائر على الأصعدة العلمية والثقافية والاجتماعية، وقد استمرت تلك المناقشات لعدة أشهر. ومن خلال حديث الإبراهيمي عن تلك الفترة، يتضح أن اللقاءات كانت تدور حول تحديد الوسائل التي من خلالها يمكن للجزائر أن تنهض وتستعيد هويتها، عبر تعزيز التعليم وتأسيس قاعدة علمية متينة. تحققت

أهدافها بعد بضع عشرة سنة، حيث ظهرت "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" في سنة ١٩٣١م كأداة رئيسية لتحقيق النهضة.

ويؤكد الشيخ الإبراهيمي بأنّ "الأسس الأولى لجمعية العلماء لم تبرز للوجود إلا في عام ١٩١٣م، ونادى بها الشيخ عبد الحميد بن باديس عام ١٩٢٥م في نداء وجهه للعلماء والمصلحين، داعيا إياهم لتأسيس حزب ديني، لتنقية الدين من الشوائب والبدع، والرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة" (بوصفصاف، ١٩٨٢م، ص ١٠٠-١٠١). ركزت الدعوة الإصلاحية للجمعية على أصول المنهج الإسلامي من الكتاب والسنة النبوية كركيزة قوية للدفاع عن المقومات الدينية للشعب الجزائري إبان الفترة الاستعمارية.

وعليه، توج اللقاء بين الشيخين في المسجد النبوي بوضع النواة الأولى لجمعية الإصلاحية التي سيكون لها دور حاسم في مواجهة الاستعمار الفرنسي وتحقيق الأهداف التي رسمها مؤسسوها في المدينة المنورة. تمثلت هذه الأهداف في تعميق جذور الثقافة الإسلامية، وإعادة بناء وتجديد طرق التعليم، وإحياء اللغة العربية، وتصحيح العقيدة الإسلامية. وقد تجسّد وجود الجمعية على أرض الواقع في الجزائر عام ١٩٣١م، حيث ظهرت كهيئة منظمة وهادفة، أثبتت وجودها بقوة على الصعيدين الداخلي والخارجي. وبذلك، عززت الجمعية الأفكار الإصلاحية في الجزائر، وأسهمت في مقاومة الاستعمار الفرنسي من خلال تعليم الأجيال العربية والإسلامية وتوجيهها نحو استعادة هويتها الثقافية والدينية

٢- أثر المسجد النبوي في تعزيز المنهج الإصلاحي عند الشيخ عبد الحميد بن باديس:

مثل المسجد النبوي حلقة تواصل حيوية بين الشيخ عبد الحميد بن باديس وأصدقائه، وله الأثر في بناء إستراتيجية الخلاص من قبضة الاستعمار الفرنسي. وقد أسهم هذا التواصل في تحديد أساليب التعامل مع الواقع الجزائري، مما مكنهم من إجراء تحليل عميق للظروف الاجتماعية والسياسية في الجزائر. وعلى ضوء هذا الفهم الدقيق والواعي للوضع، تم تأسيس الأسس السليمة لعلاج المجتمع الجزائري، مع التركيز على تجديد الفكر الديني، وتطوير التعليم، وتعزيز الهوية الثقافية. وصرح الشيخ عبد الحميد بن باديس بأنّ هذه الإستراتيجية لم

تنبثق من العدم، ولم تكن ناتجة: "عن مجرد عاطفة دينية ووطنية جياشة، وإنّما كان منطلقاً من دراسة عميقة للشعب الجزائري فيما يعانيه من أمراض، وفيما تتطلبه تلك الأمراض من علاج" (النجار، ٢٠١٠م، ص ٨٣).

والحقيقة الظاهرة للعيان أنّ الخطوط العريضة لهذه الإستراتيجية تبلورت في ظل اللقاءات المتواصلة بين الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ البشير الإبراهيمي في المدينة المنورة سنة ١٩١٣م، والتي قال عنها الإبراهيمي: "كنا نؤدي فريضة العشاء الأخيرة كل ليلة في المسجد النبوي ونخرج إلى منزلي؛ فنسمر مع الشيخ ابن باديس منفردين إلى آخر الليل، حين يفتح المسجد؛ فندخل مع أول داخل لصلاة الصبح، ثم نفترق إلى الليلة الثانية، إلى نهاية الثلاثة أشهر التي أقامها الشيخ بالمدينة المنورة، كانت هذه الأسفار المتواصلة كلها تدبيراً للوسائل، التي تنهض بها الجزائر، ووضع البرامج المفصلة لتلك النهضة الشاملة التي كانت كلها صوراً ذهنية تتراءى في مخيلتنا.." (الإبراهيمي، ١٩٨٥م، ص ١٩).

مكث الشيخ مدة ثلاثة أشهر بالمدينة المنورة وكان من أبرز لقاءاته تلك مع الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الذي سبقه من الجزائر إلى الحجاز؛ فتلقى الثنائي أبجديات الإصلاح بالمدينة المنورة وانعقدت بينهما الصداقة، وقد أقاما معاً مدة تعارفا فيها وتجاوزا معاً في شأن الخطة «الإصلاحية» التي يجب أن تضبط لعلاج الأوضاع المتردية في الجزائر. وركزا على محاربة الجهل بالعلم، والجوع بالدعوة إلى العمل، والقيود بتحرير النفوس أولاً من الخرافات والشعوذة، مناديان بالعبودية لله الواحد القهار فلا يبقى عبودية لأحد سواء لفرنسا أو لغيرها، ويوحدا الشعب الجزائري تحت راية الإسلام، فيبتلا مخططات فرنسا في تفريق الأمة إلى أشلاء ممزقة (الإبراهيمي، ١٩٨٥م، ص ١٣٥-١٥٤).

لقد أدرك الشيخ عبد الحميد بن باديس بأن طريق التربية هو السبيل الوحيد لتصحيح العقائد وتقويم الأخلاق، واحتلت عملية إصلاح عقيدة الجزائريين حيزاً هاماً في إستراتيجية الإصلاح التربوي والاجتماعي عند الشيخ. خاصة أنّ المجتمع الجزائري قد أفسدته الطرقية عن طريق البدع والخرافات. وقد عبر الشيخ البشير عن هذا الإدراك بقوله: "كان من نتائج

الدراسات المتكررة للمجتمع الجزائري بيني وبين ابن باديس، منذ اجتماعنا في المدينة المنورة: إنَّ البلاء المنصب على هذا الشعب المسكين آت من جهتين متعاوتين عليه، وبعبارة أوضح: من استعمارين مشتركين يمتصان دمه ودنياه، استعمار مادي، هو الاستعمار الفرنسي يعتمد على الحديد والنار، واستعمار روحاني يمثله مشايخ الطُّرق المؤثرة في الشعب، والمتغلغلون في جميع أوساطه، المتاجرون باسم الدِّين، المتعاونون مع الاستعمار عن رضا وطواعية... ومظهرهما معا تجهيل الأمة لثلاث تفيق بالعلم فتسعى إلى الانفلات، وتفقيرها لثلاث تستعين بالمال على الثورة" (بلغيث، ٢٠٠٩م، ص ١١١). ويبدو أنَّ الشيخ عبد الحميد بن باديس على دراية بأنَّ الطريقة المنحرفة سبب من أسباب البدع والخرافات ومساعدة الاستعمار فرأى من الضروري مناوأتها ومحاربتها عن طريق الدَّعوة الإصلاحية للمجتمع.

اتسمت منهجية الشيخ عبد الحميد بن باديس في المسجد النبوي في تكوين جيل صالح بالتربية والتعليم، وأفصح الشَّيخ البشير الإبراهيمي في تحديده للخطة التعليمية التي اتفق عليها مع الشيخ عبد الحميد بن باديس عليها، وفي هذا الصدد يقول: "كانت الطريقة التي اتفقنا عليها أنا وابن باديس في المدينة المنورة في تربية النِّشء هي أن لا نتوسع له في العلم، وإنَّما نربيّه على فكرة صحيحة ولو مع علم قليل" (الإبراهيمي، ١٩٩٧م، ج ٥، ص ٢٨٠).

بالمقابل، يرى بعض المؤرخين أنَّ منهج الشيخ عبد الحميد بن باديس في الإصلاح ما هو إلا امتداد للدَّعوة السَّلفية عن طريق أساتذته بالمسجد النبوي؛ فعلى الرَّغم من تأثره المؤكَّد بمدارس الإصلاح الدِّيني في المشرق، استطاع أن يقدم إضافات مهمة إلى الفكر الإصلاحي وكانت إضافة عملية أكثر منها نظرية، لأنَّ الإسهام الَّذي قدمه الشيخ عبد الحميد بن باديس لحركة الإصلاح الدِّيني، كان نتيجة تحليله للظُّرف الخاص الذي كانت تمر به الجزائر فيما بين الحريين، أكثر مما كان تفلسفًا نظريًا وبحثًا في التجديد (الملي، ١٩٨٠م، ص ١٠-١١).

سادساً: دور شيوخ المسجد النبوي في ترسيخ الدعوة الإصلاحية لدى العلماء المسلمين الجزائريين

لقد تأثر علماء الجزائر بشيوخهم في جوانب كثيرة من علم وخلق ومبادئ وآراء. فقد أحاط الشيخ حمدان الونيسي العقبي "الشيء الكثير عن معاناته في الجزائر وترحاله بين عواصم عديدة، وقد أفاد بذلك العقبي الذي كان يجهل الشيء الكثير عما هو موجود في الجزائر" (مريوش، ٢٠١٢م، ص ١٤). ومن تصاريق القدر، يشاء الله أن يتلمذ كل من الشيخ عبد الحميد بن باديس والطيب العقبي على يد حمدان الونيسي، والشيخ الإبراهيمي والطيب العقبي على يد الشيخ عبد الله زيدان الشنقيطي، و"لعل جامع الثقافة هو ما أهل العلماء الثلاثة لخوض مسيرة إصلاحية مشتركة في أرض الجزائر في مطلع العشرينات" (السنوسي، ١٩٢٦م، ج ١، ص ١٣٦).

يبدو أن هذا الاتصال العلمي هو الذي رسم طريق الإصلاح والجهاد ضد الاستعمار الفرنسي بسلاح العلم؛ فقد وصى الشيخ حمدان الونيسي تلميذه الشيخ عبد الحميد بن باديس بأن يأخذ بنهج العلماء الصالحين العاملين، فالعلماء هم ورثة الأنبياء في إصلاح الخلق والجهاد بالحق، وأن هذه الأمة نشأت بالدين، ولا بد أن يقودها العلماء العاملون، الذين يجمعون بين فضيلتي العلم والتقوى وبين الشجاعة والذكاء، ومن ثم الاستقلال عن أصحاب الجاه والنفوذ. لأن العلماء الصالحين هم الأكثر أهلية لثقة الأمة وقيادتها، لإخراجها من أزماتها وإيجاد الحلول لمشاكلها الحقيقية، ووضعها على طريق المستقبل الذي يعيد لها مكانتها الحضارية بين الأمم وحتى تستعيد زمام المبادرة كصاحبة رسالة إنسانية عالمية أشمل (العبد، ١٩٩٨م، ص ٥٨).

وفي السياق نفسه، أخذ الشيخ حمدان الونيسي على الشيخ عبد الحميد بن باديس عهداً ألا يعمل موظفاً في الحكومة، حتى يتفرغ لخدمة دينه وأمه بعيداً عن كل تأثير خارجي قد يفسد عليه حكمه، أو يبعده عن غايته فيميل به عن جانب الحق، ونفذ عبد الحميد هذا العهد وطبقه - فيما بعد - مع من كان يتوسم فيه الخير من تلاميذه (قاسم، ١٩٧٦م، ص ١٦). لقد

أتاح التزام الشيخ عبد الحميد بن باديس بالعهد الذي قطعه على نفسه بعدم العمل كموظف حكومي، له التفرغ الكامل لخدمة الدين والأمة. هذا الالتزام جسّد حرصه على الحفاظ على استقلالية مشروعه الإصلاحي بعيداً عن أي ضغوط أو تأثيرات خارجية قد تحرفه عن الحق. لم يقتصر دوره على نفسه فقط، بل عمل على تطبيق هذا المبدأ مع تلاميذه الذين رأى فيهم الخير والصالح، لضمان استمرارية مشروعه الإصلاحي بنفس القيم النزمية.

ويظهر التأثير واضحاً في تقبل التوجيه والنصح من قبل الشيوخ، فهذا الشيخ أحمد الفيضي أبادي الهندي اقترح على ابن باديس العودة إلى الجزائر لحاجتها لعلمه وعمله، قائلاً لهما ما معناه "أنّ بقاءكما بالمدينة لن يفيد الجزائر بشيء، ولكن عودوا إلى بلادكم وابدؤوا بتعليم القرآن الكريم في كل مكان يتيسر لكم ذلك، إنّ الفرنسيين لن يستطيعوا الأمر بمنع تعليم أطفال الجزائر القرآن الكريم" (مغربي، ١٤١٤هـ، ج ٤، ص ١٢). ويبدو أنّ هذا اللقاء ترك أثراً بالغاً في نفس الشيخ عبد الحميد بن باديس حيث جعله يوح بقصته بعد حوالي ربع قرن؛ ففي الاحتفال الذي أقيم بمناسبة افتتاح "دار الحديث" بمدينة تلمسان^(١) سنة (١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م) جاء في الكلمة التي ألقاها الشيخ عبد الحميد بن باديس بالمناسبة "أذكر أنّني زرت المدينة المنورة، واتصلت فيها بشيخي الأستاذ حمدان الويسي، المهاجر الجزائري، وشيخي أحمد الفيضي أبادي الهندي أشار علي الأول بالهجرة إلى المدينة، وقطع كل علاقة بالوطن، وأشار علي الثاني وكان عالماً حكيماً بالعودة إلى الوطن وخدمة الإسلام العربية فيه بقدر الجهد، فحقق الله رأي الشيخ الثاني، ورجعنا إلى الوطن، بقصد خدمته، فنحن لا نهاجر، نحن حراس الإسلام والعربية والقومية... في هذا الوطن." (ابن باديس، ٢٠٠٣م، ص ١١؛ قاسم، ١٩٧٦م، ص ١٦-١٧؛ الطالب، ١٩٩٩م، ج ٥، ص ٣٦٠).

(١) تلمسان: مدينة قديمة أثرية، كانت عاصمة بني عبد الواد في العصر الوسيط، وهي قريبة من الحدود الجزائرية

المغربية. ينظر: (الإدريسي، د.ت، ج ١، ص ٢٤٨).

عمل الشيخ بنصيحة علماء المدينة المنورة وعاد إلى قسنطينة في سنة ١٩١٣ م، وشرع لتوه في العمل التربوي حيث اتخذ وسيلة للإصلاح الثقافي والاجتماعي والسياسي (الطالبي، ١٩٩٩م، ج٤، ص ٨٠-٨١-١٠٠). التحق الشيخ الإبراهيمي بالجامعة في عام ١٩٢٠م بهدف تنفيذ ما اكتسبه من معارف في المملكة العربية السعودية داخل المساجد، واستمر في ذلك حتى عام ١٩٢٤م. ومنذ بداية فكرة تأسيس جمعية العلماء، كانت تهدف إلى أن تكون واجهة لنشر الفكر السلفي الإصلاحي، حيث وضع أسسها لتكون جمعية سلفية بامتياز في قوله "الأصل الخامس: سلوك السلف الصالح الصحابة والتابعين وأتباع التابعين مع تطبيق صحيح لهدي الإسلام. والأصل السادس: فمفهوم السلف الصالح أصدق مفهوم لحقائق الإسلام ونصوص الكتاب والسنة ... والأصل السابع عشر: ندعو إلى ما دعا إليه الإسلام، وما بيناه من الأحكام بالكتاب والسنة وهدي السلف الصالح من الأئمة" (الإبراهيمي، ١٩٩٧م، ج٣، ص ١٥٥).

وبالموازاة، اعتبر الشيخ عبد الحميد بن باديس بأن الحركة الإصلاحية هي حركة تطهير للدين من كل ما أحدث فيه المحدثون من البدع، في الأقوال والأعمال والعقائد، والرجوع بالمسلمين إلى الصراط السوي من دينهم القويم بعد انحرافهم الكثير وزيفهم المبين (الإبراهيمي، ١٩٩٧م، ج٥، ص ٣٢-٣٤). وبنفس المنظار يوضح الطيب العقبي مذهب الحركة الإصلاحية وأصولها التي تنبثق من "ديننا وملتنا السمحة التي ندين الله بها، وعليها نحيا وعليها نموت ونبعث إن شاء الله من الآمنين..." (العقبي، ١٩٣٣م).

ليس من الغريب، أن تجد الحركة الإصلاحية في نفوس علماء المسجد النبوي وأفاضل شيوخها مكانا للدعم وإشعال الحماس لدى الطلبة الجزائريين، وذلك حرصا على تمتين دعائم الإسلام في العالم الإسلامي، والجزائر خصوصا لأنّ الوضع كان يتزايد خطورة ومن الضروري شن حملة إصلاحية للتخلص من سيطرة الاستعمار الفرنسي. كما أن عملية النصح والتوجيه نحو الدعوة الإصلاحية انطلقت من الطلائع الجزائرية التي تغذت واهتدت من المركز العلمي الممثل في الحرم النبوي، وحتى يستفيد أبناء البلد من العلماء مما يحقق الهوية العربية الجزائرية.

سابعاً: مساهمة الشيخ عمار بن عبد الله بن الأزعر في دعم القضية الجزائرية

تميزت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بنشاطها المكثف في دعم القضية الجزائرية من خارج البلاد، مع تركيز خاص على التواصل مع الجالية الجزائرية في المشرق، ولا سيما في المملكة العربية السعودية. وقد تكفل الشيخ البشير الإبراهيمي بمهمة حث الجزائريين المقيمين في المشرق على تقديم الدعم المالي لتحرير الوطن. وانصبت جهوده الأساسية على التعاون مع الشيخ عمار بن الأزعر، الذي كان حلقة الوصل الأساسية بين الجزائريين في السعودية، مما جعله يؤدي دوراً بارزاً في تحفيزهم ودفعهم نحو المشاركة الفاعلة في دعم القضية الوطنية.

ومما يقوم هذه الرؤية الرسالة التي بعثها الشيخ البشير الإبراهيمي من القاهرة في ٨ شوال ١٣٧٤هـ/ ٢٩ ماي ١٩٥٥م إلى الشيخ عمار، يقول فيها: "الأخ المحترم العلامة السلفي سيدي عمار ابن عبد الله بن الأزعر، أبقاه الله للخير والرحمة، بلغتنى اليوم رسالة من إخواننا الجزائريين، لا أشك في أنكم السبب الأول في تحريم هذه المنقبة التي تضمنتها رسالتهم وهي التأثير بحالة وطنهم والاهتمام البليغ بما يجري فيه، فلا تسل أيها الأخ العزيز بفرحي لهذه الهزة التي لا أستغربها في الجزائري ... ولقد دمت عيناى تأثراً بهذه الأريحية وهذه الغيرة، لقد أخذوا رأيي في كيفية أداء واجبهم، وأنا موافق بل محرض على هذه الأعمال الجليلة خصوصاً وهم معترفون بفضلكم، وعاملون بإرشادكم وتوجيهكم، وتحت رئاستكم، وهل يعقل أن أتسبب في حرمان جزائري من الجهاد في تحرير الوطن، وأعتقد أنكم تقرؤون "البصائر" بانتظام، وترون أنها جاهرت بالرأي الصريح، والتوجيه الصحيح.. وأنتم أول من يعلم أنه: لولا جمعية العلماء، وجرائدها... لما بقي في الجزائر إسلام ولا عروبة.. اشرعوا على بركة الله، ونظموا شئونكم، وشكلوا لجنة تكونون على رأسها، ... كونوا على اتصال دائم بي.. سلامي إلى جميع الإخوان الجزائريين، أخوكم المشتاق" (كاشة، ٢٠٠٤م، ص ص ٧٣-٧٤).

تبرز الرسالة عمق العلاقة بين الشيخ البشير الإبراهيمي والشيخ عمار بن الأزعر، الذي كان رائداً في تعبئة الجزائريين بالسعودية لدعم قضية وطنهم. ويشيد فيها الإبراهيمي بدور ابن الأزعر في تحفيز الجالية الجزائرية على الاهتمام بأوضاع الجزائر والمشاركة الفاعلة في تحريرها. كما يعبر عن تأثره الشديد بحماسهم الوطني ويدعو إلى تشكيل لجنة تحت قيادة ابن الأزعر لتنظيم الجهود والتواصل الدائم معه، مؤكداً على الدور الجوهري لجمعية العلماء وجرائدها في الحفاظ على هوية الجزائر الإسلامية والعربية.

خاتمة:

تعدّ الدّعوة الإصلاحية من أبرز الحركات الفكرية التي شكّلت مسار النّهوض الحضاري للأمة الإسلامية في القرن العشرين، إذ جمعت بين الدّعوة إلى التمسك بجوهر الدين الإسلامي وتعاليمه الصحيحة، ومواجهة التحديات الاستعمارية الفكرية والاجتماعية والسياسية التي تهدد كيان الأمة الإسلامية. ولتجسيد هذا الإصلاح تصبح المراكز العلمية والدينية الكبرى كالمسجد النبوي منبرا مهما في بناء ودعم نهضة المجتمعات.

ومن بين الشعوب الإسلامية التي عرفت حراكاً إصلاحياً متميزاً خلال العصر الحديث، الشعب الجزائري الذي خاض مسيرة طويلة من النضال الفكري والروحي لمواجهة التحديات التي فرضها الاستعمار الفرنسي. وفي ظل هذه الظروف الصعبة، لجأ العلماء الجزائريون إلى الحجاز؛ حيث حظوا بمكانة علمية مرموقة نتيجة احتكاكهم بكبار العلماء والمشايخ في المسجد النبوي، الذين تلقوا على أيديهم العلم وأصول الفكر. وأتاح لهم هذا التفاعل إظهار تفوقهم العلمي وإبراز قدراتهم الفكرية.

يعد الشيخ عبد الحميد بن باديس أحد أبرز رموز الإصلاح في الجزائر ومن الدعاة المخلصين والمصلحين المجتهدين، الذين ساروا على نهج شيوخهم في المسجد النبوي، سواء ممن عاصروهم أو تأثروا بإرثهم العلمي والفكري. فقد وضع ابن باديس في المدينة المنورة أسس منهجه الإصلاحية، مستفيداً من البيئة العلمية الغنية التي وفرها علماء المسجد النبوي، حيث أسهمت هذه البيئة الحاضنة في تشكيل رؤيته الإصلاحية وترسيخ دعائم مشروعه.

ومن رحم هذه التجربة، نشأت النواة الأولى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي حملت على عاتقها تكوين جيل جديد من العلماء المسلمين، عازمين على مواصلة مسيرة الإصلاح واستعادة الهوية العربية والإسلامية.

لا يمكن إنكار الدور الجوهري الذي اضطلع به شيوخ المسجد النبوي في ترسيخ الدعوة الإصلاحية لدى العلماء والطلاب الجزائريين. فقد ساهموا في تأسيس فكر إصلاحي متين يقوم على إصلاح العلماء أنفسهم وتكوينهم تكويناً علمياً ودينياً متكاملًا، انطلاقاً من أن التعليم يشكل أحد المبادئ الأساسية التي يجب أن يتحلى بها كل داعية. كما قام العلماء في المسجد النبوي بتوجيه الجزائريين، محذرين إياهم من المسؤولية الكبرى التي تنتظرهم في وطنهم، ألا وهي حماية الإسلام ونشره.

وباختصار، غرس المسجد النبوي أسس ومبادئ الدعوة الإصلاحية لدى رواد النهضة الجزائرية. هؤلاء الرواد عادوا إلى وطنهم حاملين شعلة الإصلاح، ليبدؤوا مرحلة جديدة ومشرقة للعروبة والإسلام، ويبعثوا روح التحرير والانعتاق في المجتمع الجزائري.

اسم الكتاب
صحة
الصفحة
العدد
الكتاب

اسم الكتاب	وصف حوران الوفي بن عبد الله	التهنئة والثناء
الذين هم محسنون ولا اوبسا في حق دعائه في غلوته وتطويرة فان دعاءه الى الله من اذنه الى من عن ظهر القلب مستجاب والله الموفق الصواب واليه المرجع والمآب والصلاة والسلام على سيدنا محمد افضل من غيره ثم رثاهما فاب وتطاولت وصحابة خلفاء السلف والذين لا يلهون طراحيهم يحرم في الثالث عشر من ربيع الثاني من عام اثنين واربعمائة وثمان مائة والى من حجهم من على الحسل وصف عليه السلام	وصف حوران الوفي بن عبد الله	

المصادر والمراجع:

- الإبراهيمي، محمد البشير، (١٩٣٦م)، *جريدة البصائر*، السنة الأولى، العدد ٢٠، السنة ٢٢، ماي.
- ، (١٩٩٥م)، *خلاصة تاريخ حياتي*. الموافقات، تصدر عن كلية أصول الدين بجامعة الجزائر، العدد الرابع، السنة الرابعة، محرم ١٤١٦ هـ، جوان.
- ، (١٩٨٥م)، *أنا*، موضوع في مجمع اللغة العربية، مجلة الثقافة، السنة الخامسة عشر، العدد ٨٧ رمضان ١٤٠٥ هـ / مايو.
- ، (٢٠٠٧م)، *في قلب المعركة*، دار الأمة، الجزائر.
- ، *مجلة مجمع اللغة العربية*، القاهرة، ١٩٦٤ م، ع ٢١.
- ، (١٩٩٧م)، *الآثار*، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ط ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- الإدريسي، الشريف محمد، (د.ت)، *نزهة المشتاق في إختراق الأفاق*، (د.ط)، بوسعيد، مصر.
- أشكاني، حسين، (٢٠٠٩م)، *سطيف تاريخ الانسان منذ آلاف السنين*، مجلة القدس، العدد ١٣٠١٥، السنة ٣٨.
- ابن باديس، عبد الحميد، (٢٠٠٣م)، *كتاب التفسير (تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم)*، جمع وترتيب توفيق محمد شاهين، ومحمد الصالح رمضان، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ، (١٩٣٤م)، *مجلة الشهاب*، الجزء ١١، المجلد ١٠، عدد أكتوبر .
- ابن تيمية، (٢٠٠٥م)، *مجموعة الفتاوى*، تحقيق: عامر الجزار وأنور الباز، ط ٣، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة - مصر، ج ١٥.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، (د.ت)، *لسان العرب*، دار صادر، بيروت.
- أبوراس، عبد الله سعيد، (١٩٨٧م)، *الملك عبد العزيز والتعليم*، شركة العبيكات، الرياض.
- بلغيث، محمد الأمين، (٢٠٠٩م)، *تاريخ الجزائر المعاصر دراسات ووثائق*، ط ١، دار مدني للطباعة والنشر، الجزائر.
- بلقزيز، عبد الله، (١٩٩٧م)، *الخطاب الإصلاحي في المغرب*، ط ١، دار المنتخب، بيروت.

بوطيبي، محمد، التعليم في جامع الزيتونة خلال النص الأول من القرن العشرين (دراسة في المنهج والبرنامج)، المجلة المغاربية للمخطوطات، جامعة الجزائر ٢، العدد ٥، شهر جوان.
التباني، السطايفي محمد العربي، (٢٠١٤م)، إتحاف ذمي النجابة، قراءة وتعليق: أبو إسحاق رضا الزاوي، دار زمورة، الجزائر.

الحسيني، علي رضى (د.ت)، المكى بن عزوز حياته وأثاره، دار الحسينية للكتاب.
الحسني، عبد الحكي بن فخر الدين، (١٩٩٩م)، الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، ط ١، دار ابن حزم، بيروت، ج ٨.

حفناوي، باعلي (د.ت)، الرحلات الحجازية المغربية، المغاربة الأعلام في البلد الحرام، دراسة نقدية توثيقية ثقافية، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع.

خرفي، صالح، (د.ت)، صفحات من الجزائر، ط ١، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
خلاصي، علي، (٢٠١٥م)، قسنطينة مدينة الجسور عبر العصور، ط ١، دار الحضارة، قسنطينة.
دبوز، محمد علي، (١٩٦٥م)، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المطبعة التعاونية.
دفتر شهادات التلامذة بالجامع الأعظم عدد 7245 المؤرخ في أوائل المحرم سنة ١٣٢٨هـ.
دفتر دار محمد سعيد، من أعلام المدينة المنور، مجلة "المنهل" (الجزء ٨)، السنة ٣٥، المجلد ٣٠، شعبان ١٣٨٩هـ / أكتوبر-نوفمبر ١٩٦٩م.

دمج، بلال، (٢٠٢٣م)، الشيوخ والعلماء في الجرائد العثمانية، دار كنز ناشرون، لبنان.
الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط ٧، دار العلم للملايين، بيروت.
زروقة، عبد الرشيد، (١٩٩٩م)، جهاد عبد الحميد بن باديس ضد الاستعمار، ط ١، دار الشهاب، لبنان.

السنوسي، محمد الهادي، (١٩٢٦م)، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ط ١، لمطبعة التونسية.
سعيدوني، ناصر الدين، (١٩٨٨م)، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج ٢.

الصفصاف، عبد الكريم، (١٩٨١م)، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية ١٩٣١-١٩٤٥م، رسالة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة. دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة.

-----، (١٩٨٢م)، جمعية العلماء ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية (١٩٣١-١٩٤٥)، ط ١، دار البحث، قسنطينة - المسلمين الجزائريين.

الطالبي، عمار، (١٩٩٩م)، آثار ابن باديس، ط ٣، الشركة الجزائرية.
عبد الباسط، بدر، (٢٠٠٧م)، الحياة الثقافية في المدينة المنورة، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد الثاني والعشرون، رجب رمضان ١٤٢٨هـ / أغسطس - أكتوبر.
عبد الحليم، محمود علي، (١٩٩٤م)، فهم أصول الإسلام في رسالة التعاليم، ط ١، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة.

عبد الحميد، بن باديس، (١٩٨٢م)، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ط ١، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر.

العبد، محمد، (١٩٩٨م)، نظرات في مسيرة الدعوة والإصلاح، في المنار الجديد، العدد الأول.
عجالي، كمال، (٢٠٠٧م)، الفكر الإصلاحي في الجزائر، الشيخ الطيب العقبي بين الأصالة والتجديد، ط ١، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر.

ابن عذاري، المراكشي، البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس، تحقيق كولان وبروفنسال، ط ٣، دار الثقافة، بيروت، ج ١.

العقبي، الطيب، (١٩٣٣م)، يقولون وأقول، جريدة السنة، العدد ٢، السنة ٢٢، ذي الحجة ١٣٥١هـ / ١٧ أفريل.

عيساوي، أحمد، (٢٠١٣م)، أعلام الإصلاح الإسلامي في الجزائر، دار الكتاب الحديث، الجزائر.
العيوني، سليمان بن عبد العزيز (د.ت)، شرح الآجرومية، أكاديمية النحو، الرياض.
الغسيري، محمد بن أحمد يكن المنصوري، (٢٠١٨م)، صورة من حياة ونظال الزعيم الإسلامي والمصلح الديني الشيخ عبد الحميد بن باديس، تعليق مسعود بن موسى فلوسي، دار الهدى، الجزائر.

فلوسي، مسعود، (٢٠٠٦م)، الإمام ابن باديس، ط ١، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر.
قاسم، محمود، (١٩٧٩م)، الإمام عبد الحميد بن باديس " الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية"، ط ٢٢، دار المعارف، القاهرة.

- قشي، فاطمة الزهراء، (٢٠١٣م)، قسنطينة في عهد صالح باي البايات، ط ٢، مداد يونيفار سيتي براس، قسنطينة.
- القلقشندي، أحمد بن علي، (د.ت)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، المؤسسة المصرية العامة، ج ٢.
- كاشة، الفرحي بشير، (٢٠٠٤م)، محمد البشير الإبراهيمي "شيخ العلماء وفارس البيان"، دار الآفاق، الجزائر.
- الكتبي، الشريف أنس بن يعقوب، (٢٠١٦م)، أعلام من أرض النبوة، ط ١، دار المجتبي، المدينة المنورة.
- اللولي، حبيب حسن، (٢٠١٧م)، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة وفروعه (١٨٧٦م-١٩٦٢م): التحديات والرهانات، مجلة دراسات وأبحاث، العدد ٢٦، السنة التاسعة.
- ابن مالك، الأندلسي، أبو عبد الله محمد جمال الدين بن عبد الله بن مالك الأندلسي، (٢٠٠٨م)، ألفية ابن مالك - الخلاصة في النحو، تحقيق سليمان بن عبدالعزيز العيوني، دار المنهاج.
- "محمد البشير في ذمة الله"، (١٩٦٥م)، سجل الثقافة الرفيعة، السنة التاسعة العدد ١٠٦، أكتوبر.
- محمد، الصالح رمضان، (١٩٤٩م)، نشأة ابن باديس، مجلة أفريقيا الشمالية العدد ٤ السنة الأولى مايو.
- مريوش، أحمد، (2012 م)، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، دار هومة للنشر، الجزائر.
- مغربي، محمد علي، (١٤١٤هـ)، أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر (والخامس عشر) للهجرة (وبعض القرون الماضية)، ط ١، دار تهامة، دار البلاد، جدة، مطبعة المدني، القاهرة.
- المليلي، مبارك بن محمد، (٢٠٠١م)، رسالة في الشرك ومظاهره، تحقيق أبي عبد الرحمن محمود، ط ١، دار الرياض للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية.
- المليلي، محمد، (١٩٨٠م)، ابن باديس وعروبة الجزائر، ط ٢، الشركة الوطنية الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- مريش، محمد العربي، مالك بن نبي والاتجاه الحضاري في الحركة الوطنية بين الحربين ١٩٢٠-١٩٣٨ م. مجلة الثقافة، عدد ٨٥.

مهداوي، محمد، (١٩٨٨ م)، البشير الإبراهيمي نضاله وآدبه، ط ١، دار الفكر، دمشق.
النبراوي، فتيحة، (١٩٩٩ م)، تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، ط ٩، دار الفكر العربي، القاهرة.
النجار، عبد المجيد، (٢٠١٠ م)، "ملاحم من الإستراتيجية السياسية للإمام عبد الحميد بن باديس"،
مجلة الوعي، العدد ١، جويلية.
نويهض، عادل، (١٩٨٠ م)، معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر، ط ٣،
مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت.

دور المهرة في ثورة ظفار

(١٣٨٢-١٤٠٢هـ / ١٩٦٣-١٩٨٢م)

د. سباح سعيد علي يسلم العزاني

مركز الدراسات والبحوث اليمني / عدن

smahzany866@gmail.com

(قُدِّم للنشر في ١٦ / ١١ / ١٤٤٦هـ، وقَبِلَ للنشر في ٢٣ / ٠٤ / ١٤٤٧هـ)

الملخص:

هدفت الدراسة التي بين أيدينا إلى تقديم بحث لم تتطرق إليه أي دراسة علمية سابقة، والتأكيد على وجود تاريخ مشترك وتقارب قبلي ولغوي بين المهرة وظفار. كما أظهرت الدراسة الدور السياسي والعسكري والتدريبي والتثقيفي الذي لعبته المهرة في ثورة ظفار. اتبعت الدراسة منهجية بحثية متكاملة، جمعت بين المنهج التاريخي لتحليل الوقائع والأحداث المدونة في المصادر والوثائق التاريخية، حيث كشفت الدراسة عن حقائق تاريخية غير معروفة سابقاً، مستندة في ذلك إلى وثائق أرشيفية مهمة من وزارة الخارجية البريطانية. كما استخدمت المنهج الوصفي التحليلي لتحليل حجم الدعم الذي قدمته المهرة لجهة تحرير ظفار، وما تحملته المهرة من تبعات ذلك الدعم المقدم، وحجم العمليات العسكرية التي قادتها بريطانيا ضد جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية. وانطلاقاً من هذه التحليلات، خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج التي تُقدِّم رؤية شاملة لتلك الحقبة التاريخية، ومنها: أن عمق التقارب القبلي بين المهرة وظفار أسهم في تعزيز الترابط الاجتماعي والثقافي بينهما، وأن الخلافات الحدودية بين الدولتين أسهمت في تأجيج الصراع بينهما. كما أكدت الدراسة تكاملية المسارين السلمي والعسكري في التعامل مع الحركات المسلحة المعارضة، وكشفت حجم الدعم الذي قدمته اليمن الديمقراطية لجهة تحرير ظفار، حيث دفعت تلك السياسة بعض أبناء المهرة إلى الانضمام لقوات سلطنة عُمان.

الكلمات المفتاحية: المهرة - ظفار - جبهة تحرير ظفار - خوف - جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية.

The Role of Al-Mahra in the Dhofar Revolution (1982-1963)

Dr. Samah Saeed Ali Yaslam Al-Azani

Yemeni Studies and Research Center – Aden Branch
smahzany866@gmail.com

(Received: 16/ 11/ 1446 H; Accepted for publication: 23/ 04/ 1447 H)

Abstract:

The current study aimed to present research that no previous scientific study has addressed, as it highlighted the political, military, training, and educational role that Al-Mahrah played in the Dhofar Revolution.

The study followed a comprehensive research methodology, combining the historical method to analyze the documented events in historical sources and documents, revealing previously unknown historical facts, relying on important archival documents from the British Foreign Office. It also used the descriptive analytical method to analyze the extent of support provided by Al-Mahra to the Dhofar Liberation Front and the scale of military operations led by Britain against the People's Democratic Republic of Yemen.

Based on these analyses, the study concluded with a set of results that provide a comprehensive view of that historical period, including: that the border disputes between the two countries contributed to escalating the conflict between them. The study also confirmed the complementarity of the peaceful and military approaches in dealing with opposing armed movements and revealed the extent of support provided by the Democratic Yemen to the Dhofar Liberation Front.

Keywords: Al-Mahra - Dhofar - Dhofar Liberation Front - Hauf - People's Democratic Republic of Yemen

المقدمة:

بحكم التقارب الجغرافي والتاريخي والقبلي والثقافي بين المهرة وظفار، أصبحت المهرة القاعدة الخلفية لما يسمى بـ(الثورة الظفارية). وتُعزز هذا التقارب بعد قيام جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، مما جعل المهرة مركزاً لتدريب وتثقيف أعضاء جبهة تحرير ظفار، وممرًا آمنًا لنقل السلاح وأعضاء الجبهة إلى أراضي سلطنة عُمان. وساهم هذا التقارب في السماح لأعضاء الجبهة بإنشاء مكاتب ومعسكرات ومدارس ومستشفيات في المهرة.

ونتج على هذا الدعم تعرض مدن وقرى المهرة لغارات من سلاح الجو البريطاني، وإجراء عمليات سرية على أرض المهرة، وأهمها عملية (ذيب). وكان الهدف من تلك العمليات قطع إمدادات الجبهة وزعزعة استقرار المهرة؛ لإلهاء اليمن الديمقراطية عن تقديم الدعم للجبهة. وظلت المهرة تعاني من تبعات هذا الدعم حتى تمكنت سلطنة عُمان من تحقيق سيطرة فعلية على إقليم ظفار، وتحقيق المصالحة السياسية بين الدولتين.

أهمية الدراسة:

١. يتناول موضوع الدراسة بشكل مفصل دور المهرة في ثورة ظفار، وهو موضوع لم تطرق إليه أي دراسة علمية سابقة -سواء داخل اليمن أو خارجها- خصوصًا في المدة الممتدة من ١٩٦٣ إلى ١٩٨٢م.
٢. تؤكد الدراسة على وجود تاريخ مشترك وتقارب قبلي ولغوي بين المهرة وظفار على مر العصور.
٣. تظهر الدراسة الدور السياسي والعسكري والتدريبي والتثقيفي الذي لعبته المهرة في ثورة ظفار، حيث مثلت القاعدة الأساسية لعناصر جبهة تحرير ظفار منذ عهد سلطنة المهرة حتى قيام جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية.
٤. توضح الدراسة حجم العمليات التي نُسجت على أرض المهرة، والتي استهدفت إشاعة الفوضى وزعزعة الاستقرار، ومن أبرزها عملية (سيمبا) وعملية (ذيب).

٥. تسلط الدراسة الضوء على ما تحملته المهرة وأهلها من تبعات الدعم المقدم لعناصر جبهة تحرير ظفار، بما في ذلك تعرض مدنها وقراها لغارات سلاح الجو البريطاني، وما خلفته تلك الغارات من دمار وخسائر بشرية.

٦. تكشف الدراسة عن حقائق تاريخية غير معروفة سابقاً، مستندة في ذلك إلى وثائق أرشيفية مهمة من وزارة الخارجية البريطانية، بالإضافة إلى وثائق الأمم المتحدة ذات الصلة.

تتكون الدراسة من التمهيد الذي نستعرض فيه الموقع الجغرافي للمهرة وظفار، وأربعة مباحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: تناولنا التقارب القبلي واللغوي بين المهرة وظفار، المتمثل في الانتماء المشترك لقبيلة المهرة التي تتحدث اللغة المهرية، إحدى اللغات العربية الجنوبية الحديثة والأكثر قرباً من اللغة العربية الفصحى.

المبحث الثاني: ناقش الأوضاع السياسية للمهرة وظفار، خلال الفترة التاريخية لموضوع الدراسة، حيث استعرضنا التطورات السياسية في المهرة بدءاً من عهد سلطنة المهرة، مروراً بإعلان استقلال الجنوب العربي عن الاستعمار البريطاني في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م، وقيام جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية. كما تناول المبحث فترة حكم السلطان سعيد بن تيمور والعوامل التي أدت إلى ظهور حركات معارضة لحكمه، وانتهاءً بالسياسة الإصلاحية التي انتهجها السلطان قابوس بن سعيد والتي أسهمت في إضعاف جبهة تحرير ظفار.

المبحث الثالث: تناول دور المهرة في ثورة ظفار في عهد سلطنة المهرة (١٩٦٣ - ١٩٦٧م)، حيث ناقشنا أشكال الدعم المقدم من السلطنة لجبهة تحرير ظفار، مع تحليل للتأثيرات الناتجة عن قيام ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣م، والتقارب الفكري والسياسي بين الجبهة القومية وجبهة تحرير ظفار.

المبحث الرابع: ركز على دور المهرة في ثورة ظفار في عهد جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية (١٩٦٧ - ١٩٨٢م). وتضمن تحليلاً لاستراتيجية (الحرب بالوكالة) التي اعتمدتها بريطانيا وسلطنة عُمان في المهرة، كما استعرض جهود الوساطة العربية لحل الخلافات بين البلدين، والتي توجت بإقامة علاقات دبلوماسية كاملة على مستوى السفراء عام ١٩٨٢م.

التمهيد: الموقع الجغرافي للمهرة وظفار

تقع محافظة المهرة في الجزء الشرقي من الجمهورية اليمنية بين دائرتي عرض (١٥ - ٢٠) شمال خط الاستواء، وخطي طول (٥١ - ٤٥) شرق خط جريتش. يحدها من الشمال صحراء الربع الخالي، ومن الجنوب البحر العربي، ومن الشرق سلطنة عُمان، ومن الغرب محافظة حضرموت، (ويس، ٢٠٠٤م، ص ١١٦).

تبلغ المساحة الإجمالية للمحافظة نحو (٦٧٢٩٦) كم^٢، وتتكون من تسع مديريات، وهي: شحن، حات، خوف، منعر، المسيله، سيحوت، قشن، حصوين، الغيظة (عاصمة المحافظة). ويقدر عدد سكانها وفق إحصائية عام ٢٠٢٣م بنحو (١٨٦) ألف نسمة (كتاب الإحصاء السنوي ٢٠٢٣م).

تقع محافظة ظفار في الجنوب الغربي من سلطنة عُمان، وتتمتع بموقع استراتيجي عند ملتقى الحدود الدولية والمجال البحري. تحدها المملكة العربية السعودية وصحراء الربع الخالي من الشمال والشمال الغربي، وبحر العرب من الشرق والجنوب الشرقي، والجمهورية اليمنية من الغرب. (مجموعة من الباحثين، ٢٠٢٠م، ص ٨٥ - ٨٦).

تبلغ مساحة المحافظة نحو (٩٩,٠٦٢) كم^٢ وتنقسم إدارياً إلى عشر ولايات، هي: طاقة، مرباط، رخيوت، ثمريت، ضلكوت، المزينة، مقشن، شليم وجزر الحلانيات، سدح، صلالة (عاصمة المحافظة). ويقدر عدد سكانها وفقاً لإحصائية عام ٢٠٢٣م بنحو (٤٨٦,٣٦٩) نسمة (الكتاب الإحصائي السنوي ٢٠٢٣م).

المبحث الأول: التقارب القبلي واللغوي بين المهرة وظفار

ساهم التقارب الجغرافي بين المهرة وظفار في هجرة القبائل من المهرة إلى ظفار، وكانت أبرز تلك الهجرات هجرة قبيلة المهرة^(١) (التي يعود نسبها إلى مهرة بن حيدان بن

(١) قبيلة المهرة: عُرف أن أجدادهم كانوا يسمون (حبشت) - وهي كلمة مهريّة تعني (الحاصد) - فهاجروا إلى بلاد كوش في شرق أفريقيا. حيث أسسوا مملكة أكسوم، ونقلوا معهم لغة وخط جنوب شبه الجزيرة العربية. (لقمان، ١٩٨٥م، ص ٣٦٩).

عمرو بن الحاف بن قضاة بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ (المقحفي، ٢٠٠٢م، ص ١٦٧٤). وهجرة آل الكثير الذين ينتمون إلى حضرموت، حيث هاجر عدد منهم إلى المهرة ثم إلى ظفار واستقروا في سهولها (لقمان، ١٩٨٥م، ص ٣٧٨).

وأدى هذا التقارب والتداخل القبلي إلى صعوبة ترسيم الحدود الدولية بين سلطنة مسقط وعمان^(١) ومحمية عدن الشرقية، وهذا ما أكدته الوثائق البريطانية التي تشير إلى مناقشات سلطان مسقط وعمان مع الحكومة البريطانية بشأن هذه القضية. وقد واجهت بريطانيا صعوبة في تحقيق توافق بين السلطنات والقبائل المستقرة في المناطق الحدودية. وبعد سنوات من المفاوضات، تم الاتفاق على ترسيم حدود إدارية بين ظفار ومحمية عدن الشرقية، مع ضمان الحفاظ على حقوق القبائل في التنقل والرعي والزراعة والممتلكات، بالإضافة إلى منح السلطات حق ممارسة السيادة الحكومية والعسكرية والتنقيب عن النفط في مناطقها (FCO 8/586, November 1967, P.32).

وبقي الوضع على هذا الحال حتى بعد قيام جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، حيث حاول البلدان عقد اتفاقية لترسيم الحدود، إلا أن ذلك لم يتحقق إلا في ١ أكتوبر ١٩٩٢م، عندما وقّعت الجمهورية اليمنية وسلطنة عُمان اتفاقية ترسيم الحدود النهائية (United Nations, 1992, P.1).

وساهم التقارب القبلي بين المهرة وظفار في تعزيز العلاقة والترابط الاجتماعي والثقافي، حيث يتحدث سكّانها اللغتين المهرية والهويوت اللتين تنتميان إلى اللغات العربية

(١) سلطنة مسقط وعمان: كانت تُعرف سابقاً باسم (سلطنة مسقط)، لأن المناطق الداخلية من عُمان كانت تحت حكم الإمام غالب بن علي الهنائي. إلا أنه بعد تمكن السلطان سعيد بن تيمور في ١٥ ديسمبر ١٩٥٥م من السيطرة على مركز حكم الإمام، مدينة (نزوى) بدعم من سلاح الجو البريطاني، واستكمال سيطرته على المناطق الداخلية في ١٩٥٩م، أُضيف اسم (عُمان) إلى التسمية الرسمية. واستمر هذا الاسم حتى تولي السلطان قابوس بن سعيد الحكم، حيث غيّر التسمية رسمياً إلى (سلطنة عُمان) في ٩ أغسطس ١٩٧٠م. (الطائي، ٢٠٠٨م، ص ٢٢٠ - ٢٢١).

الجنوبية الحديثة^(١) (Senelle, 2013, P.1)، واللذان تُصنَّفان ضمن اللغات المهددة بالانقراض وفقاً لأطلس منظمة (اليونسكو) للغات العالم المهددة بالاندثار لعام ٢٠١٠م (موقع دائرة التواصل والإعلام - سلطنة عُمان). وتُستخدَم هاتان اللغتان في إطار الأسرة، ومع المتحدثين الآخرين من نفس اللغة، وفي الشعر والسجال الشعري والحكايات (3 - 2, P. 2013, Senelle). ونوضح هنا طبيعة اللغتين في المهرة وظفار على النحو الآتي:

أولاً: اللغة المهرية:

تعد المهريّة من أكثر اللغات العربية الجنوبية الحديثة انتشاراً. وهي لغة غير رسمية، ولا تُستخدم في وسائل الإعلام أو التعليم، ويعود ذلك إلى طبيعيتها اللغوية غير المكتوبة (القوسي، ١٤٣٧هـ، ص٨٨). ويستخدم لكتابتها الحروف العربية الشامية والعشرون، مع إضافة أربعة حروف أخرى، هي:

١. الضاد والشين الجانبيتان (حيث يُخرجان من جانبي اللسان بانحراف ملتصق بالأضراس العليا).

٢. الصاد الاحتكاكية (تُنطق بتشديد يُسبب احتكاكاً بين الأسنان العليا والسفلى).

٣. القاف القديمة (تُنطق وسطاً بين الشدة والرخاوة).

ليصبح إجمالي حروف اللغة المهرية اثنين وثلاثين حرفاً (بلحاف، ٢٠١٦م، ص٢٣ - ٢٧). كما احتفظت المهريّة بخصائص سامية أصلية في نطق العديد من كلماتها، حيث تجمع بين المفردات السبئية والمعينية وبين العربية الشمالية (ولفنسون، ١٩٢٩م، ص٢٢٥).

ويبلغ عدد متحدثيها نحو (١٠٠) ألف، أكثر من نصفهم من سكان المهرة^(٢) (Rubin, 2010, p.1)، الذين يمارسون حرفة تربية الإبل والماعز وزراعة النخيل في بعض الوديان (3 - 2, P. 2013, Senelle).

(١) اللغات العربية الجنوبية الحديثة: تضم ست لغات، وهي: اللغة المهرية والهويوت والجبال (الشعرية) والخرسوسية والبطهرية، السقطرية (المراجع نفسه).

(٢) يوجد اختلاف في إحصائية المتحدثين باللغة المهرية، حيث تشير بعض المراجع إلى أن من يتحدث بها من سكان المهرة (١٣٦) ألفاً ومن سكان ظفار (٥٠) ألفاً (Senelle 2013, P. 2)، بينما يشير مرجع آخر إلى أن من يتحدث بها من سكان المهرة (٢٠٠) ألف ومن سكان ظفار (٦٠) ألفاً (القوسي، ١٤٣٧هـ، ص٨٨).

ثانياً: اللغة الهوبوت:

تعد لغة الهوبيوت لغة غير رسمية، لا تُدرج في النظام التعليمي، وهي من اللغات غير المكتوبة. ويتحدث بها سكان المناطق الحدودية بين الجمهورية اليمنية وسلطنة عُمان (القوسي، ١٤٣٧هـ، ص ١٠٠). وكان أول من أثبت وجود هذه اللغة المستشرق البريطاني (توماس جونستون Thomas Johnston) في عام ١٩٨١م (دائرة التواصل والإعلام - سلطنة عُمان). ويُقدّر عدد المتحدثين بها بنحو (٤٠٠) شخص في المهرة، و(١٠٠) شخص في ظفار. وي مارس الناطقون بالهوبيوت حرفتي رعي الإبل والأبقار والماعز، وزراعة بعض المحاصيل مثل الدخن والأعلاف، بالإضافة إلى جمع العسل البري (Senelle, 2013, P.10). وقد نجح العالم الياباني (أكيو نكنو Aki ONakano) في توثيق معجم للغة الهوبيوت، يضم عبارات وجملاً وأمثلاً مكتوبةً بالحروف العربية واللاتينية (القوسي، ١٤٣٧هـ، ص ١٠٢).

المبحث الثاني: الأوضاع السياسية للمهرة وظفار (١٩٦٣ - ١٩٨٢م)

أولاً: الأوضاع السياسية في المهرة:

كانت المهرة جزءاً من سلطنة آل عفرار، التي وقّعت معاهدة الحماية مع الحكومة البريطانية في ٢٣ أبريل ١٨٨٦م، في عهد السلطان علي بن عبدالله بن سالم بن سعيد بن عفرار. ونصت المادة الأولى من المعاهدة على خضوع السلطنة لحماية الحكومة البريطانية، فيما ألزمت المادة الثانية السلطنة بعدم إجراء أي مراسلات أو اتفاقيات أو معاهدات مع أي دولة أو حكومة أجنبية إلا بعد إعلام الحكومة البريطانية والحصول على موافقتها المسبقة (عبد الحميد، عام الطبع غير مذكور، ص ١٣٣-١٣٤).

وبعد توقيع اتفاقية الحماية، انتقل سلطان المهرة مع حاشيته للإقامة في جزيرة سقطرى وفرض الضرائب التي كانت تُدفع عيناً (عبر المقايضة) (Elie, 2020, P. 245).

كما وقّعت السلطنة معاهدة استشارية مع الحكومة البريطانية في ١٩٥٤م في عهد السلطان عيسى بن علي بن سالم بن حمد بن عفرار (Colonial Reports, 1954, P.125). أثناء تلك الفترة، كشفت وثائق وزارة الخارجية البريطانية عن خلافات حدودية بين سلطنة

المهرة وسلطنة مسقط. ومن بين الوثائق التي رُفعت عنها السرية، رسالة مقدمة من سلطان مسقط (سعيد بن تيمور) إلى الحكومة البريطانية بتاريخ ٣ مايو ١٩٥٤م، يطالب فيها بمنطقتي وادي (متين) ووادي (خوات) الواقعتين ضمن نفوذ سلطنة المهرة FO (371/174563, April 1964, P. 16).

وأكد السلطان في رسالته أن هذه المناطق تخضع لسيادته، معبراً عن استيائه من عجز الحكومة البريطانية عن إجبار حاكم عدن وسلطان المهرة على القبول بمطالبه الحدودية (FO 371/174563, December 1963, P.4). وتصاعدت هذه الخلافات مع بدء عمليات التنقيب عن النفط في المناطق الحدودية التابعة لسلطنة المهرة أواخر ١٩٥٦م (Colonial Reports, 1954, P.87).

وتؤكد وثيقة أخرى من أرشيف وزارة الخارجية البريطانية - وهي رسالة بعثها القائم بأعمال المندوب السامي لمستعمرة عدن (سايفر P.O.1 Cypher) في ٨ يونيو ١٩٦٤م إلى وزير الدولة لشؤون المستعمرات - وجود اتفاق بين سلطان المهرة وشركة بان أمريكان للنفط للتنقيب في الحافة الشمالية الغربية لجبل (المحرات).

وقد أجرت الشركة مفاوضات مع شركة النفط الأمريكية (جون ميكوم Mecom John) صاحبة امتياز التنقيب في ظفار، لاستئجار منصة حفر احتياطية متوفرة لديها. ومن الجدير بالذكر أن سلطنة مسقط وعمان وافقت على نقل المنصة عبر أراضيها، بشرط ألا تُستخدم في المناطق المتنازع عليها بينها وبين سلطنة المهرة، FO 371/174563, JUN 1964, (P. 32).

ودفعت تلك العلاقة سلطنة المهرة إلى دعم حركة التمرد ضد سلطان مسقط وعمان (FO 371/185365, October 1966, P. 76).

وبعد جلاء الاستعمار البريطاني من الجنوب العربي وسقوط حكم السلاطين والمشايخ، أصبحت المهرة المحافظة السادسة لجمهورية اليمن الجنوبية الشعبية^(١). وأثناء تلك المرحلة، اتخذت الحكومة الجديدة سياسة دعم جبهة تحرير ظفار، فجعلت من المهرة قاعدة للتدريب العسكري والإمداد للعناصر الظفارية. وقد نتج عن تلك السياسة جعل المهرة مسرحاً للحرب بالوكالة، حيث ظهر هذا المصطلح في يونيو ١٩٦٩م، وهي الفترة التي شهدت اليمن الديمقراطية اضطرابات داخلية عُرفت بـ(الحركة التصحيحية)، والتي أدت إلى وصول سالم ربيع علي إلى الحكم^(٢).

فتواصل أحد الضباط المهارين من جيش اليمن الجنوبية نتيجة للإضرابات الداخلية مع الاستخبارات البريطانية، التي بدورها أبلغت القائد العسكرية البريطاني لقوات سلطان مسقط وعمان (كوران بوردون Corran Purdon) فطلب الضابط أسلحة وأموالاً وملاذاً آمناً، وتعهد بالمقابل بتوفير (٥٠) شخصاً من أبناء المهرة للقيام بحركة تمرّد ضد اليمن الجنوبية في المهرة، والاستيلاء على المواقع الحكومية، ومهاجمة معسكرات جبهة تحرير ظفار، وقطع خطوط الإمداد.

وكان قائد قوات السلطان متحمساً لتلك العملية، وتوقع أن تساهم في إقامة دولة منفصلة في المهرة إذا قُدّم الدعم الكافي لها. إلا أن السلطان سعيد بن تيمور رفض تلك

(١) بعد استقلال الجنوب العربي، سُميت الدولة بـ(جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية). ثم جرى تعديل التسمية إلى (جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية) في ٣٠ نوفمبر ١٩٧٠م، وذلك بعد إقرار الدستور (يسلم، ٢٠١٩م، ص ١٩).

(٢) تولى حكم جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية بعد الانقلاب على الرئيس قحطان الشعبي في ما يُعرف بـ(الحركة التصحيحية) في ٢٢ يونيو ١٩٦٩م. وأثناء حكمه، أصدرت الدولة قانوناً رقم (٣٧) ليعكس توجهها نحو الاشتراكية، وهو قانون المؤسسة الاقتصادية للقطاع العام والتخطيط القومي الصادر في ٢٧ نوفمبر ١٩٦٩م. وبموجب هذا القانون، تم تأميم (٣٦) مرفقاً، وقد تم اغتياله رمياً بالرصاص في مبنى وزارة الدفاع في ٢٦ يونيو ١٩٧٨م، ليتولى بعدها عبد الفتاح إسماعيل حكم جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية (يسلم، ٢٠١٩م، ص ١٧ - ١٨ - ٢٤).

العملية خوفاً من أن يؤدي انفصال المهرة إلى زعزعة استقرار السلطنة. فلم يكن ابنه السلطان قابوس بن سعيد يشاركه تلك المخاوف، ولكن عند وصوله إلى سدة الحكم، نُفذت الحرب بالوكالة في المهرة (Hughes, 2015, P. 6 – 7). ومن أبرز تلك العمليات:

أولاً: عملية جاكوار (الفهد) (النمر):

شُنّت العملية على المنطقة الشرقية من ظفار (طرابلسي، ٢٠٠٤م، ص ١٦٧). في ذلك الوقت، كانت السلطنة تسيطر فقط على سهل صلالة، وهي منطقة ساحلية تبلغ مساحتها نحو (٨٠) ميلاً مربعاً. نُفذت العملية بعد موسم الرياح الموسمية، بهدف طرد مقاتلي الجبهة من السهل الساحلي والجبال التي كانت توفر لهم الغطاء والملاذ. (Central Intelligenceagency Unitedstates, 1972, P.. 7)

في ١ أكتوبر ١٩٧١م، أُطلقت عملية (جاكوار)، والتي مثلت أول هجوم واسع النطاق في الحرب. شارك فيها نحو (٢٠٠) جندي من سريتين من القوات الخاصة الجوية، و(٣٥٠) جندياً من قوات سلطان عُمان المسلحة، و(٣٠٠) رجل من خمس فرق غير نظامية تحت قيادة العقيد البريطاني (جون واتس John Watts) من القوات الخاصة البريطانية. تم خلال العملية الاستيلاء على منطقة جبجات و مدينة الحق في جبل سمحان شرق ظفار بحلول ٩ أكتوبر ١٩٧١م. انتقلت الجهود بعد ذلك إلى إنشاء خط دفاعي، عُرف لاحقاً باسم (خط الفهد)، لقطع إمدادات الجبهة وخطوط اتصالها. (Calvin H. Allen, Jr, 2000, (p. 68 – 69)

تمكنت العملية من قطع اثنين من أصل ثلاثة طرق إمداد رئيسية كانت تنطلق من اليمن الديمقراطي إلى مقاتلي الجبهة. كما نجحت في تمكين قوات السلطان قابوس، للمرة الأولى منذ بداية الثورة، من السيطرة على مواقع أمامية في الجبال (Central Intelligenceagency United States, 1972, P.8).

على الرغم من النجاح الأولي، واجهت العملية نكسة عندما أصرت الفرق غير النظامية، بسبب رغبتها في الصيام خلال شهر رمضان واستيائها من تأخر الحكومة في تنفيذ مشاريع التنمية في المنطقة. استغل مقاتلو الجبهة هذا الوضع وشنّوا هجوماً مضاداً في نوفمبر،

مما أجبر القوات الحكومية على الانسحاب من نقاط (خط الفهد). نتيجة لذلك، لم تنجح عملية جاكوار وخط الفهد في قطع إمدادات واتصالات المتمردين بشكل دائم Calvin H. (Allen, Jr, 2000 p. 69).

أدت العملية وما أعقبها من اشتباكات إلى مقتل ضابطين وإصابة أربعة آخرين من القوات السلطانية (طرابلسي، ٢٠٠٤م، ص ١٦٧).

عقب عملية جاكوار، حدثت تغييرات جوهرية في القيادة العسكرية العُمانية. فقد غادر (جون واتس) عُمان أواخر عام ١٩٧١م، وعُيّن العميد (جاك فليتشر Jack Fletcher) قائدًا جديدًا للواء ظفار. وفي خطوة لاحقة، حل اللواء (تيموثي ماي كريسي Timothy May Creaeay) محل العميد (جون غراهام John Graham) في قيادة قوات السلطان. وكان أول إجراء اتخذته كريسي هو إعادة هيكلة تلك القوات.

ثانيًا: عملية سيمبا:

كشفت الوثائق البريطانية (التي رُفعت عنها السرية حديثًا) أن الهدف من عملية (سيمبا) كان مزدوجًا:

١. قطع شبكة الإمدادات القادمة من منطقة المهرة (FCO 8/2023, 1973, P.105).

٢. إلحاق دمار شامل بمدينة خوف.

مع ذلك، اشترط القائد العسكري لتنفيذ العملية شرطين أساسيين:

١. منع أي أضرار تلحق بالمدنيين (وهو شرط لم يُلتزم به لاحقًا).

٢. حظر تجاوز القوات البريطانية لحدود اليمن الديمقراطية (Benest, 2015).

سبق تنفيذ العملية انتهاك ثلاث سفن حربية بريطانية للمياه الإقليمية لليمن الديمقراطية في ١٥ أبريل ١٩٧٢م. وفي ١٧ أبريل من العام نفسه، قامت حاملة طائرات بريطانية بانتهاك المياه الإقليمية لليمن الديمقراطية، كما انتهكت القوات الجوية البريطانية المجال الجوي للدولة بما يزيد على (١١٩) طلعة جوية وفقاً لإحصائية وردت في رسالة حكومة اليمن الديمقراطي إلى مجلس الأمن المؤرخة في ١٢ مايو ١٩٧٢م.

وفي ٤ مايو ١٩٧٢م، شنت القوات الملكية البريطانية هجوماً جويًا مكثفًا استهدف المواقع العسكرية التابعة لليمن الديمقراطية في (حبروت ووادي سفوات وجبل ربوت)، إضافةً إلى مواقع مدنية. وأسفر الهجوم عن مقتل خمسة مدنيين، وتدمير عدد من المركبات، ومقر الشرطة المحلي، فضلاً عن إحراق المزارع وبساتين النخيل في وادي (حبروت) باستخدام القنابل الحارقة (United Nations Security Council, May 1972, P. 2).

وفي ٥ مايو ١٩٧٢م، شنت اليمن الديمقراطية هجوماً بواسطة المدافع الرشاشة وقذائف الهاون على الحصن الحدودي العُماني في (حبروت)، مما أسفر عن مقتل أربعة أفراد من الحامية العُمانية وعضو في فريق تدريب الجيش البريطاني (Trooper Marti) (FCO 8/1860, 1972, P. 62).

دفعت هذه التطورات اليمن الديمقراطية إلى تقديم رسالة احتجاج إلى مجلس الأمن في ١٢ مايو ١٩٧٢م عبر ممثلها في الأمم المتحدة (عبد الملك إسماعيل) (United Nations Security Council, 1972, P. 2). وفي ١٣ مايو ١٩٧٢م، وقّع القائد العسكري لقوات السلطان على خطة العملية (Benest, 2015) التي شارك فيها (٥٠٠) مقاتل، بينهم (٨) ضباط بريطانيين متعاقدين مع قوات السلطان (FCO 8/2023, 1973, P.105). وشملت العملية إنزالاً جويًا لنحو (٣٠٠) مقاتل (Al Kharusi, 2018, P. 170) على (حبروت) في ٢٤ مايو بهدف السيطرة عليها، ولكن قوات اليمن الديمقراطية تمكّنت من صد الهجوم (United Nations Security Council, May 1972, P. 2). كما نُفّذ إنزال آخر لـ (٢٠٠) مقاتل في منطقة (دمقوت) حيث هاجم الجنود مواقع أعضاء الجبهة في الجبال والمناطق الحدودية لليمن الديمقراطية (Al Kharusi, 2018, P. 170).

وفي ٢٥ مايو، شنّ سلاح الجو الملكي البريطاني هجوماً على حوف، وتمكّنت القوات المشاركة في العملية من إنشاء موقع عسكري في غرب ظفار عُرف باسم (سيمبا)، والسيطرة على طريق إمداد عناصر الجبهة القادم من المهرة.

(١) للمزيد من الاطلاع، انظر وثيقة رقم (١) رسالة اليمن الديمقراطية إلى مجلس الأمن.

وردًا على ذلك، شنت عناصر الجبهة هجومًا على موقع (سيمبا) أسفر عن إسقاط طائرة ومنع استخدام مهبط الطائرات الذي كان يُستخدم لتزويد القوات السلطانية بالإمدادات (FCO 8/2023, 1973, P. 105). ومع ذلك، فشلت العملية في قطع خطوط الإمداد القادمة من المهرة إلى عناصر الجبهة (Al Kharusi, 2018, P. 170).

فقدت الحكومة العُمانية رسالة احتجاج إلى مجلس الأمن في ٢١ سبتمبر ١٩٧٢م عبر ممثلها (فيصل السعيد)، حيث رصدت الرسالة الهجمات التي شنتها اليمن الديمقراطية على الحدود العُمانية ومنها:

أولاً: إطلاق (٢٣) قذيفة هاون متوسطة على مواقع عُمانية في ٢٢ يونيو ١٩٧٢م.
ثانيًا: إطلاق (٧) قذائف هاون متوسطة على مواقع عُمانية في ٩ يوليو ١٩٧٢م.
مما دفع سلطنة عُمان إلى الإعداد لعملية أخرى من عمليات الحرب بالوكالة، عُرفت بـ(عملية ذيب)^(١) (United Nations Security Council, September 1972, P. 1).

ثالثاً: عملية ذيب

كان السلطان قابوس المحرّض على العملية، والتي جاءت ردًا على دعم اليمن الديمقراطية لعناصر الجبهة. ففي ٨ أكتوبر ١٩٧٢م، أرسل السلطان قابوس طلبًا إلى الحكومة البريطانية عبر سفارتها في مسقط، للمساعدة في تدريب فرقة من أبناء المهرة على حرب العصابات، بشرط ألا تمتلك تلك الفرقة الإمكانيات التي تُمكنها من السيطرة على المهرة، لأن انفصالها سيشكل تهديدًا محتملاً للسلطنة وقدّر عدد المهرين المنظمين إلى الفرقة التي تأسسها بنحو (٧٥) عضو في أكتوبر ١٩٧٢م. (Hughes, 2015, P.6 – 8 – 9)

وفي ٢٣ نوفمبر ١٩٧٢م، ناقش مجلس الوزراء العملية، وأجازت لجنة الدفاع والسياسة الخارجية (عملية ذيب) دون مرافقة أفراد القوات البريطانية لمقاتلي أبناء المهرة. كما منح رئيس الوزراء البريطاني (إدوارد هيث Edward Heath) تفويضًا للقوات الخاصة

(١) للمزيد من الاطلاع، انظر الوثيقة رقم (٢) رسالة سلطنة عُمان إلى مجلس الأمن.

الجوية البريطانية (SAS) لتدريب عناصر من أبناء المهرة المتواجدون خارج اليمن الديمقراطية لمدة ستة أشهر (Hughes, 2015, P. 10)، بهدف الانتقام من اليمن الديمقراطية واستخدام المهرة كورقة مساومة لإقناعها بالتوقف عن دعم عناصر الجبهة (Hughes, 2013).

أسفرت عملية (ذيب) في ١٩ أبريل ١٩٧٣م عن مقتل خمسة من رجال الأمن وإصابة سبعة آخرين. وفي ١٩ مايو من العام نفسه، تعرضت قافلة مكونة من ست سيارات للتدمير، مما أدى إلى مقتل (٢٢) جندياً وأسر واحد. وقد نجحت العملية من تحقيق أهدافها بالانتقام من اليمن الديمقراطية، مما دفع السلطان قابوس إلى اتخاذ قرار بتمديد العملية.

وقد أصدر السلطان قابوس أوامره إلى قائد قوات السلطان المسلحة، العميد (تيموثي ماي كريس)، بتشكيل فرقة إضافية للعمليات عبر الحدود، وكُلِّفَت الفرقة بالعمل في المنطقة الساحلية الممتدة من خوف إلى الغيظة. غير أن القائد أبلغ السلطان باستحالة المخاطرة بتصعيد العمليات عبر الحدود، تحسباً لرد فعل اليمن الديمقراطية (FCO 8/2020,1973, P. 149).

وفقاً لوثيقة بريطانية أُزيح عنها الستار، تضم رسالة من قائد قوات السلطان المسلحة، العميد (تيموثي ماي كريس)، إلى السلطان قابوس، تتضمن اقتراحات بشأن سير العمليات بعد موسم الأمطار، والمؤرخة في ١٤ يونيو ١٩٧٣م، فإن عملية (ذيب) حققت النتائج المرجوة منها، نظراً لأنها بدأت تحقق مكاسب عسكرية وزيادة في الضغط على نظام اليمن الديمقراطية. إلا أن القائد اعتبر أن مصلحة السلطنة تكمن في إبقاء هذه العمليات على نطاق منخفض ومنع تصعيدها. ففي حال حصول تصاعد، قد تضطر جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية إلى اتخاذ إجراءات انتقامية باستخدام سلاح الجو، مؤكداً أن القوات العمانية كانت في ذلك الوقت معرضة بشكل كبير لمثل هذه الهجمات (FCO 8/2020,1973, P.158). لذلك، استمرت عملية (ذيب) حتى مارس ١٩٧٤م (Hughes, 2013).

ثانياً: الأوضاع السياسية في ظفار

تولى آل بو سعيد حكم عُمان في ١١٦٢هـ/ ١٧٤٩م بعد مبايعة الإمام أحمد بن سعيد وتحرير البلاد من السيطرة الفارسية. وقد استمرت هذه الأسرة في حكم سلطنة عُمان حتى الوقت الحاضر (البطاشي، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، ص ٧٥ - ٧٩). وكانت ظفار إحدى مناطق نفوذهم.

وفي عهد السلطان سعيد بن تيمور، الذي تولى حكم في ١٠ فبراير ١٩٣٢م، شهدت ظفار حركة تمرد نتيجة للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية الصعبة، حيث عانت من تدني النشاط الصناعي والتجاري، وتراجع الخدمات الأساسية كالتعليم والصحة، إذ اعتمد اقتصادها بشكل رئيسي على الزراعة (التكريتي، ٢٠١٩م، ص ٦٦ - ٦٨).

لم يقتصر هذا الوضع على ظفار فحسب، بل شمل السلطنة بأكملها. ففي مجال التعليم، لم ينشئ السلطان سعيد سوى مدرسة (السعيدية) الابتدائية في مسقط في ١٩٤٠م (الطائي، ٢٠٠٨م، ص ١٧٤)، تلتها مدرستان فقط في مطرح وصلالة. كما اتخذ قرارات تقيد الحريات مثل منع شراء السيارات والاستماع إلى الراديو، ومنع السفر خارج السلطنة إلا بإذن شخصي منه (قاسم، ١٩٩٦م، مج (٤)، ص ٢٥٣).

وأثناء زيارة المقيم السياسي البريطاني في البحرين (برنارد برروز Bernard Burrows) لظفار في ٢٩ أغسطس ١٩٥٣م، وصف الأوضاع هناك بأنها أشبه بإقطاعية خاصة للسلطان سعيد، وليس جزءاً من دولة حديثة. حيث استولى السلطان على عينين رئيسيتين (عين أرزات وعين حمران) لري حدائقه الخاصة، بينما حظر على السكان المحليين استخدام مياههما. كما احتكر السلطان عائدات النفط لنفسه، دون أن يخصص أي جزء منها لتنمية المنطقة أو تحسين أحوال سكانها.

أدت هذه السياسات إلى اندلاع الكفاح المسلح ضد حكم السلطان في ١٣ أبريل ١٩٦٣م، عندما شن (مسلم بن نفل) من آل الكثيري هجوماً على مركبتين تابعة لشركة النفط الأمريكية (جون ميكوم). وتطورت المعارضة بتشكيل جبهة تحرير ظفار بعد اجتماع

تاريخي في ٢٦ ديسمبر ١٩٦٤م ضم وفودًا من منظمة الجنود الظفاريين وحركة القوميين العرب والجمعية الخيرية الظفارية. ونص ميثاق الجبهة على اعتماد الكفاح المسلح ورفض الأنظمة القبلية والمذهبية، وقد انضم إليها لاحقًا مسلم بن نفل ورفاقه (التكريتي، ٢٠١٩م، ص ٦٩-٧٩-١٠٣-١٠٤).

وفي التاسع من يونيو ١٩٦٥م، شهدت ظفار نقطة تحول حاسمة مع اندلاع أول مواجهة مسلحة للجبهة، تمثلت في هجوم ناجح على شاحنة تابعة لشركة (جون ميكوم) النفطية. وقد أسفر هذا الهجوم عن مقتل السائق وسقوط أول شهيد للجبهة وهو (سعيد بن غنيم الكثيري).

وتصاعدت المواجهات حين حاول عناصر الجبهة اغتيال السلطان سعيد بن تيمور في ٢٦ أبريل ١٩٦٦م، أثناء استعراضه لقواته في معسكر (عين ارزات) خارج صلالة، حيث أقدم الرقيب (سعيد سهيل قطن) والمجنّد (محمد طاهر) على إطلاق النار على السلطان، لكنه تمكن من النجاة، بينما لقي الملازم الثاني (ستار شاه) مصرعه مع اثنين من عبيده، وأصيب قائد قوة ظفار المقدم (ساعي راجا) إصابة بالغة (التكريتي، ٢٠١٩م، ص ١١٠-١١١ - ١١٥).

وفي ١٣ يوليو ١٩٦٦م، عُقد اجتماع بين قيادي الجبهة والإمام، وتوصلا إلى تفاهم حول الاندماج وتوحيد جهودهم ضد السلطان. إلا أن ذلك التفاهم لم يُترجم على أرض الواقع (التكريتي، ٢٠١٩م، ص ١٣٢). وفي الفترة الممتدة من ١-٢٥ سبتمبر ١٩٦٨م، عُقد المؤتمر الثاني لجبهة تحرير ظفار في حمرين^(١)، الذي شكّل منعطفًا حاسمًا في تحوّل الجبهة من تنظيم وطني إلى تنظيم يساري، وتغيّر اسم الجبهة إلى (الجبهة الشعبية لتحرير عُمان والخليج العربي) وتبنّت الاشتراكية العلمية.

وأثناء تلك المرحلة، حققت الجبهة نجاحات عسكرية تمثلت في الآتي:

١. السيطرة على المدن الساحلية في المنطقة الغربية (رخيوت وضلكوك).

(١) حمرين: تقع منطقة حمرين في المنطقة الوسطى من ظفار.

٢. قطع الطريق بين عاصمة ولاية ظفار (صلالة) والقاعدة الرئيسية في الشمال (ثمريت)، وأطلقت عليه اسم (الخط الأحمر).
٣. فرض سيطرتها على ريف ظفار بالكامل (العكري، ٢٠٠٣م، ص ٩٧-٩٨-١٠٠-١٠١).

فلم يمضِ عام ١٩٦٩م حتى تمكّنت الجبهة من السيطرة على معظم إقليم ظفار، بما في ذلك مدينة (ثمريت). ومن خلالها، ستمكن الجبهة من السيطرة على صلالة الخاضعة لحكم السلطان، الذي عمل على إحاطتها بأسوار من الأسلاك الشائكة (قاسم، ١٩٩٦م، مج (٥)، ص ١٤٩-١٥٥).

وفي ٢٣ يوليو ١٩٧٠م، أطاح قابوس بوالده في انقلاب غير دموي، ونُفيَ إلى بريطانيا بناءً على طلب أبنه السلطان قابوس^(١) (FCO 8/2244, 1974, P. 33).

وفي أول خطاب له في ٩ أغسطس ١٩٧٠م، أعلن العفو العام، وإعداد خطط لتطوير السلطنة (الطائي، ٢٠٠٨م، ص ٢٢١). وفي ١ سبتمبر ١٩٧٠م، انطلقت الخطة السلمية للقضاء على جبهة تحرير ظفار (قاسم، ١٩٩٦م، مج (٥)، ص ١٥٥). من خلال الآتي:

١. توسع العفو ليشمل عناصر الجبهة أيًا كانت صفتهم، وفي أي مكان يتواجدون.
٢. تكليف السفارات العُمانية ترتيب عودة المستفيدين من العفو إلى سلطنة عُمان (العكري، ٢٠٠٣م، ص ١١٥).

٣. إلغاء القيود المفروضة على السفر خارج ظفار.

٤. الوعد بتحقيق مطالبهم الرئيسية وفق برنامج إصلاحي اجتماعي (قاسم، ١٩٩٦م، مج (٥)، ص ١٥٦).

وتمثل هذا البرنامج في:

(١) السلطان سعيد بن تيمور: توفي في لندن بتاريخ ١٩ أكتوبر ١٩٧٢م.

١. التوسع في بناء المدارس: بلغ عدد الطلاب في السلطنة (٧٠٠) طالب في ١٩٧٠م،

ليصل إلى (٧٠٠٠) طالب في ١٩٧٢م.

٢. التحسينات الصحية:

تشيد مستشفى نزوي في ٣١ أغسطس ١٩٧١م (واحد من (١٢) مستشفى جرى بناؤها)، وزيادة عدد الأطباء من (١٢) طبيباً إلى (٧٠) طبيباً في ١٩٧٢م.

٣. مشاريع البنية التحتية: التوسع في مشاريع شق الطرق، بناء مساكن لأصحاب الدخل

المحدود (The New York Times, 1971, P.3).

أسهمت استجابة بعض عناصر الجبهة لإعلان العفو في حدوث انشقاق داخل صفوفها بين جناحها الماركسي والمحافظ. فأخذ العديد من العناصر ينفضون عن الجبهة ويسلمون أنفسهم لقوات السلطنة. وفي المقابل، واجهت الجبهة هذا التحدي بإصدار قرارات قاسية شملت إعدام كل من يستجيب للعفو العام، ونفذت أحكام الإعدام على (أربعين) شخصاً.

ولم يمض وقت طويل حتى بادر أكثر من ألفي ظفاري بتسليم أنفسهم وسلاحهم، ومن بينهم مسلم بن نفل الذي انضم إلى قوات السلطان. ومع ذلك، لم تكن الوسائل السلمية التي اتبعها السلطان كافية وحدها لقمع الجبهة، فلجأ أيضاً إلى الأسلوب العسكري الذي أثبت أنه أكثر حسماً في القضاء على الجبهة من جذورها (قاسم، ١٩٩٦م، مج (٥)، ص ١٥٧ - ١٥٨).

وانتهت الحرب بشكل رسمي في ١١ ديسمبر ١٩٧٥م بإعلان السلطان قابوس انتهاء العمليات العسكرية في سلطنة عُمان (The New York Times, 1975, P.14)، إلا أن السلطنة استمرت في ١٩٧٦م بعملية احتواء الأفكار الاشتراكية في ظفار من خلال تعزيز العقيدة الإسلامية، وذلك عبر الآتي:

١. التوسع في تشييد المساجد.

٢. توزيع المصاحف المجانية على طلاب المدارس.

٣.توظيف عشرين داعية إسلامياً من جمهورية مصر العربية وتوزيعهم على ولاية ظفار
(The New York Times, 1976, P.10) .

المبحث الثالث: دور المهرة في ثورة ظفار في عهد سلطنة المهرة (١٩٦٣ - ١٩٦٧م)
أكدت الوثائق البريطانية التي رُفعت عنها السرية أن الاستخبارات البريطانية في الخليج وسلطنة عُمان تلقت تقارير تفيد باستخدام العناصر الظفارية منطقة (حوف) في عام ١٩٦٤م، في تهريب الأسلحة وغيرها من الأنشطة المعارضة (FO 371/185365, October 1966, P. 76) كقاعدة توفر لهم الاتصال بأراضي السلطنة والدول الداعمة لهم (FO 371/185365, 1966, P. 43).

ففي عام ١٩٦٥م، قررت مجموعة من عناصر جبهة تحرير ظفار العودة إلى ظفار بعد تلقي تدريبات عسكرية في العراق. حيث أبحرت المجموعة الأولى من ميناء البصرة متجهة إلى ظفار، ولكن تمكنت قوات البحرية الإيرانية من إلقاء القبض عليهم وتسليمهم إلى سلطان مسقط وعُمان والسلطات البريطانية. أما المجموعة الثانية فقد قررت العودة إلى ظفار عبر محمية عدن الشرقية، فسافرت من العراق إلى الكويت، ثم إلى عدن، وصولاً إلى المهرة، وأخيراً سافرت بحرًا إلى ظفار خلال شهري أبريل ومايو - Al Kharusi, 2018, P. 70 (71).

شكّلت منطقة المهرة، وخاصة مدينة حوف، ملاذًا آمنًا للجبهة حيث اتخذتها:

١. قاعدةً لتموين المؤن والإمدادات.
 ٢. مركزًا لإجلاء الجرحى.
 ٣. مقرًا لإعادة تنظيم القوات وتشكيل الوحدات الجديدة بعد العمليات العسكرية (FO 371/185365, 1966, P. 43).
- وفي هذا السياق، رأت بريطانيا - بوصفها القوة الحامية - أن من واجبها منع تحويل حوف إلى قاعدة عسكرية لشن عمليات ضد جوار صديق لبريطانيا (FO 371/185365, October 1966, P. 76).

كما أكدت الوثائق البريطانية أن تواجد عناصر جبهة تحرير ظفار في خوف كان بناءً على موافقة سلطان المهرة، الذي كان يحتفظ بعلاقات غير ودية مع سلطنة مسقط وعمان، يعود ذلك إلى النزاعات الحدودية بينهما، بالإضافة إلى تعاطف شباب خوف مع عناصر جبهة تحرير ظفار. كما استفادة أهل خوف من تلك العناصر اقتصاديًا نظرًا لما مثلته من قوة شرائية للغذاء (FO 371/185365, 1966, P. 44). وفي ١٩٦٦م أنشئ مركز للتثقيف والتدريب العسكري لعناصر الجبهة في خوف بمساعدة أحد شيوخ المهرة^(١) (التكريتي، ٢٠١٩م، ص١١٧)

وبناءً على الدور الذي قامت به خوف، نُفذت عملية عسكرية بريطانية كان هدفها (حرمان متمردين ظفار من استخدام خوف). وتشير الوثائق البريطانية حول هذه العملية إلى وثيقة محادثات بين القنصلية البريطانية في مسقط وقيادة قوات السلطان بتاريخ ٤ سبتمبر ١٩٦٦م، حيث اقترحت تلك المحادثات قيام القوات البريطانية بتنفيذ عملية عسكرية في خوف مصحوبة بإجراءات سياسية، شملت هذه الإجراءات، مشاور الحكومة البريطانية مع سلطان المهرة لحرمان عناصر الجبهة من خوف، وتواصل الحكومة البريطانية بتعاون سلطان المهرة مع قبائل السلطنة وإعطائهم توجيهات واضحة وحوافز ضرورية لضمان عدم إيواء عناصر الجبهة (FO 371/185365, 1966, P.45). بينما وردت تقارير استخباراتية بريطانية تؤكد وجود هذه العناصر في خوف، منها تقرير لوالي ظفار الذي أشار إلى وجود ستة عناصر في سبتمبر ١٩٦٦م. ومن أهم تلك التقارير ما يفيد بوجود (٢٥) عنصرًا في خوف برفقة (٦) جمال، حيث يُعتقد أن تلك المجموعة كانت بقيادة مسلم بن نوفل وأن مهمتها كانت نقل الغذاء والسلاح (FO 371/185365, 1965/66, P. 47).

وفي الثالث من أكتوبر ١٩٦٦م، عُقد اجتماع تشاوري بين (هيو جلينكيرن بالفور بول، Hugh Glencairn Balfour Paul) نائب المقيم السياسي البريطاني في البحرين وقائد قوات السلطان (لويس Lewis)، لبحث العملية العسكرية التي كانت القوات البريطانية

(١) الشيخ محمد بن حميد: لم استطع التأكد من اسم الشيخ، لذلك لم أورد اسمه في متن الدراسة.

تخطط لها في خوف. وقد أبدى السلطان تأييده للعملية، وأكد على استعداد القوات المسلحة للسلطنة للتعاون الكامل مع القوات البريطانية.

وفي محادثة جرت في الرابع من أكتوبر من العام نفسه بين السلطان والمفوض السامي البريطاني لمستعمرة عدن أثناء زيارته إلى صلالة (في طريق عودته من جزر كوريا موريا)، عبّر المفوض البريطاني عن تعاطفه مع مطالب السلطان، حيث كان الأخير قد طالب الحكومة البريطانية باتخاذ إجراءات فعّالة لمنع عناصر الجبهة من استخدام خوف كقاعدة لعملياتهم (FO 371/185365, 13 October 1966, P.50).

من جانبهم، أكد المسؤولون البريطانيون أن نجاح العملية لن يُقاس بعدد العناصر التي سيعتقلون من جبهة تحرير ظفار، بل بقدرتها على إحداث صدمة رادعة تُضعف الدعم المحلي للظفاريين بين أهالي المهرة، وتؤدي إلى توقف مساعدتهم لعناصر الجبهة. وقد تمثّل ذلك في إظهار القوة، وإيصال رسالة مفادها أن أراضي المهرة ليست محصنة، ويمكن التوجّه إليها مرة أخرى عند الضرورة. كما رأى المسؤولون البريطانيون أن منظر الطائرات والمروحيات والسفن قد يُحدث أثراً بالغاً وطويلاً الأمد (FO 371/185365, 1966, P.46).

وتم إعداد القوات المشاركة في العملية، والتي تكوّنت من كتيبة وخمس طائرات هليكوبتر وسفينة واحدة (مع ثلاث طائرات مقاتلة في حالة تأهب). على ألا تتجاوز مدة التنفيذ ست ساعات كحد أقصى (FO 371/185365, 25 October 1966, P.79).

وحصلت الخطة على الموافقات الرسمية من المفوض السامي البريطاني لعدن، ووزير الخارجية البريطاني في ٢٥ أكتوبر ١٩٦٦م.

وانطلقت العملية في ٢٨ أكتوبر ١٩٦٦م، حيث انتشرت قوات الكتيبة الأولى من الحرس الأيرلندي، في منطقة خوف بدعم جوي من طائرات الهليكوبتر. ولم تواجه القوات أية مقاومة تذكر أثناء التدخل، وأسفرت العملية عن:

١. اعتقال (٢٢) عنصرًا من أعضاء جبهة تحرير ظفار، ومن بينهم (٣) من قادة

الجبهة (FO 371/185365, NOV 1966, P.100)، ومنهم مراغة جمعان مسؤول

مركز التثقيف والتدريب العسكري (التكريتي، ٢٠١٩م، ص١١٧).

٢. مصادرة كميات من الأسلحة والذخائر والوثائق.

٣. تسليم المعتقلين إلى سلطان مسقط وعمان (FO 371/185365, NOV 1966, P.100).

٤. إغلاق المركز التدريبي.

ومع ذلك، لم تنجح العملية في القضاء تمامًا على دور خوف في ثورة ظفار، ويعزى ذلك إلى:

١. توسع نفوذ الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن في المحميات الشرقية.

٢. التقارب الأيديولوجي بين الجبهتين (تحرير ظفار والقومية) حيث: ارتبطتا بحركة القوميين العرب (التكريتي، ٢٠١٩م، ص١١٧ - ١٤١).

لقد تبنت الجبهتان (جبهة تحرير ظفار والجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن) أهدافًا متطابقة على الصعيدين الداخلي والإقليمي، تمثلت في:

١. التحرر من كافة أشكال الهيمنة الاستعمارية.

٢. إقامة أنظمة حكم ديمقراطية.

٣. ضمان سيطرة الشعوب على ثرواتها الوطنية.

٤. تحرير الفلاحين من العلاقات الإقطاعية.

٥. دعم حركات التحرر في المنطقة (مجلة ٩ يونيو (المجلة المركزية للجبهة الشعبية لتحرير عُمان)، يونيو ١٩٧٥م، ص٤٨).

واستجابةً لذلك، نفذت بريطانيا عملية عسكرية ثانية في ١٦ فبراير ١٩٦٧م استهدفت مرتفعًا متاحًا للحدود (أطلق عليه البريطانيون اسم (تلة غانت)). وشملت العملية إنزالًا جويًا، إلا أن القوات اضطرت للانسحاب بسبب: التعاطف الشعبي الكبير في

المنطقة مع عناصر الجبهة، والمقاومة الشعبية للتدخل البريطاني (التكريتي، ٢٠١٩م، ص١٢٨).

المبحث الرابع: دور المهرة في ثورة ظفار في عهد جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية (١٩٦٧ - ١٩٨٢م)

بعد نيل جنوب اليمن الاستقلال من الاستعمار البريطاني، كان ذلك من أهم نقاط التحول في مسار ثورة ظفار. فلم تستطيع جبهة تحرير ظفار تحقيق نتائج تُذكر في سنواتها الأولى، إلا بعد استقلال جنوب اليمن وقيام دولة ذات أيديولوجية اشتراكية (موقع BBC عربي، ٧ سبتمبر ٢٠١٩م).

وأثناء الاحتفال بتحقيق الاستقلال، التقى قياديو الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن بمندوبي جبهة تحرير ظفار. وأثناء اللقاء، قدمت الجبهة القومية السلاح والعتاد لجبهة تحرير ظفار (التكريتي، ٢٠١٩م، ص١٤١ - ١٤٢)، كما تبني برنامج استكمال مرحلة التحرر الوطني الذي أقرته القيادة العامة للجبهة القومية في أكتوبر ١٩٦٨م، بتأييد ودعم حركات التحرير العربية، بما في ذلك جبهات التحرر في الخليج العربي (اللجنة التنظيمية للجبهة القومية، ١٩٦٩م، ص٢٩٣).

وقد تَرَجَم ذلك الدعم من خلال فتح مكتب لجبهة تحرير ظفار (الجبهة الشعبية لتحرير عُمان والخليج العربي) في عدن في نهاية ١٩٦٨م (FCO 8/2031, JUL 1973, P.58)، ومنح الجبهة معسكرات تدريب على حرب العصابات واستخدام الأسلحة الثقيلة، كمعسكر جمال في مدينة (خورمكسر) (التكريتي، ٢٠١٩م، ص١٤٤)، ومعسكر صلاح الدين في مدينة (عدن الصغرى) (النفيسي، عام الطبع غير مذكور، ص١٥٢)، كما ساعدت الجبهة على تلقي الدعم الخارجي، المتمثل في التدريب على حرب العصابات من قِبل مدرّبين صينيين، وفي عمليات الاغتيال والتخريب من قِبل مدرّبين من كوريا الشمالية (موقع BBC عربي، ٧ سبتمبر ٢٠١٩م).

ومن ميناء عدن، كانت تُرسو سفن تحمل الإمدادات والأسلحة للجبهة من الدول الداعمة. ومن مطار عدن، كانت وفود جبهة تحرير ظفار تسافر إلى الخارج بجوزات سفر دبلوماسية تابعة لليمن الديمقراطية (التكريتي، ٢٠١٩م، ص ١٤٤). كما استقبل مطار عدن الطائرات المحملة بالأسلحة والمعدات العسكرية، مثل الطائرة الليبية التي وصلت إلى المطار في نوفمبر ١٩٧٣م (Al Kharusi, 2018, P. 184). إضافةً إلى ذلك، استخدمت الجبهة سفارة اليمن الديمقراطية في الكويت لنقل بريدها إلى منطقة الخليج (النفيسي، عام الطبع غير مذكور، ص ١٥٢).

وفي مطابع اليمن الديمقراطية، كانت تُطبع منشورات جبهة تحرير ظفار، مثل مجلة (٩ يونيو) الصادرة عن الجبهة الشعبية لتحرير عُمان (مجلة ٩ يونيو (المجلة المركزية للجبهة الشعبية لتحرير عُمان)، يونيو ١٩٧٥م، غلاف المجلة - ص ٤). كما خَصَّصت أذاعه عدن وقتاً لث برامج الجبهة (التكريتي، ٢٠١٩م، ص ١٤٤)، وأنشئت محطة إذاعية لها في المكلا (النفيسي، عام الطبع غير مذكور، ص ١٥٢). كما تلقى أعضاء الجبهة العلاج في مستشفيات اليمن الديمقراطية (التكريتي، ٢٠١٩م، ص ١٤٤)، وحصلت الجبهة على دعم مادي قُدِّر بنحو (١٥) ألف دينار شهرياً، بالإضافة إلى (٧) ألف دينار كتبرعات من أفراد الجيش والمواطنين في اليمن الديمقراطية (النفيسي، عام الطبع غير مذكور، ص ١٥٢).

وتطور الدعم المقدم لأعضاء الجبهة ليشمل توفير الحماية العسكرية لقوات الجبهة بالقرب من حدود سلطنة عُمان، وحماية طرق إمداد الجبهة إلى الأراضي العُمانية، وتدريب عناصرها (Al Kharusi, 2018, P.183). ومن بين تلك العمليات، أرسلت اليمن الديمقراطية قواتٍ في ١٩٧٣م إلى المناطق القريبة من خط (المغسيل) في ظفار بطلب من عناصر الجبهة؛ للمشاركة في التخطيط لاختراق الخط (المغسيل) (النفيسي، عام الطبع غير مذكور، ص ١٤٩).

ولكن التطور الأهم في سياسية الدعم التي اتبعتها اليمن الديمقراطية لعناصر جبهة تحرير ظفار كان تحويل المحافظة السادسة (المهرة) إلى قاعدة استراتيجية للجبهة. حيث حظي

عناصر الجبهة بالتعاون الكامل من القيادات المحلية، ودعم عسكري واقتصادي غير مشروط، مما منحهم حرية الحركة الكاملة وإمكانية تأسيس شبكة متكاملة لقواعد الإمداد (التكريتي، ٢٠١٩م، ص ١٤٤).

فقد أصبحت عاصمة المهرة (الغيظة) مركزاً للثقيف السياسي والتعليمي للجبهة، كما تحولت إلى منطقة لعلاج المصابين ونقطة انتقالية بين خوف وعدن (النفيسي، عام الطبع غير مذكور، ص ١٥١). وفي ١٩٧٠م، تأسست مدرسة (لينين^(١)) (يسلم، ٢٠١٩م، ص ٢٩) وتلقينهم الأفكار الشيوعية، حيث كانت تهدف إلى إعداد كوادر يمكن الاعتماد عليها على المدى الطويل.

وتتضمن المدرسة أربعة فصول وبين خمسة أو سبعة مدرسين، وتستوعب نحو (٤٠٠) طالب. يتم قبول الأطفال في سن العاشرة أو أقل، ثم ينتقل منهم إلى مدرسة (٩ يونيو) (FCO 8/2031, March 1973, P.63 - 111) التي أنشئت في ١٩٧٢م (يسلم، ٢٠١٩م، ص ٢٩). وتدرس هذه المدرسة أفكار ماوتسي تونغ وماركس، إلى جانب التدريب على استخدام الأسلحة. بعد إتمام الدورة، يُرسل المتفوقون للدراسة في دول الكتلة الشرقية مثل الاتحاد السوفيتي والصين وكوريا الشمالية و دول أوروبا الشرقية، بينما يُوجه الباقون إلى معسكر الثورة في خوف (FCO 8/2031, March 1973, P.63). وقد بلغ عدد المتحقيين بهذه المدارس في ١٩٧٣م نحو (٨٥٠) طالباً (يسلم، ٢٠١٩م، ص ٢٩).

وكانت مدينة خوف قاعدةً مهمةً ومركزاً لتموين الجبهة بالسلاح والغذاء (النفيسي، عام الطبع غير مذكور، ص ١٥٠). ومن بين المرافق الحيوية للجبهة كان (معسكر الثورة) في مرارة (وهي منطقة جبلية تتبع حالياً مديريات خوف)، والذي أُفتتح في ١٩٦٩م لتدريب عناصر الجبهة - ذكوراً وإناثاً - تدريباً عسكرياً مكثفًا لمدة تتراوح بين أربعة إلى خمسة أشهر،

(١) مدرسة (لينين): تأسست في مدينة خوف، إلا أنها تعرضت للقصف من قبل القوات الجوية البريطانية في مايو ١٩٧٢م، مما أدى إلى نقلها لاحقاً إلى مدينة الغيظة.

(July 1973, P.55) (وزارة الخارجية وشؤون الكومنولث / المملكة المتحدة) (FCO 8/2031)

إلى جانب تثقيفهم بأفكار ماو تسي تونغ. وكان كل متدرب يُمنح نسخةً من بيان الحزب الشيوعي وبندقيةً صينية (FCO 8/2031, March 1973, P. 112).

وفي خوف، شُيّد مستشفى الشهيد (حبكوك^(١)) (النفيسي، عام الطبع غير مذكور، ص ١٥١) في ١٩٧٢م (يسلم، ٢٠١٩م، ص ٢٩). كما كانت المدينة نقطة استقبال للوفود الخارجية الداعمة للجبهة والوفود الصحفية، ومن أبرزها:

١. الصحفي الأيرلندي اليساري (فرد هاليداي Fred Halliday) الذي زار ظفار مرتين

عبر خوف في يناير ١٩٧٠م وفي أبريل ١٩٧٣م، وألّف بعد زيارته كتاب (الجزيرة

العربية دون سلاطين) (قاسم، ١٩٩٦م، مج (٥)، ص ١٥٢).

٢. وفد من الجبهة الوطنية لتحرير فيتنام (الفيتكونغ) الذي وصل في سبتمبر ١٩٧٢م،

وعبر إلى أراضي السلطنة، حيث نُشر بيانٌ مشتركٌ يؤكد التعاون بين الجبهتين

وتبادل الدعم المعنوي والمادي.

٣. بعثتان كوبيتان في ١٩٧٣م (ضمت الثانية ضباط استخبارات وعناصر طبية)، عبرتا

الحدود إلى أراضي السلطنة (النفيسي، عام الطبع غير مذكور، ص ٧٦).

في يناير ١٩٧٣م، طلب السلطان قابوس من رئيس الجماهيرية الليبية معمر

القذافي^(٢) أثناء زيارته لليبيا التوسط لوقف الدعم الذي كانت تقدمه اليمن الديمقراطية لجبهة

تحرير ظفار، لكن هذه الجهود باءت بالفشل (يسلم، ٢٠١٩م، ص ٢٩). واستمرت

الاشتباكات الحدودية، مما دفع اليمن الديمقراطية في أغسطس ١٩٧٤م إلى تعزيز قواتها في

المحافظة الخامسة (حضر موت) والسادسة (المهرة)، إذ بلغ عدد القوات في المنطقة الحدودية

بنحو (٣) ألف مقاتل.

(١) مستشفى الشهيد (حبكوك): بعض المراجع تُطلق على المستشفى اسم مستشفى محمد حقوق.

(٢) معمر القذافي (رئيس الجماهيرية الليبية السابق): كان من أبرز الداعمين لجبهة تحرير ظفار، بعد تدخل القوات الإيرانية في الصراع العُماني.

بتدخل إيران في حرب ظفار، تمكنت السلطنة من إضعاف هجمات أعضاء جبهة التحرير. ففي ٥ يناير ١٩٧٥م، تمكن الإيرانيون من الاستيلاء على رخيوت^(١) (التي كانت تُعدُّ عاصمةً لـ(ظفار المحررة)). ثم تحولت العمليات نحو حدود اليمن الديمقراطية (Farrok, 2011, P.318).

قام الإيرانيون بإنشاء خط (دماوند) - تيمناً بأعلى قمة في إيران- بهدف قطع طرق إمداد مقاتلي الجبهة والقضاء على تدفق الإمدادات والمقاتلين من قواعدهم في اليمن الديمقراطية. كما زُوِّدَ الخط بأجهزة استشعار متطورة لاكتشاف أي محاولات لعبور عناصر الجبهة. وبالتوازي مع ذلك، شنَّ جيش السلطنة سلسلة من العمليات الناجحة لتطهير المناطق الحدودية المجاورة لليمن الديمقراطية من العناصر المتبقية للجبهة. دعم الإيرانيون عمليات جيش السلطنة عبر شن هجماتهم الخاصة ضد عناصر الجبهة. أدى ذلك إلى شغل العديد من مقاتليها، مما أتاح للقوات العمانية من ترسيخ سلطتها على طول حدود اليمن الديمقراطية.

كما مُنعت الطائرات اليمنية الديمقراطية من دعم عناصر الجبهة بسبب وجود أنظمة دفاع جوي إيرانية متطورة. وكان إنزال وحدات الكوماندوز الإيرانية (بدعم من مدمرتين تابعتين للبحرية الإيرانية) على الأراضي اليمنية الديمقراطية عاملاً حاسماً؛ فقد تمكنت هذه الوحدات من تدمير قاعدتين رئيسيتين للجبهة في أكتوبر ١٩٧٥م (Farrok, 2011, P.318). استُخدم في تلك العمليات سلاح المدفعية، وتعرّضت مدينة حوف للقصف الجوي (Hughes, 2015, P.13).

(١) رخيوت: هي ولاية تقع على الشريط الساحلي غرب محافظة ظفار. ترتبط رخيوت بمدينة صلالة بطريق معبد يبلغ طوله (١٢٠) كيلومتراً، وكانت إحدى الخواضر التاريخية البارزة في المحافظة ومركزاً نشطاً لتصدير اللبان والمنتجات الحيوانية إلى الأسواق المجاورة، مما يعكس دورها التجاري والحضاري المميز عبر التاريخ. (موقع محافظة ظفار، ولاية رخيوت)

نتج عن تلك العمليات طرد الغالبية العظمى من عناصر الجبهة من ظفار، مما دفع السلطان قابوس إلى إعلان نهاية التمرد في ١١ ديسمبر ١٩٧٥م وبحلول مارس ١٩٧٦م، توقفت جميع العمليات العسكرية، وغادرت القوات الإيرانية عُمان في العام التالي. (Farrokh, 2011, P.318)

على الرغم من انتهاء حرب ظفار، ظلت العلاقة بين سلطنة عُمان واليمن الديمقراطية متوترة، وبدأت محاولات الوساطة بين البلدين، منها محاولة الجامعة العربية والمملكة العربية السعودية ودولة الكويت في مارس ١٩٨٠م. خلال هذه المحاولة، رفضت سلطنة عُمان مطالب اليمن الديمقراطية التي عبّر عنها وزير الخارجية العُماني قيس بن عبد المنعم الزواوي أثناء اجتماع عُقد في واشنطن مع رئيس الولايات المتحدة الأمريكية (جيمي كارتر James Carter)، وفقاً لوثيقة صادرة عن وزارة الخارجية الأمريكية من الوثائق التي رُفعت عنها السرية.

وذكرت الوثيقة أن الزواوي أوضح أن اليمن الديمقراطي طالب عُمان بأمرين لتطبيع العلاقات:

أولاً: فتح حوار مع المعارضة العُمانية.

ثانياً: تعويض اليمن الديمقراطية عن الدمار في المناطق الحدودية نتيجة الضربات الجوية.

أجابت سلطنة عُمان بأن:

١. جبهة تحرير ظفار (المعارضة) لم تعد تشكل تهديداً.

٢. التعويضات هي مسؤولية اليمن الديمقراطية، لأن السلطنة لم تبدأ الحرب.

إلا أن النظام في اليمن الديمقراطي شهد تحولاً مع تولي علي ناصر محمد السلطة في ٢١ أبريل ١٩٨٠م، حيث تمثل هذا التحول في سعي الدولة لبناء علاقات ودية مع الدول الإقليمية، خاصة سلطنة عُمان. وقد أسهمت وساطة دولة الكويت ودولة الإمارات العربية المتحدة في تطبيع العلاقات بين البلدين.

وبدأت اجتماعات المصالحة في ٢٥ أكتوبر ١٩٨٢م بالكويت، حيث توجت بإبرام اتفاق مصالحة تاريخي وقَّعه من جانب اليمن الديمقراطية وزير الخارجية (عبدالعزیز الدالي). ومن جانب سلطنة عُمان وزير الخارجية (يوسف علوي). وفي ١٥ نوفمبر ١٩٨٢م تم الإعلان رسميًا عن هذا الاتفاق الذي أسفر عن استعادة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين على مستوى سفارات، تضمّن الاتفاق بنودًا أساسية وهي على النحو الآتي:

١. عدم التدخل في الشؤون الداخلية.
٢. رفض استخدام أراضي الدولة لنشاطات معادية للدولة الأخرى.
٣. وقف الحملات الإعلامية المعادية.
٤. حل النزاعات الحدودية بالطرق السلمية (يسلم، ٢٠١٩م، ص ٢٩ - ٣٧ - ٣٩ - ٤٠).

الخاتمة:

كان للمهرة دور محوري في ثورة ظفار، حيث مثّلت القاعدة الخلفية للعناصر الظفارية، وخاصةً بعد نيل جنوب اليمن الاستقلال من الاستعمار البريطاني وقيام دولة ذات أيديولوجية اشتراكية. شكّل ذلك أحد أهم نقاط التحول في مسار ثورة ظفار، مما مكَّنها من تحقيق انتصارات مهمة، أبرزها السيطرة العسكرية على معظم إقليم ظفار.

وقد توصلت الدراسة إلى نتائج عديدة، يمكن تلخيصها في الآتي:

١. أسهم عمقُ التقارب القبلي بين المهرة وظفار في تعزيز الترابط الاجتماعي والثقافي بينهما، وذلك رغم الصراع الحدودي طويل الأمد بين الدولتين الذي انتهى بتوقيع اتفاقية ترسيم الحدود الدولية في ١ أكتوبر ١٩٩٢م.

٢. يجب على الجمهورية اليمنية وسلطنة عُمان تقديم الدعم اللازم لتمكين سكان المهرة وظفار من الحفاظ على اللغات العربية الجنوبية الحديثة، وذلك عبر تشجيع الشباب على استخدامها في حياتهم اليومية. في الوقت ذاته، تشير بعض الدراسات إلى تراجع استخدام هذه اللغات بين الأجيال الجديدة، مما يستدعي جهودًا جادة لإحيائها في جميع

محافظات الدولتين. وبما أن هذه اللغات تواجه خطر الانقراض، يمكن تعزيز وجودها من خلال تنظيم دورات تدريبية، وتخصيص برامج تلفزيونية لتعليمها، بالإضافة إلى إدراج حصص دراسية أسبوعية تساهم في تعليم الطلاب هذه اللغات وتعزيز ارتباطهم بها.

٣. أسهمت الخلافات الحدودية في تأجيج الصراع بين البلدين، حيث سعى كل طرف إلى زعزعة استقرار الآخر عبر دعم القوى المعارضة له. تمثل هذا الدعم في مساعدات مادية تشمل توفير الأسلحة والتمويل، إلى جانب دعم معنوي عبر وسائل إعلامية تروج لسليبات النظام السياسي في الجانب الآخر.

٤. أكدت الدراسة تكاملية المسارين السلمي والعسكري في التعامل مع الحركات المسلحة المعارضة. وقد طبق السلطان قابوس بن سعيد -رحمه الله- هذه الاستراتيجية عبر محورين متوازيين:

أولاً: المحور السلمي: تمثل في حزمة إصلاحات شملت منح العفو العام عن عناصر جبهة تحرير ظفار.

ثانياً: المحور العسكري: تضمن تعزيز القدرات الدفاعية عبر دعم عسكري من: الحكومة البريطانية، والمملكة العربية السعودية، وإيران، والمملكة الأردنية الهاشمية.

٥. كشفت الدراسة عن حجم الدعم الذي قدمته اليمن الديمقراطية لجبهة تحرير ظفار، حيث كانت الغيظة، عاصمة المهرة، بمثابة المركز التعليمي والتثقيفي السياسي للجبهة، بينما شكّلت مدينة حوف القاعدة العسكرية الاستراتيجية، التي تضمنت مركزاً لتموين الجبهة بالسلح والمؤن، إضافةً إلى مقرّ لـ(معسكر الثورة).

٦. دفعت السياسة التي انتهجتها اليمن الديمقراطية في ظفار بعض أبناء المهرة إلى الانضمام لقوات سلطنة عُمان، إذ رفضت تلك العناصر تحويل مناطقهم إلى قواعد تدريب وإمداد جبهة تحرير ظفار. وقد شاركوا في العمليات العسكرية التي استهدفت مواقع اليمن الديمقراطية وقواعد جبهة تحرير ظفار.

٧. كشفت الدراسة حجم التآمر الذي استهدف محافظة المهرة، وذلك من خلال عرض بعض الحقائق التاريخية، مستندةً إلى وثائق وزارة الخارجية وشؤون الكومنولث البريطانية، والتي رُفعت عنها السرية. ومن بين هذه الوثائق، وثيقة (حرمان متمردي ظفار من خوف)، التي تتضمن تفاصيل العملية العسكرية البريطانية في خوف عام ١٩٦٦م.

٨. شكّل وصول علي ناصر محمد إلى سدة الحكم في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية (١٩٨٠-١٩٨٦) منعطفًا حاسمًا في تحسين العلاقات الإقليمية، حيث تميزت سياسته بالانفتاح الإقليمي الاستراتيجي، مما أسهم في تطبيع العلاقات مع سلطنة عُمان عام ١٩٨٢م.

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر

١. كتاب الإحصاء السنوي ٢٠٢٣ م، الجهاز المركزي للإحصاء، الجمهورية اليمنية، ٢٠٢٥ م.
٢. الكتاب الإحصائي السنوي ٢٠٢٣ م، المركز الوطني للإحصاء والمعلومات، سلطنة عُمان، الإصدار (٥١)، أغسطس ٢٠٢٣ م.
٣. اللجنة التنظيمية للجبهة القومية: كيف نفهم تجربة اليمن الديمقراطية الشعبية؟، (١٩٦٩م). الطبعة الأولى، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.

ثانياً: الوثائق الأجنبية

1. CENTRAL INTELLIGENCE AGENCY UNITED STATES. (19 May 1972). *The Mountain and the Plain: The Rebellion in Oman, Intelligence Memorandum*. No. 2034/72. Secret, Approved For Release 2008/11/18.
2. COLONIAL REPORTS. (1954). *Aden 1951 and 1952*, DOCUMENTS DEPARTMENT. LONDON : HER MAJESTY'S STATIONERY OFFICE.
3. FCO 8/1860 (17 MAY 1972)، وزارة الخارجية وشؤون الكومنولث / المملكة المتحدة) *NOTE FOR WHITSUN ADJOURNMENT DEBATE, BORDER CLASH BETWEEN PDRY AND OMAN*.
4. FCO 8/2020 (RECEY June 1973)، (وزارة الخارجية وشؤون الكومنولث / المملكة المتحدة) *Middi East*). SECRET. BRITISH EMBASSY. MUSCAT. Dept REGISTRY No. (35) FCO.
5. FCO 8/2023 (وزارة الخارجية وشؤون الكومنولث / المملكة المتحدة): MINISTRY OF DEFENCE, 27th February, 1973, OMAN, Copy No. 2 of 2 copies.
6. FCO 8/2023 (وزارة الخارجية وشؤون الكومنولث / المملكة المتحدة) (27th February 1973). MINISTRY OF DEFENCE. OMAN. Copy No. (2 of 2) copies.
7. FCO 8/2031 (5 March 1973)، (وزارة الخارجية وشؤون الكومنولث / المملكة المتحدة) *The Truth about the Communists in Dhofar*. CONFIDENTIAL. BRITISH EMBASSY. MUSCAT. Translation of Government Publication.
8. FCO 8/2031 (16 July 1973) DE Tatham Middle East Dept. SECRET. DD 897261 230443 500M 5/72 GM 3643/2.

9. FCO 8/2031 (20 JUL 1973). (وزارة الخارجية وشؤون الكومنولث / المملكة المتحدة) *THE POPULAR FRONT FOR THE LIBERATION OF OMAN AND THE ARABIAN GULF Origins of Dhofar insurgency.*
10. FCO 8/2244 (وزارة الخارجية وشؤون الكومنولث / المملكة المتحدة) ١٩٧٤ . *HIS MAJESTY SUITAN QABOOS OF OMAN, CONFIDENTIAL,*
11. FCO 8/2244 (وزارة الخارجية وشؤون الكومنولث / المملكة المتحدة) ١٩٧٤. *CONFIDENTIAL.*
12. FCO 8/586 (19 November 1967). (وزارة الخارجية وشؤون الكومنولث / المملكة المتحدة) *PRIORIT MUSCAT TO FOREIGN OFFICE. CONFIDENTIAL. Cypher/Cat A . Addressed to Bahrain telegram No. 468 of 19 November. Repeated for information to Foreign Office, Aden (Personal). U.K.Mission Geneva and UKMIS New York.*
13. FO 371/174563 (December 27, 1963). (وزارة الخارجية وشؤون الكومنولث / المملكة المتحدة) *CONFIDENTIAL. BRITISH RESIDENCY. BAHRAIN.*
14. FO 371/174563 (25th April, 1964). (وزارة الخارجية وشؤون الكومنولث / المملكة المتحدة) *CONFIDENTIAL. HIGH COMMISSIONER'S OFFICE, ADEN.*
15. FO 371/174563 (9 JUN 1964). (وزارة الخارجية وشؤون الكومنولث / المملكة المتحدة) *SECRET. RECEIVED IN INWARD TELEGRAM. TO THE SECRETARY OF STATE FOR THE COLONIES.*
16. FO 371/185365 (وزارة الخارجية وشؤون الكومنولث / المملكة المتحدة) *THE USE OF HAUF BY DHOFARI, SECRET. Annex 'A!. REBELS 1965/66. REVIEW OF INFORMATION. General.*
17. FO 371/185365 (25 October 1966). (وزارة الخارجية وشؤون الكومنولث / المملكة المتحدة) *Hauf, SECRET FROM ADEN TO FOREIGN OFFICE, Cypher/OTP, Sir R. Turnbull. NO. PERSONAL 430 NO. PERSONAL 230. Addressed to Foreign Office telegram NO. Personal 430 of 25 October Repeated for information to: Residency Bahrain and Muscat, Your telegram Personal No. 511.*
18. FO 371/185365 (11 NOV 1966). (وزارة الخارجية وشؤون الكومنولث / المملكة المتحدة) *Operation at Hauf, SECRET.*
19. FO 371/185365 (وزارة الخارجية وشؤون الكومنولث / المملكة المتحدة): *SECRET, Category AC: no unclassified reply or reference, 250940% October Date: 25.10.66, From C in C Mideast, To :MOD UK.*

20. FO 371/185365 (وزارة الخارجية وشؤون الكومنولث/المملكة المتحدة) BRITISH CONSULATE GENERAL SECRET, 13 October, 1966.
21. FO 371/185365 (وزارة الخارجية وشؤون الكومنولث/المملكة المتحدة) SECRET, FROM ADEN TO FOREIGN OFFICE, Cypher/OTP, Sir R. Turnbull, NO. PERSONAL 430 NO. PERSONAL 230, 25 October 1966, Addressed to Foreign Office telegram NO. Personal 430 of 25 October Repeated for information to: Residency Bahrain and Muscat, Your telegram Personal No. 511: Hauf.
22. FO 371/185365 (وزارة الخارجية وشؤون الكومنولث/المملكة المتحدة) SECRET, THE DENIAL OF HAUF TO DHOFARI REBELS, Introduction.
23. FO371/185365 (وزارة الخارجية وشؤون الكومنولث/المملكة المتحدة) 1966, SECRET .
24. FO371/185365 (وزارة الخارجية وشؤون الكومنولث/المملكة المتحدة) SECRET, THE DENIAL OF HAUF TO DHOFARI REBELS, Introduction.
25. UNITED NATIONS SECURITY COUNCIL: Distr. GENERAL, s/lo647 , 16 May 1972, ORIGINAL: ENGLISH, LETTER DATED 12 MAY 1972 FROM THE PERMANENT REPRESENTATIVE OF THE PEOPLE'S DEMOCRATIC REPUBLIC OF YEMEN- TO THE UNITED NATIONS ADDRESSED TO THE SECRETARY-GENERAL.
26. UNITED NATIONS SECURITY COUNCIL: Distr. GENERAL, s/lo797, 21 September 1972, UTTER DATED 21 SEPTEMBER 1972 FROM THE PERMANENT REPRESENTATIVE OF OMAN TO THE UNITED NATIONS ADDRESSED TO THE PRESIDENT OF THE SECURITY COUNCIL.
27. United Nations. (1 October 1992). *International boundary agreement between the Sultanate of Oman and the Republic of Yemen*, , Delimitation Treaties Infobase, accessed on 18/03/2002.

ثالثاً: المراجع العربية

١. البطاشي، سيف بن حمود بن حامد. (١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م). الطالع السعيد - بُد من تاريخ الإمام أحمد بن سعيد، الطبعة الثانية. مسقط: مكتب المستشار الخاص لجلالة السلطان للشؤون الدينية والتاريخية.
٢. بلحاف، عامر. (٢٠١٦م). اللغة المهرية المعاصرة بين عربيين، الطبعة الأولى. الرياض: مركز حمد جاسر الثقافي.

٣. التكريتي، عبد الرزاق. (٢٠١٩م). ثورة الرياح الموسمية (الجمهوريون والسلطين والإمبراطوريات في عُمان ١٩٦٥ - ١٩٧٦ م)، ترجمة: أحمد حسن المعيني. الطبعة الأولى. بيروت: جداول للنشر والترجمة والتوزيع.
٤. الطائي، عبدالله. (٢٠٠٨م). تاريخ عُمان السياسي، الطبعة الأولى. الصفاء: مكتبة الربيعان للنشر والتوزيع.
٥. طرابلسي، فواز. (٢٠٠٤م). ظفار: شهادة من زمن الثورة، رياض الريس للكتب والنشر.
٦. عبد الحميد، محمد. (د.ت). الاستعمار البريطاني في جنوب الجزيرة العربية، الطبعة الرابعة. الفجالة: مطبعة نهضة مصر.
٧. العكري، عبد النبي. (٢٠٠٣م). التنظيمات اليسارية في الجزيرة والخليج العربي، الطبعة الأولى. بيروت: دار الكنوز الأدبية.
٨. قاسم، جمال. (١٩٩٦م). تاريخ الخليج العربي (الحديث والمعاصر)، المجلد الخامس. (دول الخليج العربي في مرحلة ما بعد الاستقلال من الانسحاب البريطاني إلى غزو وتحرير الكويت ١٩٧١ - ١٩٩١ م)، الطبعة الأولى. مدينة نصر: دار الفكر العربي.
٩. قاسم، جمال. (١٩٩٦م). تاريخ الخليج العربي (الحديث والمعاصر)، المجلد الرابع. (تطور الأوضاع السياسية والاقتصادية في إمارات الخليج العربي ووصولها إلى الاستقلال ١٩٤٥ - ١٩٧١ م)، الطبعة الأولى. مدينة نصر: دار الفكر العربي.
١٠. القوسي، عبد الرزاق. (١٤٣٧هـ). لغات جنوب الجزيرة العربية، الرياض: كتاب مجلة العربي (٢٣٦).
١١. لقمان، حمزة. (١٩٨٥م). تاريخ القبائل اليمنية، الجزء الأول (اليمن الجنوبية). الطبعة الأولى. صنعاء: دار الكلمة.
١٢. مجموعة من الباحثين. (٢٠٢٠م). قراءات في التاريخ الاقتصادي العُماني (السلع العُمانيّة نموذجاً)، الطبعة العربية الأولى. مسقط. الجمعية العُمانيّة للكتاب والأدباء.
١٣. المقحفي، إبراهيم. (٢٠٠٢م). معجم البلدان والقبائل اليمنية، الجزء الثاني. صنعاء: دار الكلمة. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات.

١٤. النفيسي، عبدالله. (د.ت). *تثمين الصراع في ظفار (١٩٦٥ - ١٩٧٥ م)*، (مكان الطبع غير مذكور): مطابع دار السياسة.

١٥. ولفنسون، إسرائيل. (١٩٢٩م). *تاريخ اللغات السامية، الطبعة الأولى*. مصر: مطبعة الاعتقاد.

١٦. ويس، عبد المجيد ياسين. (٢٠٠٤م). *فقه العربية وسر اللغة المهرية*. صنعاء: جامعة صنعاء.

رابعًا: مراجع أجنبية:

1. Calvin H. Allen, Jr. (20٠٠). *OMAN UNDER QABOOS From Coup to Constitution 1970-1996*, New York: Routledge.
2. Elie, Serge. (2020). *A Post-Exotic Anthropology of Soqatra (Cultural and Environmental Annexation of an Indigenous Community)*, Volume II. Switzerland: Springer Nature.
3. Farrokh, Kaveh. (2011). *Iran at War: 1500-1988*, Osprey Publishing.
4. Rubin, Aaron. (2010). *The Mehri Language of Oman*. Studies in Semitic Languages and Linguistics, VOLUME (58). Leiden: Copyright by Koninklijke Brill NV.

خامسًا: البحوث والمقالات الأجنبية

1. Benest, David. (October 9, 2015). Brigadier John Graham & The Dhofar War 1970-1972. *The Strategy Bridge*. <https://thestrategybridge.org/the-bridge/2016/1/1/ponder-anew-brigadier-john-graham-the-dhofar-war-19701972>.
1. Hughes, G. (2015). A Proxy War in Arabia: The Dhofar Insurgency and Cross-Border Raids into South Yemen, *MIDDLE EAST JOURNAL*, 69(1), 91-104.
2. HUGHES, GERAINT. (Nov 2013). The Secret War in South Yemen 1972-75. DEFENCE-IN-DEPTH Research from the Defence Studies Department. *King's College London*, <https://defenceindepth.co/2015/04/15/the-secret-war-in-south-yemen-1972-75/>.
3. Senelle, Marie-Claude. (21 Nov 2013). Mehri and Hobyot spoken in Oman and in Yemen. *HAL*.

سادسًا: الرسائل العلمية

١. يسلم، سماح. (٢٠١٩م). *التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية* (١٩٧١ - ١٩٨٣م) [رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة عدن].

1. Al Kharusi, Khalid. (2018) *THE DHOFAR WAR 1965 – 1975* [A thesis submitted in partial fulfilment for the requirements for the degree of Doctor of Philosophy, University of Central Lancashire].

سابعًا: الصحف والدوريات

٢. مجلة ٩ يونيو (المجلة المركزية للجهة الشعبية لتحرير عُمان)، (يونيو ١٩٧٥م). برنامج العمل الوطني. السنة الخامسة، العدد الخامس.

1. *The New York Times*, (Aug. 31, 1971). Sultan of Oman Offers Peace To Rebels but Prepares Drive. <https://www.nytimes.com/1971/08/31/archives/sultan-of-oman-offers-peace-to-rebels-but-prepares-drive.html>.
2. *The New York Times*, (Dec. 12, 1975). Oman Announces End Of the War in Dhofar. <https://www.nytimes.com/1975/12/12/archives/oman-announces-end-of-the-war-in-dhofar.html>.
3. *The New York Times*, (Jan. 26, 1976). Oman Stressing Islam to Counter Rebels. <https://www.nytimes.com/1976/01/26/archives/oman-stressing-islam-to-counter-rebels-liberation-front-formed.html>.

ثامنًا: المواقع الإلكترونية:

١. موقع BBC عربي، (٧ سبتمبر ٢٠١٩م). قصة حركة التمرد العُمانية التي أرادت (تحرير) كل دول الخليج.

<https://www.bbc.com/arabic/middleeast-49594955>

٢. موقع أنوار (دائرة التواصل والإعلام – سلطنة عُمان)، (٢٤ مارس ٢٠٢١م). لغة الهوبيوت مهددة بالانقراض. <https://2u.pw/Nwqn1>.

٣. موقع محافظة ظفار، ولاية رخيوت.

<https://dhofar.gov.om/state-details/Rakhyut-State>

ملحق الوثائق

الوثيقة (١)

توزيع	الأمم المتحدة
عام	مجلس الأمن
S/lo647	
١٦ مايو ١٩٧٢ م	
الأصل: الإنجليزية	

رسالة مؤرخة في ١٢ مايو ١٩٧٢ م من الممثل الدائم
لجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية - إلى الأمم المتحدة
خطاب موجه إلى الأمين العام
يشرفني أن أطلب أن يعمم البيان الأخير المتعلق
بالعدوان على جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية باعتباره
وثيقة رسمية من مجلس الأمن.
(توقيع) عبد الملك إسماعيل
الممثل الدائم
لجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية

S/10647

الإنجليزية

الصفحة 2

بيان متعلق: بالعدوان الأخير ضد

جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية

...

...، انغمست القوات العسكرية البريطانية المرابطة في عُمان، بالتعاون مع قوى الإمبريالية العالمية والرجعية المحلية، في استفزازات وتسلمات عسكرية ضد جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، ومارست كافة أشكال الضغوط العسكرية في محاولة لتعطيل تنميتها الاقتصادية، بما يمثل انتهاكاً صارخاً لسيادتها وسلامتها الإقليمية.

صعدت القوات العسكرية البريطانية المتمركزة في عُمان بشكل واضح من استفزازاتها التي بدأت في منتصف أبريل ١٩٧٢ م. ففي ١٥ أبريل ١٩٧٢ م، انتهكت ثلاث سفن حربية بريطانية المياه الإقليمية لجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية في خطوة استفزازية واضحة تمهيداً لارتكاب المزيد من أعمال العدوان. وتكرر هذا الانتهاك في ١٧ أبريل عندما اقتحمت حاملة طائرات بريطانية - استخدمت لاحقاً كمنصة لإطلاق الطائرات المقاتلة - المياه الإقليمية للجمهورية.

كل هذا لم يكن سوى مقدمة للهجوم الإجرامي والصارخ الذي شُنَّ في الرابع من مايو عام ١٩٧٢ م على مواقعنا وقواتنا في حبروت، ووادي شفوات، وجبال روبوت في محافظتنا السادسة على طول حدودنا الشرقية. فقد قصف العدو منطقتنا الشرقية باستخدام طائرات هوكر والمدفعية وغيرها من الأسلحة المتوسطة والخفيفة، مما أدى إلى مقتل خمسة مدنيين، وتدمير مركبات ومركز للشرطة. كما استخدمت الطائرات البريطانية قنابل حارقة أدت إلى حرق المزارع وأشجار النخيل في وادي حبروت. وفي الوقت نفسه، أنزلت طائرات الهليكوبتر البريطانية أتباع العميل السلطان قابوس سلطان عُمان وغيره من المرتزقة في حبروت في محاولة لمحاصرة الموقع واحتلاله. ومع ذلك، فإن قواتنا صدت الغزاة بشجاعة.

قدّمت حكومة جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية احتجاجات متكررة إلى الحكومة البريطانية، واستشهدت بأكثر من (١١٩) حادثة انتهاك للطائرات البريطانية لمجالنا الجوي،

بالإضافة إلى انتهاكاتٍ عديدة لمياهنا الإقليمية من قبل السفن البريطانية. ومع ذلك، لم يتم وقف أعمال الانتهاك، بل يجري تصعيدٌ خطير للعدوان.

ومن الواضح الآن أن القواعد البريطانية في مصيرة والدقم وصلالة، ام الغوارف ونزوى الواقعة في عُمان، تُستخدم لأغراض عسكرية ضد جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية. وتفيد التقارير بأن الخطط المقدمة من القوات الاستعمارية البريطانية والدوائر الرجعية المحلية بغزو وتفكيك أوصال محافظتنا الخامسة والسادسة، تُقدم بانتظام. كما يبدو أن الاستعدادات لغزو واسع النطاق لبلدنا تتقدم. فمنذ اليوم الأول لاستقلالنا، كان يصلنا بانتظام أن العالم الإمبريالي وقواه الرجعية المحلية لن تتسامح مع تقدميتنا.

/.../

S/10647

الإنجليزية

الصفحة 3

...

(١) _____

(1) United Nations Security Council: Distr. General, S/LO647, 16 May 1972, Original, Letter Dated 12 May 1972.

الوثيقة (٢)

توزيع

عام

S/10797

٢١ سبتمبر ١٩٧٢م

الأصل: الإنجليزية

رسالة مؤرخة ٢١ سبتمبر ١٩٧٢م من الممثل الدائم لسلطنة عُمان إلى الأمم

المتحدة موجّهاً إلى مجلس الأمن

... - آخر الأعمال العدوانية التي ارتكبتها جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ضد السلامة الإقليمية وسيادة سلطنة عُمان.

بين ٢٢ مايو و ١ يونيو، أطلقت قوات جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية قذائف الهاون والمدافع الرشاشة على المواقع العُمانية والطائرات العُمانية التي كانت تحلق في المجال الجوي العُماني، من مواقع على الجانب الحدودي التابع لسلطنة عُمان.

وفي ٢٢ يونيو ١٩٧٢م، أطلقت قوات جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية (٢٣) قذيفة هاون متوسطة على مواقع عُمانية. وفي ٢٣ يونيو ١٩٧٢م، أطلقت قذيفتا هاون متوسطتان عبر الحدود من قبل قوات جنوب اليمن.

وفي ٩ يوليو ١٩٧٢م، أطلقت سبع طلقات هاون متوسطة المدى على مواقع عُمانية. وفي ٨ سبتمبر ١٩٧٢م، أطلقت ثمان قذائف هاون متوسطة على شاحنة عُمانية تزن ثلاثة أطنان كانت تعبر وادياً في الأراضي العُمانية.

وفي ١٠ سبتمبر ١٩٧٢م، أطلقت سبع طلقات من عيار (٧٥) ملم. وسقطت ثلاث منها على مواقعنا.

وفي ١٣ سبتمبر ١٩٧٢م، أُطلقت (٢٧) قذيفة هاون متوسطة وسبع طلقات من عيار (٧٥) ملم. وسقطت نيران بنادق عديمة الارتداد على مواقع عُمانية، مما أدى إلى إصابة جنديين عُمانيين. وتأخذ حكومة سلطنة عُمان نظرة جادة تجاه هذه الأعمال العدوانية الأخيرة التي تقوم بها جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، والتي أعلنت بشكل صارخ عن نواياها العدائية ضد سلطنة عُمان، دولة ذات سيادة وعضو في الأمم المتحدة.

/٠٠٠
٧٢ - ١٨٥١٨

S/10797

الإنجليزية

الصفحة ٢

وإذ نطلب بتواضع إلى سعادتكم أن ترفعوا هذه الرسالة إلى المحكمة الجنائية الدولية، وأن تخططوا جميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة علماً بها، من خلال إدراجها كوثيقة من وثائق مجلس الأمن، ...

(توقيع) أ. فيصل السعيد

سفير

الممثل الدائم^(١)

(1) United Nations Security Council: Distr. General, s/lo797, 21 September 1972, Utter Dated 21 September 1972.

السوق القديم بمدينة ذمار اليمنية "دراسة حضارية أثرية"

طارق أحمد المحنح
طالب ماجستير، قسم الآثار
جامعة ذمار، اليمن
ttaarriigg221@gmail.com

د. مبروك محمد الذماري
أستاذ الآثار الإسلامية المشارك
جامعة ذمار، اليمن
mabrookalthamari@tu.edu.ye

(قُدِّم للنشر في ٢٠/٠٢/١٤٤٧هـ، وقُبِّل للنشر في ١٠/٠٦/١٤٤٧هـ)

الملخص:

يتناول هذا البحث السوق القديم بمدينة ذمار كنموذج لعارة الأسواق اليمنية التقليدية في العصر الإسلامي، من خلال دراسة نشأته، وتطوره التاريخي، وتخطيطه العمراني، وتنظيمه الوظيفي. وتتناول الإشكالية الغموض المحيط بتاريخ السوق، ودور فقه العارة الإسلامية في تنظيمه وتوجيه تخطيطه. وتمثل أهمية السوق كونه مكون حضري تراثي حيوي في نسيج المدينة القديمة، لم يسبق دراسته، من ناحية أثرية وحضارية. واعتمد البحث على المنهج التاريخي، والمنهج الأثري الذي يركز على العمل الميداني، والوصف والتحليل المعاري، بهدف توثيق السوق وتقديم قراءة معيارية ووظيفية، يمكن أن تساهم في دعم جهود الحفاظ والتأهيل والاستدامة لهذا الموروث. وأظهر البحث أن السوق القديم في مدينة ذمار لم يكن مجرد مكان للتبادل التجاري فحسب، بل كان مؤسسة اقتصادية واجتماعية وسياسية متكاملة، وكان أيضاً وسيلة إعلامية للسلطة. ويتميز بتخطيط عمراني منسجم مع نمط الأسواق في المدن الإسلامية؛ اليمنية القديمة؛ مثل سوق صنعاء، وإب، وزيد، من حيث موقعه المركزي، وترابطه الوظيفي مع باقي أجزاء المدينة. كما عكس التنظيم والتوزيع المكاني للأسواق المتخصصة مبادئ فقهية تقوم على مبدأ: "نفي الضرر" و"الأمر بالمعروف"، وارتبط بنظام إداري هرمي دقيق. وقد ساهم نظام الوقف بشكل كبير في استمرارية السوق وبقائه، وبرغم ذلك إلا أنه يواجه تحديات عمرانية ووظيفية تتطلب تدخلات للحفاظ عليه وتأهيله، وإعادة تفعيله كعنصر تراثي واقتصادي مهم في المدينة بما يحقق استدامته.

الكلمات المفتاحية: السوق القديم، مدينة ذمار، الأسواق الإسلامية، فقه العارة، التراث العمراني.

The Old Market in Dhamar City, Yemen: An Archaeological Civilizational Study

Dr. Mabrook Mohammed Al-Dhamari

Associate Professor of Islamic Archeology

University of Thamar, yemen

Mbkry194@gmail.com

Tariq Ahmed Al-Mohnish

Master's student

University of Thamar, yemen

ttaarriigg221@gmail.com

(Received: 20/ 02/ 1447 H; Accepted for publication: 10/ 06/ 1447 H)

Abstract:

This research examines the old market in Dhamar city as a model of traditional Yemeni market architecture during the Islamic era, through a study of its origins, historical development, urban layout, and functional organization. The problem addresses the ambiguity surrounding the market's history and the role of Islamic architecture jurisprudence in its regulation and spatial planning. The significance of the market lies in its being a vital heritage urban component within the fabric of the old city, which has not been previously studied from an archaeological and civilizational perspective. The research adopts a historical methodology and an archaeological approach based on fieldwork, architectural description, and analysis, aiming to document the market and provide an architectural and functional interpretation that could contribute to preservation, rehabilitation, and sustainability efforts for this heritage. The study reveals that the traditional market in Dhamar was not merely a place for commercial exchange but an integrated economic, social, and political institution, as well as a medium of communication for the ruling authority. The market reflects an urban configuration characteristic of ancient Islamic cities in Yemen, resembling in its layout and commercial functions the historic markets of Sanaa, Ibb, and Zabid. characterized by its central location and functional interconnection with other parts of the city. The organization and spatial distribution of specialized markets reflected jurisprudential principles based on the concepts of "preventing harm" and "enjoining good," and were linked to a precise hierarchical administrative system. The waqf (endowment) system played a significant role in the market's continuity and survival. Nevertheless, it faces urban and functional challenges that require interventions to preserve, rehabilitate, and reactivate it as a vital heritage and economic element in the city, ensuring its sustainability.

Keywords: Old Market, Dhamar City, Islamic Markets, Architectural Jurisprudence, Urban Heritage.

المقدمة:

كانت التجارة منذ القدم من أهم العوامل التي أدت إلى نشوء المدن، ومن هنا برزت أهمية اختيار موقع المدينة على الطريق الرئيسية، وتوسط هذا الموقع ليقرب من أطراف التبادل التجاري الأخرى، فينعكس ذلك على اقتصادها رخاء وثرء، حيث كان إنشاء الأسواق في المدن الإسلامية من محاور النهضة بعمرانها (سويلم، ٢٠٠٨، ص ١١). وتعد الأسواق من أهم العناصر التخطيطية للمدينة الإسلامية، فهي تمثل النواة الاقتصادية والاجتماعية التي تنبض بالحياة وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالنسيج الحضري للمدينة. وقد شكلت هذه الأسواق على مدى قرون طويلة مركزاً للتبادل التجاري وفضاءً للتفاعل الاجتماعي والثقافي بين سكان المدينة والوافدين إليها (منظمة العواصم، ٢٠٠٥، ص ١٩١).

انطلاقاً من الأهمية الحضارية للأسواق، حدد علماء السياسة الشرعية في مجال عمران المدن الأسس التي يجب أن يراعيها الحاكم عند إنشاء أية مدينة، ومن هذه الأسس ما ذكره ابن أبي الربيع (ت: ٢٧٢هـ) ثمانية أسس أو شروط، أحدها "أن يقدر أسواقها بحسب كفايتها، لينال سكانها حوائجهم من قرب" (بن أبي الربيع، ٢٠١٠، ص ١٥٤). وقد تطورت عمارة الأسواق في المدن الإسلامية، وذلك استجابةً للتحويلات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وشكلت هذه الأسواق محطات مهمة على طرق التجارة الإقليمية والدولية.

وفي اليمن، تحظى هذه الأسواق بمكانة خاصة كونها شاهداً على عراقة الحضارة اليمنية وإرثها التجاري الذي كان يربط اليمن بمختلف أنحاء العالم القديم (جحاف، ٢٠١٩، ص ١٣-١٤). وامتازت الأسواق في المدن اليمنية بخصائص معمارية فريدة تعكس التراث الحضاري والثقافي لليمن، وتستجيب في الوقت نفسه للمتطلبات المعيشية وحاجات المجتمع المحلي (جحاف، ٢٠١٩، ص ١٣).

أهمية البحث:

١. يمثل السوق القديم في مدينة ذمار القديمة موقعاً ذا قيمة أثرية، وواحداً من أبرز الأمثلة على الأسواق الإسلامية التاريخية الأصيلة.

٢. يعد السوق القديم مكوناً حضرياً تراثياً، وأحد شرايين الحياة الاقتصادية والاجتماعية الهامة؛ ليس لمدينة ذمار وحدها، بل للمنطقة المحيطة بها أيضاً.
٣. يحتل السوق موقعاً مركزياً في قلب المدينة القديمة، مما يعزز قيمته الوظيفية والرمزية.
٤. يشكل السوق القديم شاهداً حياً على الدور الحضاري للمدينة، ويجسد تخطيطه العمراني التقليدي أصالة التراث الاسلامي اليمني.

الإشكالية: تشكل التجديدات المستمرة في عمارة السوق، وتبدل وظائف أسواقه الفرعية خطراً حقيقياً، يتمثل في الاختفاء التدريجي لمعالمه وبنيته الأثرية المعمارية الأصلية. كما تتمثل الإشكالية الأساسية في الفجوة المعرفية الناتجة عن انعدام الدراسات البحثية الأكاديمية التي تناول السوق القديم، بالإضافة إلى رفض الهيئة العامة للأوقاف بدمار الكشف عن الوثائق والسجلات القديمة المتعلقة بالسوق. وبالتالي يحاول البحث كشف الغموض المعرفي الذي يكتنف السوق من حيث:

١. نشأة السوق القديم بمدينة ذمار، وتطوره التاريخي.
٢. الدور الحضاري الذي قام به السوق.
٣. التخطيط العمراني الذي يتكون منه السوق، والحالة الأثرية الراهنة.
٤. المبادئ الفقهية التي ساهمت في عمارته وتنظيمه الإداري والوظيفي.

الأهداف الرئيسية للبحث:

١. معرفة وتحليل عوامل نشأة السوق وتطوره التاريخي، ودراسة التنظيم المكاني والعمراني والإداري التاريخي للسوق وأسواقه المتخصصة.
٢. توثيق الحالة الأثرية المعمارية والوظيفية الراهنة للسوق القديم، وتقديم قراءة ميدانية مدعومة بالتحليل البصري والاحصائي، لفهم الواقع الحالي للسوق ضمن سياقه العمراني والتجاري والاجتماعي.
٣. محاولة اكتشاف دور الفقه الاسلامي في تخطيط وتنظيم السوق، من خلال تحليل المبادئ الشرعية التي شكلت الاطار النظري والمعماري للفضاءات التجارية المتخصصة.

٤. كشف الأدوار الحضارية المتعددة التي قام بها السوق، وتحليل مضامينها.

٥. تقييم وتحليل الوضع الراهن للسوق من ناحية معمارية ووظيفية.

منهج البحث: يعتمد البحث على

١. المنهج التاريخي: لتتبع نشأة ومراحل تطور السوق عبر الحقب الإسلامية، وأدواره

الحضارية المتنوعة، من خلال تحليل المصادر التاريخية والوثائق المتاحة.

٢. المنهج الأثري: القائم على الوصف والتحليل المعماري، والذي استند إلى الدراسة

الميدانية المباشرة لمكونات السوق.

وتتمثل أدوات البحث في: تحليل المصادر والوثائق التاريخية المتاحة. والاستعانة

بدراسة ميدانية معمارية، أعدها طلاب كلية الهندسة بجامعة ذمار عام (٢٠٢٥). وإضافة إلى

ذلك الرفع الهندسي الميداني لمواقع مختارة من السوق، والاستفادة من الصور القديمة التي

التقطت له، ثم القيام بالتصوير الفوتوغرافي للوحدات المعمارية فيه. كما تم إجراء مقابلات

غير مباشرة مع أصحاب الحوانيت، ومقابلات مباشرة مع مسؤولي الأوقاف، وكبار السن في

المدينة، والذين لم يسمحوا بذكر أسمائهم.

هيكل البحث: جاء متسلسلاً وطبيعية الموضوع على النحو الآتي:

المقدمة: تُعرّف بالأسواق الإسلامية، وأهمية البحث، وإشكاليته، والمنهج العلمي المتبع،

وأدوات البحث.

المبحث الأول: يتناول عرض مختصر لعلمارة الأسواق في المدينة الإسلامية وتطور بنائها.

المبحث الثاني: يتطرق إلى أهم العوامل التي ساعدت على نشأة سوق ذمار وتطوره التاريخي.

المبحث الثالث: يتناول التخطيط العمراني للسوق القديم، والتنظيم الإداري الذي حكم

أداءه الوظيفي ضمن المدينة الإسلامية.

المبحث الرابع: عرض الحالة الوظيفية والمعمارية الراهنة للسوق، وأبرز التحديات والمخاطر

التي تهدد بقاءه واستمراريته.

الخاتمة: تلخيص لأهم النتائج التي توصل إليها البحث.

المبحث الأول: مدخل إلى عمارة الأسواق في المدينة الإسلامية وتطور بنائها

أولاً: تعريف السوق

السوق بالضم، أصل اشتقاقها من سوق الناس بضائعهم إليها (الزبيدي، ١٩٨٩، ص ٤٧٦). ويعرّف ابن منظور - في معجم لسان العرب - السوق بأنه موضع البياعات، والجمع أسواق، والسوق لغة فيه، وتسوق القوم إذا باعوا واشتروا، وسوق أي تجارة، وهي تصغير السوق، سميت بها لأن التجارة تجلب إليها وتساق المبيعات نحوها (ابن منظور، د. ت، ص ٢١٥٤). والسوق في العالم الإسلامي هو مجموعة من الحوانيت والبسطات في الشوارع حول المسجد الجامع في العادة. وهو عبارة عن طريق به دكاكين أو طاقات من الجهتين ومبانيها محلات كالحانات. وقد تكون الأسواق مسقوفة، وكل سوق أو خان أو رواق أو طريق قد يكون له بوابات أو متخصصاً لصنف معين من السلع أو الحرف (سويلم، ٢٠٠٨، ص ٢٤).

ثانياً: عمارة الأسواق في المدن الإسلامية الأولى

شهدت المدن العربية القديمة قبل الإسلام نشاطاً تجارياً واسعاً بفضل موقعها على طرق القوافل التجارية العالمية مثل طريق الحرير وطريق اللبان والبخور، مما جعل المدن الواقعة على امتدادها مراكز اقتصادية مزدهرة. ولم تكن الأسواق آنذاك مجرد أماكن للبيع والشراء، بل فضاءات حضارية تجمع بين الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، حيث تُلقى الخطب وتُتداول الأخبار وتُعلن المعاهدات وتُنظم المواسم التجارية، كما في سوق مكة. ويُعد سوق صنعاء من أقدم الأسواق العربية، وقد بلغ ذروة ازدهاره في القرنين الخامس والسادس الميلاديين، حين كانت مدينة صنعاء مركزاً رئيسياً لتجارة القوافل بين الجنوب والشمال (منظمة العواصم، ٢٠٠٥، ص ١٩١).

ومع بزوغ فجر الإسلام، تطورت الأسواق من حيث التنظيم والتخطيط لتصبح جزءاً أساسياً من النسيج العمراني للمدن الإسلامية. ففي البداية كانت الأسواق عبارة عن فضاءات مفتوحة بجوار المسجد، يجتمع فيها التجار لعرض بضائعهم مؤقتاً حتى نهاية

اليوم. وتميزت الأسواق الإسلامية الأولى بكونها نواة اقتصادية واجتماعية متكاملة ارتبطت بالتخطيط الديني والعمراني للمدينة، حيث شكّل المسجد الجامع مركزاً رئيسياً تتفرع منه الممرات التجارية (الكتامي، ٢٠٢٢، ص ص ٤٥٧-٤٦٠).

ويُعتبر سوق المدينة المنورة أول نموذج منظم للسوق الإسلامي؛ إذ أسسه النبي ﷺ بعد قدومه إلى المدينة، واختار له موقعاً قريباً من المسجد النبوي ليكون سوقاً عاماً مفتوحاً للجميع دون ضرائب أو احتكار، واتسم تخطيطه بالبساطة، حيث بُنيت الدكاكين من مواد محلية مثل اللَّبن والخشب، وتُعرض البضائع في صفوف منتظمة مع مراعاة سهولة الحركة والتهوية، مما جعله نواة لتخطيط الأسواق الإسلامية اللاحقة (الكتامي، ٢٠٢٢، ص ٤٥٧-٤٦٠)، واستمر هذا النظام إلى العصر الأموي الذي شهد تحولاً مهماً في بناء الأسواق، (سويلم، ٢٠٠٨، ص ١٢). وقد تميز العصر الأموي بتطورات عدة في عمارة الأسواق التجارية، ومنها: بناء الأسواق وتوظيفها بهيئة معمارية معينة، كفلت وجود حوانيت ثابتة للتجارة، ومساكن تعلوها أُجرت للراغبين في السكن. كما إن هذا التطور أقر مبدأ تأجير البناء التجاري، وأصبح من المؤسسات التي تدر على الدولة ريعاً ثابتاً. وتبلور تصنيف التجار في مجموعات، لكل مجموعة متخصصة في تجارة بعينها موضع بذاته. ويدخل اهتمام الأمويين بالأسواق في إطار سياسة الدولة، التي وجهت إلى تعمير المدن دفعاً للتطور الاقتصادي، والرغبة في جعل هذه المدن تعتمد على إنتاجها (عثمان، ١٩٨٨، ص ٢٢٩). ثم تطور نظام تخطيط الأسواق وعمارتها في العصر العباسي بشكل واضح. وأصبحت الأسواق أحد أهم العناصر في تخطيط المدينة الإسلامية، لما كان لها من صفة الاستمرار (إبراهيم، ١٩٦٨، ص ٤٨). فعندما ضاقت بغداد بأهلها، رأى الخليفة المنصور أن تُنقل التجارة إلى خارجها، وأنشأ الكرخ لتضم التجار جميعاً. كما أنشئت أسواق سامراء بالأسلوب نفسه، مع الفصل بين أهل التجارة والحرف في تصنيف أدق، يخصص لكل حرفة منطقة خاصة بها. وبذلك أصبح إنشاء الأسواق المتخصصة نمطاً تقليدياً في المدينة الإسلامية (عثمان، ١٩٨٨، ص ٢٣٠).

المبحث الثاني: عوامل نشأة وتطور سوق ذمار

أولاً: العوامل الرئيسية لنشأة سوق ذمار

١. العامل الجغرافي: يلعب الموقع الجغرافي دوراً محورياً في نشأة وتطور الأسواق التجارية. ومدينة ذمار ترتفع حوالي (٢٧٠٠ متر) فوق مستوى سطح البحر (المقحفي، ٢٠١١، ج ١، ص ٦٥٥)؛ مما جعلها تتمتع بمناخ معتدل يساعد على النشاط التجاري على مدار العام. والموقع الجغرافي المتميز لمدينة ذمار جعل منها نقطة اتصال بين المدن الرئيسية، لتوسطها بين ريمة، ورداع، وعتمة، وعنس، وأنس، والبيضاء، ويريم (صورة جوية: ١)، ومدينة صنعاء التي تقع شمال مدينة ذمار على بعد حوالي (١٠٠ كم) (المقحفي، ٢٠١١، ج ١، ص ٦٥٥). ويمر بمدينة ذمار الطريق التجاري الرئيسي قديماً وحديثاً، الذي يربط جنوب اليمن بشماله (الحجري، ١٩٩٦، ص ٣٤٦). وكانت أيضاً إحدى المدن التي شكلت محطة من المحطات التجارية، حيث ذكرها المؤرخ الهمداني (ت: بعد: ٣٥٠ هـ) ضمن مدن محجة الجند إلى صنعاء (الهمداني، ١٩٩٠، ص ٣٠٦). وتتألف مدينة ذمار القديمة من ثلاثة أحياء رئيسية: الحي الأول يسمى الحوطة ويمثل نواة المدينة القديمة، وإلى الشمال الشرقي منه تمتد حارة القاع. ويشغل حي الحوطة الجانب الشرقي من المدينة، وبه الجامع الكبير الذي يتقدمه سوق الحوطة. أما الحي الثاني حي المحل، ويشغل الجانب الشمالي للمدينة، في حين يشغل حي الجراجيش الجانب الجنوبي الغربي. وتشكل البنية التجارية المركزية للمدينة القديمة عند نقطة التقاء حيي المحل والجراجيش، حيث يقع كل من سوق الربوع والسوق القديم المسقوف (الكوماني، ٢٠١٠، ص ٢٢-٢٣؛ الذماري، ٢٠٢٥، ص ٣٤ - ٣٦).

٢. العامل الاقتصادي: تصنف مدينة ذمار من مدن اليمن التجارية (الحجري، ١٩٩٦، ص ٣٤٣). وتميزت منطقة ذمار بوفرة انتاجها الزراعي والحيواني والمعدني، مما أدى إلى انتعاش الحياة في المدينة وأسهم في ازدهار أسواقها، وازدحمت بالكثير من المشترين والتجار من كافة البقاع (العليان، ٢٠١٢، ص ٦٧). وكانت مدينة ذمار مركزاً تجارياً لتجميع وتوزيع

المنتجات الزراعية من المناطق المحيطة بها، فضلاً عن أنها مركزاً لإنتاج الصناعات التقليدية أيضاً: مثل الحدادة، والنجارة، والنسيج، مما جعلها محطة مهمة لتبادل السلع بين المناطق المجاورة لها (الشميري، ٢٠٠١، ص ٤٩).

ثانياً: التطور التاريخي لسوق مدينة دمار:

أقدم إشارة تاريخية في العصر الاسلامي - حسب إطلاع الباحثان - ذكرت سوق دمار هي التي وردت عند المؤرخ الرازي (ت: ٤٦٠هـ)، حيث قال: "حدثني القاضي الحسين بن محمد، قال: ذكر لي جدي أن أحل الصوافي ما أصفاه عمر بن الخطاب من أرض باذان (ومنها ...، وسوق باذان) قال القاضي: يعني سوق دمار" (الرازي، ١٩٨٩، ص ١٣٩). ويؤكد هذه المعلومة مرة أخرى المؤرخ الرازي نفسه عند ذكره عمارة جامع صنعاء بقوله: "قال أبو محمد وحدثني حفص بن أبي الدغيش قال: حدثني غير مرة أنه ليس باليمن صافية أصح ولا أحل من صافية صنعاء ودمار، وذلك أنها كانتا لبادان فأصفاهما عمر بن الخطاب لأنه بلغه أنه أسلم إسلام طاعة قبل أن تفرض الفرائض ولم يكن له ولد مسلم فأصفى ماله لذلك" (الرازي، ١٩٨٩، ص ١٨٢).

ومما سبق يتبين أن موضع سوق دمار في الفترة الاسلامية المبكرة كان من ضمن "الصوافي" التي أصفاهما الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهي الأراضي التي آلت إلى بيت مال المسلمين بعد وفاة الملوك والولاة.

كان الجامع الكبير في حي الحوطة بمدينة دمار نواة للمدينة الإسلامية (خارطة: ١ - ٢، صورة جوية: ٢)، لأنه أنشئ في القرن الأول الهجري (الرازي، ١٩٨٩، ص ١٣٩)، ويكتنف الجامع من جهته الغربية ساحة مفتوحة، يطل عليها السوق الأول للمدينة، وما زال الموقع حالياً يعرف بسوق الحوطة (الذماري، ٢٠٢٥، ص ٣٤). ويصنف سوق مدينة دمار منذ ظهور الإسلام حتى بداية القرن الثالث الهجري أنه ضمن الأسواق الدائمة غير المتخصصة (العليان، ٢٠١٢، ص ١٨٦).

المعلومات التاريخية عن سوق ذمار نادرة جداً، إذ لم تذكر المصادر التاريخية سوى إشارات قليلة جداً - غير مباشرة - تتحدث عنه، وذلك ضمن أحداث حربية أو سياسية. وعلى سبيل المثال في سنة (٩٠٨هـ/١٥٠٢م)، خلال صراع الأئمة الزيديين مع سلاطين الطاهرين، دخل السلطان الطاهري عامر بن عبد الوهاب مدينة ذمار، ثم أمر بهدم ذمار ما خلا مسجدها فبعض سماسرها (الجنداري، د. ت، ص ٢٠٢). واستمر سوق الحوطة في أداء وظيفته التجارية والخدمية، إلا أن صغر مساحته والتوسع العمراني الذي شهدته مدينة ذمار - خلال فترات تاريخها الإسلامي - فرض وجود سوق ثاني أكبر مساحة، يستوعب جميع سكان المدينة والقادمين إليها من المناطق المجاورة (الذماري، ٢٠٢٥، ص ٣٧).

ويرجح أن السوق الثاني المعروف بالمسقوف، الذي يعتبر حالياً مركز مدينة ذمار القديمة ظهر في المرحلة الثالثة من توسع عمران المدينة في الجهتين: الغربية والشمالية (الذماري، ٢٠٢٥، ص ٤٢). وربما بعد إنشاء المدرسة الشمسية سنة (٩٤٩هـ/١٥٤٢م) (الكوماني، ٢٠١٠، ص ١١٤)؛ لأن موقعها والسوق معاً أصبحا يتوسطا أحياء المدينة الثلاثة: المحل، والجراجيش، والحوطة - وإن كان حي الحوطة بعيد عنها قليلاً آنذاك. وقد صارت المدرسة الشمسية مركزاً دينياً وتعليمياً هاماً؛ ولذا أنشئ السوق المسقوف بجوارها؛ حيث يعد قرب السوق من المسجد الجامع إحدى الخصائص العامة للمدن الإسلامية (المعتصم، ١٩٨٠، ص ٢١٧).

وقد حدث تطور هام في إنشاء الأسواق بدمار، حيث ظهر سوق جديد بجوار مدينة ذمار القديمة في مدينة ملحظ (دمار الصغرى)، التي أنشأها الوالي العثماني لليمن بهرام باشا سنة (٩٧٨هـ/١٥٧٠م)، وانتقل مركز حكم اليمن إليها لمدة خمس سنوات فقط (الموزعي، ٢٠١٢، ص ٦٣؛ المصري، ٢٠٠٩، ص ٩٧). وكان سوق ملحظ أحد منشآت المدينة، إلى جانب القصر والجامع والحمام (المصري، ٢٠٠٩، ص ١٠٧)، لكنه حالياً يعد من أسواق ذمار المنثرة. وتباينت المصادر التاريخية حول موقع ملحظ وسوقها؛ فالمؤرخ المطيب الزبيدي والمؤرخ عيسى بن لطف الله ذكرا أنها تقع خارج مدينة ذمار، بينما المؤرخ ابن داعر

أشار بأنها تقع في ظاهر دمار، والمؤرخ الموزعي ذكر أنها إلى الجنوب من مدينة دمار، أما المؤرخ الكبسي (ت: ١٣٠٨هـ) فهو الوحيد - حسب اطلاع الباحثان - الذي وضع بأن موقعها شمال قرية قرن دمار وجنوب مدينة دمار، ولا يستبعد أنه شاهد موقعها (المصري، ٢٠٠٩، ص ٩٨ - ١٠٥). وجميع المعلومات السابقة تناقضها وثيقة (وقفية) الحمام الكبير بمدينة دمار الذي أنشئه الوالي العثماني بهرام باشا سنة (٩٨٣هـ/ ١٥٧٥م)، والتي حددت موقع مدينة ملحظ بقبلي (شمال) مدينة دمار الحالية (الذماري، الحمام الكبير، ص ٧٧٢، ٢٩٠، ٢٩١). ومما سبق يظهر الاختلاف حول موقع مدينة ملحظ وسوقها، إلا أن هناك توافق حول موقعها بقرب مدينة دمار القديمة آنذاك.

ولم تشر المصادر التاريخية بمعلومات عن عمارة سوق ملحظ وتخطيطه؛ غير أنه صار خلال تلك الفترة الزمنية القصيرة ذات أهمية كبيرة ومركز تجاري هام في اليمن. وذلك نظراً لاستقرار الوالي العثماني لليمن في هذه المدينة (ملحظ)، ووصول العديد من وفادات مشائخ القبائل اليمنية إليه، فضلاً عن وصول وخروج محامل الحج اليمني منها وإليها، وتوافد إليها حجاج اليمن ليسيروا مع المحمل إلى بيت الله الحرام (المصري، ٢٠٠٩، ص ١٠١ - ١٠٢). وتجدر الإشارة إلى أن موقع مدينة ملحظ لم يتم العثور عليه، حيث طغى التوسع العمراني الحديث على المناطق المحيطة بمدينة دمار القديمة.

وبرغم ظهور السوق الثاني (القديم المسقوف) (خارطة: ١ - ٢)، إلا أن السوق الأول (الحوطة) بمدينة دمار القديمة استمر في أداء وظيفته، فقد ذكرت منشآته (الدكاكين والخانات) - التي كانت تقع بجانب الجامع الكبير - في وثائق الأوقاف حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري (زندال، مقابلة شخصية، ٢٠٢٤؛ السمهري وعياش، ٢٠٢٠، ص ١١). وقد وردت معلومات هامة في وقفية الجامع الكبير بمدينة دمار والمؤرخة بسنة (١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م) عن عدد كثير من الخانات (السماسر)، والخوانيت التي أوقفت لخدمة الجامع، إلا أن هذه الوقفية لم تعد موجودة، وتم نقل مضمونها إلى دفتر حصر الأوقاف (مسودة). وتذكر الوقفية المؤرخة بسنة (١٠٩٠هـ/ ١٦٧٩م) الخاصة بالشريفة الدهماء بنت

أمير المؤمنين المؤيد بالله، أن مما أوقفته السمسة (الخان) التي جوار الجامع الكبير. وكذلك في وقفية أخرى تعود إلى قبل سنة (١٢٣٤هـ/١٨١٨م)، تذكر أن السمسة الكائنة بساحة الجامع الكبير في الحوطة، وكذلك منشأتين إحداهما كبيرة والثانية صغيرة، يسمى الواحد منها (الصبل)، وهو يستخدم لمبيت الحيوانات كالأغنام والأبقار، وكذلك يستخدم لتخزين علف الحيوانات. كما أوقفت الحوانيت (الدكاكين) الصغار في الجهة الشمالية للجامع، وجميعها ملك للوقف. كما ذكرت وقفية أخرى نقل محتواها إلى دفتر حصر الأوقاف (مسودة) سنة (١٢٩١هـ/١٨٧٤م) أن السمسة الكبرى (خان) التي تقع غرب الجامع المبارك وبابها شرقاً وتحتها خمس حوانيت، أبوابهن تتجه نحو الغرب إلى الحلقة الكبرى، أي الساحة التي تتقدم الجامع الكبير (زندال، ٢٠٢٤؛ السمهري وعياش، ٢٠٢٠، ص ١١).

وقد استمر نظام وقف المنشآت التجارية في السوق القديم المسقوف لصالح مساجد مدينة ذمار، ومنها مقهاية أي سمسة للاستراحة والمبيت (البهنسي، ٢٠٢٣، ص ١٦٠)، يعود ريعها لصالح مسجد الأمير سنبل بن عبد الله في حي الجراحيش (١٠٤٢هـ/١٦٣٣م) (ابن الرشيد، ٢٠١٣؛ الثور، ٢٠٠٨، ص ١١٠). والجدير بالذكر أن العديد من الدكاكين وبعض السماسر في السوق المسقوف تعود ملكيتها لهيئة الأوقاف العامة للدولة، حتى الوقت الراهن، ويدفع مستأجرها مبلغ من المال سنوياً لهذه الهيئة.

وتتضمن مدينة ذمار القديمة أيضاً سوقاً ثالثاً يعرف بسوق الربوع (الأربعاء)، ويقع ملاصقاً للسوق القديم المسقوف من الجهة الشمالية الغربية، وشمال المدرسة الشمسية (خارطة: ٢، صورة جوية: ٢). وفيما يتعلق بتاريخ ظهور سوق الربوع فما زال هناك غموض في ذلك؛ إذ لم نعثر على معلومات تاريخية تتحدث عنه، سوى ما ذكر لدى المؤرخين، ومنهم: ابن حيدرة (ت ١٢٢١هـ)، والشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، أثناء ترجمتهم للقاضي أحمد بن مهدي الشيببي (ت: ١١٥٧هـ)، أنه عمر المسجد الذي بسوق الربوع (ابن حيدرة، ٢٠٠٢، ص ١٤٧؛ الشوكاني، د.ت، ص ٤٥). ويفهم من ذلك أن المسجد أنشئ بعد وجود السوق، ثم سمي بمسجد الربوع نسبة إلى اسم السوق. وربما أن الحركة التجارية النشطة وقدم

الناس إلى السوق القديم المسقوف كان عاملاً رئيسياً في ظهور سوق الربوع أو العكس تماماً. وكان سوق الربوع اسبوعي، أي أنه ينعقد في يوم الأربعاء فقط، من الصباح الباكر حتى الظهر. وهو عبارة عن ساحة فضاء يفد إليها الناس لبيع وشراء المنتجات الحرفية، والمواشي، وغيرها من السلع التي تباع خلال ذلك اليوم فقط، يقوم بعرضها الوافدين من المناطق الريفية المحيطة بمدينة دمار، ومن سكان المدينة نفسها، وفي الوقت نفسه يقومون بشراء احتياجاتهم خلال ذلك اليوم (ينظر الصورة القديمة: ١). وقد تحول سوق الربوع إلى سوق يومي لبيع العديد من السلع الغذائية وخاصة الخضروات؛ وذلك بسبب الأهمية التجارية التي تبوأها والكثافة السكانية التي شهدتها مدينة دمار.

ثالثاً: أوصاف الرحالة والزائرين لسوق دمار

وردت العديد من المعلومات المقتضبة، التي ذكرت سوق مدينة دمار القديمة في كتابات الرحالة والزائرين، الذين مروا أو أقاموا لفترة قصيرة في مدينة دمار، وهذه المعلومات كانت ضمن حديثهم عن المدينة ككل.

رينزو مانزوني (١٢٩٤-١٢٩٥هـ/ ١٨٧٧-١٨٧٨م)

قام الرحالة الإيطالي رنزو مانزوني بثلاث رحلات في اليمن، وفي الرحلة الأولى التي استمرت بين عامي (١٢٩٤-١٢٩٥هـ) دخل إلى مدينة دمار ومكث فيها، وقد أعطى صورة عامة عن المدينة، وأبدى إعجابه بها وأثنى عليها. ولكنه لم يتحدث عن السوق سوى قوله: "دخلنا وقت المطر، نزلنا في سمسرة أكبر حجماً وإنارة من سمسرة يريم". ويقصد بذلك أنه بات ليلته في أحد خانات المدينة (مانزوني، ٢٠١٢، ص ١٣١).

والتر هاريس (١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م)

زار والتر بيرتون هاريس اليمن عام (١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م) كمراسل صحفي لصحيفة نيويورك تايمز. وقال هاريس أنه بعد ساعات قليلة من وصوله إلى مدينة دمار، كان يتجول في الأسواق (صورة قديمة: ٢)، حيث وصف شوارعها بالضيقة، وعرضها يتسع

لشخصين أو ثلاثة فقط، للمشبي مع بعضهم البعض. وتنقسم المهن إلى شوارع منفصلة وأرباع، كما في أي مكان آخر، والمحلات التجارية هي أماكن صغيرة (Harris, 1893, PP 264-265)

إسماعيل بن إبراهيم (١٣١٣ - ١٣١٨ هـ / ١٨٩٥ - ١٩٠٠ م)

جاء الطبيب العثماني إسماعيل بن إبراهيم إلى اليمن كمفتش الصحة، وإجراء المسوحات والدراسات الطبية، ورفع تقارير مفصلة عنها. وقد قدّم تقريراً عن الأحوال العامة والملاحظات لولاية اليمن. وعن وصفه لسوق مدينة ذمار قال: إنها تضم "ما يزيد عن مائة محل وثلاثين خاناً كبيراً (عمار، ٢٠٠٣، ص ١٧٥).

عبد العزيز الثعالبي (١٣٤٣ هـ / ١٩٢٤ م)

وصل الرحالة التونسي عبد العزيز الثعالبي إلى عدن عام (١٣٤٣ هـ / ١٩٢٤ م)، وخلال سفره من عدن إلى صنعاء، مكث في مدينة ذمار وقدّم وصفاً تفصيلياً للمدينة. وفيما يتعلق بأسواق ذمار، ذكر الثعالبي أنها تعرض فيها الأشياء غير الضرورية، مما يدل على انحطاط ثروة البلاد (الثعالبي، ١٩٩٧، ص ٧٥ - ٧٦).

نزيه العظم (١٣٤٦ هـ / ١٩٢٧ م)

زار الرحالة السوري نزيه العظم مدينة ذمار عام (١٣٤٦ هـ / ١٩٢٧ م)، ووصف المدينة بقوله: "طفنا المدينة فوجدناها أصغر من مدينة صنعاء ولكنها أكبر من الحديدية" (العظم، ١٩٨٦، ص ٢٧٢). وبخصوص أسواق ذمار، ذكر أنها: "لا تختلف كثيراً عن أسواق صنعاء بحجمها" (العظم، ١٩٨٦، ص ٢٧٢). وهذا تأكيد على حيوية النشاط التجاري في المدينة، على الرغم من حجمها المتوسط مقارنة بالمدن اليمنية الأخرى.

أحمد وصفي زكريا (١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م)

جاء أحمد وصفي زكريا إلى اليمن كمستشار فني زراعي، ولمدة ستة أشهر عام (١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م)، حسب رغبة الامام يحيى حميد الدين (سبانو، ١٩٨٣، ص ٢٧٥). وأثناء عمله سجل عدداً من المعلومات والأوصاف للمدن والقرى اليمنية، وكان وصفه

لمدينة ذمار مقتضباً. وفيما يتعلق بسوق ذمار ذكر أنه يضم مائة دكان، وخانات كثيرة (زكريا، ١٩٨٦، ص ١٧١).

كلودي فايان (١٣٧١هـ / ١٩٥٢م)

قدمت الطيبة الفرنسية كلودي فايان عام (١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م) طلباً لوزارة الخارجية الفرنسية للعمل في اليمن كطبيبة، وبعد المراسلات مع حاكم اليمن آنذاك الإمام أحمد حميد الدين، الذي وافق على الطلب؛ سافرت الطيبة من فرنسا إلى اليمن في يناير ١٩٥١م (فايان، د. ت، ص ٨). واثناء إقامتها في المدينة زارت أسواقها ووصفتها بأنها: "متنوعة، ففيها المنتجات الزراعية المتنوعة، ومنتجات الصناعات الصغار كالصوف والجلود، وفيها سجاجيد كبيرة بيضاء وسوداء؛ وهي من أشهر أنواع السجاد، ولا يجد المرء السلع الأوربية في دكاكينها إلا نادراً... وقد لاحظت في أسواق ذمار طريقة ظريفة للإعلانات، فبعض التجار يقيمون بجوار محلاتهم أكشاكاً حجرية يزودونها بالمياه العذبة، ويشبتون الأكواب المعدنية في سلسلة يربطونها في الدكان. ويمر العطشان وقبل أن يشرب لا بد أن يبادلهم الحديث، وقد يكون بعد هذا زبوناً" (فايان، د. ت، ص ١٢١).

ومن خلال الوصف السابق لكلودي فايان يلاحظ أنها ذكرت معلومات مهمة عن السوق، غير أن ذكرها لغرض إنشاء التجار سقايات الشرب بجوار محلاتهم هو جذب الناس للشراء من محلاتهم غير صحيح؛ إذ أن الهدف من وجود السقايات هو تقديم خدمة الشرب للمتسوقين، والغرض الرئيسي منها ابتغاء الأجر والثواب.

ومما سبق ذكره عن الأسواق في مدينة ذمار، يتبين أن المقصود بذلك السوق القديم المسقوف؛ الذي وصف أنه يتألف من أسواق فرعية تخصصية، تضم شوارع بها دكاكين، تستخدم أما لبيع السلع أو لإنتاج وبيع الصناعات التقليدية. ويضم السوق أيضاً العديد من السماسر (الخانات)، وهو يشبه سوق مدينة صنعاء القديمة.

رابعاً: الظواهر السياسية والاجتماعية المتعلقة بالسوق:

لم يكن سوق ذمار مجرد مكان للتبادل التجاري فحسب، بل كان أيضاً فضاءً سياسياً مهماً، وفي الفقرات التالية نورد عدداً من الأحداث والشهادات حول بعض الظواهر السياسية التي كانت تتم في السوق.

١. إظهار السلطة السياسية: استخدم السوق في بعض الأحيان كمكان لتنفيذ العقوبات وإظهار سلطة الدولة، كون السوق مكاناً مركزي عام يتجمع فيه الناس، سواء من المدينة نفسها أو القادمون من المناطق المجاورة. وقد أشار المؤرخ الشرفي (ت: ١٠٥٥هـ) إلى نصب المشتقة في سوق ذمار في فترة حكم الإمام الناصر محمد بن علي (ت: ٧٩٣هـ)، بقوله: "وهي منصوبة بالحلقة في سوق صنعاء، وفي سوق ذمار" (الشرفي، ٢٠٠٢، ج ١، ص ٤٦٤). ولإظهار قوة الإمام المهدي محمد صاحب المواهب (ت: ١١٣٠هـ) ضد معارضيه، استخدم طريقة وحشية لبث الذعر بين المعارضين لحكمه؛ حيث أمر بقطع عنق الأمير عز الدين القطبي أمير المخلاف السليماني، ثم أمر بتعليق رأسه في سوق ذمار، وبقيت جثته يوماً ترميها الصبيان والعامة بالحجارة (الشهاري، ٢٠٠٩، ص ٢٧٩). وحين ادعى الامامة المنصور حسين بن محمد الهادي معارضاً للإمام المتوكل على الله الحسين بن أحمد، دخل المنصور مدينة ذمار سنة (١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م)، وحينها ذكر المؤرخ الجنداري (ت: ١٣٣٧هـ) حادثة رمزية وقعت في سوقها، وقد وصفها بقوله: "دخل ذمار وأراد أن يتهددهم فوضع في السوق عصياً فأخذوها في الليل وجعلوا مكانها أحجاراً إشارة إلى الرجم وتولى عنهم" (الجنداري، د.ت، ص ٤١٢). ويفهم من ذلك أن وضع المنصور للعصي في السوق إشارة رمزية إلى التهديد بالعقاب لسكان ذمار في حالة رفضهم لسلطته؛ لكن أهل ذمار وضعوا مكان العصي حجارة في إشارة إلى أنه يستحق عقوبة الرجم، لا الطاعة؛ فلما رأى المنصور ذلك انسحب، مدركاً رفضهم لسلطته وعدم قبولهم لدعوته.

٢. إعلان الظاهرة: الظاهرة وسيلة من وسائل الاعلام في عهد الأئمة الزيدية باليمن، ومن العادات التي كانت موجودة في اليمن قبل ظهور وسائل الإعلام الحديثة. وهي إذا بدا أمر

هام للحكومة وأرادت إشهاره على الناس أشهرته في المدن بواسطة نوابها. ويستدعى الشخصية الذي سيقوم بالإعلان (الدوشان) فيأمره بإعلان الظاهرة، بعد أن يلقنه نص الخبر الذي يعلنه. ويذهب الدوشان إلى أبرز مكان فيه يجتمع الناس، وينادي بصوت مرتفع بذلك الخبر (الأكوع، ١٩٩١، ص ١١٥). ويذكر لنا المؤرخ محمد علي الأكوع شهادته حول إعلان الظاهرة في مدينة ذمار، في أول عهد الامام يحيى حميد الدين بعد دخوله صنعاء عام (١٣٣٦هـ / ١٩١٨م)، فقال: "فيذهب [أي الدوشان] ... إلى سوق المجن، والميدان (ميدان الحكومة)، وسوق الربوع بمدينة ذمار، ويصعد مرتفعاً ويصيح بأعلى صوته، بحيث يسمعه الأدنى والأقصى، فيهرع الناس محدقين عليه، شاخصة أبصارهم ماذا يخرج من فمه، فأول ما يقول: يا من سمع الظاهرة صلي على النبي، ثم يورد النبأ الذي ألزم بإشهاره. وسمعتة مرة من المرات يعلن، يقول لكم الحاكم أو الوالي فلان بن فلان: أن الزلطة والنصف الزلطة (عملة نحاسية عثمانية)، أو البالولة والنصف البالولة (عملة فضية عثمانية) قد أبدلها الإمام بكذا بقشة أو نصف بقشة. فيسحب ولادة الأمور العملة العثمانية من الأسواق، بدون أن يعوضوهم شيئاً فيخسرون خسارة فادحة. وربما ينشرون هذا الإعلان والبلاغ بورك تعلق على جدران الأسواق والمحلات البارزة" (الأكوع، ١٩٩١، ص ١١٥).

٣. التشهير بالخارجين على القانون: ظهر هذا العرف في مناطق حكم الأئمة الزيدية وخاصة في مدينة صنعاء وذمار وغيرها من المدن (الأكوع، ١٩٩١، ص ١٦٨)، وخاصة خلال عهد الامام يحيى حميد الدين وابنه احمد. وكان يسمى هذا النوع من التشهير بـ "الدرداح أو الدردحة": وهو ضرب من التعزير لمرتكبي الجرائم (الارياي، ١٩٩٦، ص ٢٨٤)، غير أن الدرداح السياسي كان يتم للمعارضين للحكم السياسي، وهو ما قاساه رجالات وقادة حركة (١٩٤٨م / ١٣٦٧هـ)، بعد فشل حركة الأحرار وقتل الامام يحيى (منظمة العواصم، ٢٠٠٥، ص ٧٨). ويذكر زندال عن والده: أن من ضمن الذي شهروا (دردحوا) بهم في السوق وميدان الحكومة بمدينة ذمار أديب اليمن الكبير عبد الله البرودوني (زندال، مقابلة شخصية، ٢٠٢٤). وصفة الدرداح أن يوضع الطبل (الرفع) على ظهر المذنب يقرعون عليه،

ويطاف به في الأسواق والشوارع وحوله الأطفال وعامة الناس يصرخون ساين شاتمين له (الارياني، ١٩٩٦، ص ٢٨٤). والهدف من هذا الأسلوب أن ينزجر ويرتدع عن ارتكاب ذلك الفعل عامة الناس.

٤. الدور الاجتماعي للسوق: لم تقتصر وظيفة السوق القديم في مدينة ذمار على الوظيفة التجارية فحسب، بل اضطلع بدور اجتماعي محوري في حياة المجتمع الحضري. وقد شكل السوق ملتقى يومي يجمع مختلف فئات السكان، وأسهم في تعزيز الروابط الاجتماعية والتفاعل المجتمعي. كما لعبت السماسر (الخانات) بشكل خاص دوراً اجتماعياً بارزاً، من خلال استضافة التجار، والمسافرين، والغرباء، ووفرت بعضها خدمات انسانية؛ إذ يشير المؤرخ محمد الأكوع إلى تخصيص (وقف) سمسة في سوق المحنطة (الحبوب) للمقاطيع؛ ويقصد بهم الذين ليس لهم مأوى وأسر يقومون برعايتهم (الأكوع، ١٩٩١، ص ١٠٢). وبرزت الأبعاد الاجتماعية للسوق بشكل أوضح خلال المناسبات الدينية والاجتماعية، إذ كانت الأسواق تعج بالناس، وتتحول إلى فضاء نابض بالحياة والحركة، حيث يرتادها المستوقون من داخل المدينة والمناطق الريفية المحيطة بها، مما عزز من دور السوق كمركز اجتماعي اقليمي متجدد ومفتوح.

المبحث الثالث: التخطيط العمراني والتنظيم الإداري لسوق ذمار

خضعت الأسواق اليمنية في العصر الإسلامي - في تخطيطها وعمارتها وإدارتها - لغيرها من الأسواق العربية لضوابط أو أحكام فقهية تنظمها في إطار المدينة الإسلامية. ومن هذه الضوابط تقدير الأسواق بكفايتها، ويدل على ذلك أمور كثيرة منها: ألا تزيد عن حاجة السكان فتنهار الأسعار، وتبور البضائع، وألا تقل عن الحاجة فترتفع أسعارها. وفي ذلك إشارة لتحديد الحجم المناسب للأسواق بصورة تناسب وحجم السكان (عزب، ١٩٩٧، ص ص ٧٨ - ٧٩).

أولاً: التصنيف العمراني لأسواق مدينة دمار

انتظمت الأسواق اليمنية منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين إلى ثلاثة أنواع: النوع الأول السوق الثابت في المدينة: وكان يفتح يومياً ويعج بالحركة الدائمة من سكان المدينة وعابريها والقادمين إليها. أما النوع الثاني فيتمثل في السوق الأسبوعي: ويفتح في يوم محدد من أيام الأسبوع، ويختلف ذلك اليوم من مدينة لأخرى، حيث يأتي إليه الكثيرون من المناطق المحيطة مثل سوق الثلاثاء وسوق الخميس في دمار. والنوع الثالث السوق الموسمي: وهو سوق يرتبط بمواسم معينة مثل مواسم الحج أو الأعياد أو مواسم حصاد المحاصيل الزراعية (أبو جبل، ١٩٩٩، ص ١٠٠). وأسواق مدينة دمار القديمة تتوافق نسبياً مع ذلك التصنيف، حيث استمرت حتى الوقت الراهن ثلاثة أنواع من الأسواق، وهي:

١. سوق الحوطة: يقع في الجهة الغربية من الجامع الكبير بحي الحوطة (صورة قديمة: ٣)، ويعد أقدم سوق في مدينة دمار. وكان هذا السوق هو السوق الرئيس الأول للمدينة في المراحل المبكرة من تاريخها، قبل أن يتحول مركز الثقل التجاري إلى السوق المسقوف في فترة لاحقة. وكانت توجد بجانب سوق الحوطة عدد من الساسر والمحلات التجارية، إلا أنها اندثرت (الكوماني، ٢٠١٠، ص ٢٢). وما زالت الساحة التي تتقدم الجامع الكبير تسمى بسوق الحوطة، وهي حالياً تمثل سوق مفتوح وبجانبها الشمالي عدد من المحلات التجارية.

٢. سوق الربوع (الأربعاء): يقع بجانب المدرسة الشمسية من الجهة الشمالية، عند ملتقى حي الجراجيش بحي المحل ومنطقة السوق القديم المسقوف (صورة قديمة: ١، صورة حديثة: ٤). وكان هذا السوق يقام أسبوعياً (يوم الأربعاء)، ومن هنا جاءت تسميته بسوق الربوع، وكان يمثل الملتقى الأسبوعي للباة والمشتريين سواء من أهل مدينة دمار نفسها أو القادمين إليه من المناطق المحيطة بالمدينة. وكانت تباع في السوق الحيوانات (الأبقار، الحمير، الأغنام)، والحطب (الأخشاب)، (الأكوع، ١٩٩١، ص ١٢٩) (صورة قديمة: ١)، وقد

أصبح سوق الربوع في الوقت الحالي إلى سوق يومي، يفترش الباعة سلعهم وخاصة الخضروات والفواكه (صورة: ٤).

٣. السوق القديم (المسقوف): يقع في مكان متوسط من الأحياء الرئيسية الثلاثة (الحوطة، والمحل، والجراجيش) على وجه التقريب (صورة جوية: ٢). ويعد نموذج معماري مهم في المدينة، وأكبر أسواق المدينة القديمة مساحة، ويضم أسواق فرعية متعددة (صورة قديمة: ٥، صورة حديثة: ٦)، وسيتم القيام بدراسة معمارية تفصيلية للسوق ضمن العنوان التالي.

ثانياً: عمارة السوق القديم المسقوف بمدينة ذمار

١. الوصف الأثري للنسيج العمراني للسوق والمحلات التجارية (الخوانيت):

يتموضع السوق القديم بمدينة ذمار على مساحة منبسطة، ويشكل كتلة معمارية مستقلة، ذات شكل شبه مستطيل (خارطة: ٢، صورة حديثة: ٦). ويتألف من عدد من الأسواق التجارية الفرعية المتخصصة، حيث كانت تباع كل سلعة معينة في سوق واحد، ويجمع أصحاب كل حرفة معينة في سوق واحد أيضاً. وما زال يطلق على هذه الأسواق بالسكك، مثل سكة البجد، وسكة المعطارة. وهذه الأسواق الفرعية تتميز بتلاصق حوانيتها من جهتها الخلفية، بينما تفتح ابوابها في واجهاتها التي تطل على أزقة أو شوارع ضيقة، التي يتفاوت عرضها ما بين (٢م) إلى (٣م)، وهذه الأزقة تمتد بشكل طولي أو متعرج، وتعد تلك النوع الأول من تخطيط الأسواق. أما النوع الثاني فيتوسط السوق الفرعي ساحة وسطية أو شارع متسع ويحيط به من جهتين أو ثلاث جهات الخوانيت، وتفتح في أطرافه ممرات، مثل سوق المخيطة (الخان) الذي يبلغ طول ساحته الوسطية (٧٠، ٢٦م)، عرضها (٦٠، ٥٠م) (مخطط: ١)، وسوق البجد، وسوق الحب (الحبوب)، وسوق البز (القماش). وحوانيت السوق القديم في مدينة ذمار لا تختلف في مواصفاتها المعمارية عن حوانيت أسواق المدن الإسلامية؛ فمنها ما صغرت مساحتها ومنها ما كبرت مساحتها، وارتبط ذلك بظروف نشأة هذه الخوانيت وأغراض التجارة فيها. وتتألف أغلبها من طابق واحد، وتتميز بالبساطة المعمارية، وصغر مساحتها، ويتقدمها مسطبة مبلطة بالحجر، ترتفع عن أرضية الشارع

بحوالي (٨٠ سم). ويتراجع مدخل الحانوت نحو الداخل بمقدار (١ م) تقريباً، وتمثل فتحة بابها نحو (٩٠٪) من واجهة الحانوت، ركب فيها باب ذو مصراعين من الخشب (صورة حديثة: ٧، مخطط: ٢). ويلاحظ على حوانيت الإنتاج الحرفي اتساع مساحتها، وخاصة حوانيت الحدادة. أما أسلوب بناء الحوانيت والمواد المستخدمة في بنائها، فقد أنشئت بالأحجار السوداء الكلسية (البازلت) المهندمة في واجهات الجدران، بينما استخدم: الطوب اللبن، أو الآجر، أو الأحجار غير المهندمة، في الوجه الداخلي للجدران الداخلية، كما استخدمت مادة الآجر في الأجزاء العلوية لبعض الجدران، واستخدم الطين المخلوط بالقش كمادة رابطة، ولكساء الجدران الداخلية للحوانيت. أما سقوف الحوانيت فقد أنشئت بالطريقة التقليدية، وفيها تثبت الأخشاب المحلية بشكل طولي على جانبي الجدار، ثم توضع فوقها عصي الأخشاب الصغيرة بشكل عرضي، تليها من الأعلى طبقة من الطين المخلوط بالقش (بقايا نبات القمح)، تعلوها طبقة من التراب. ويتم كساء الوجه الداخلي للسقف بطبقة الطين والجص السابق ذكرها. والجدير ذكره أن أرضية الشوارع الداخلية للسوق مرصوفة بالحجارة الكلسية السوداء. وكان مشروع الرصف بدأ عام (١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م)، على نفقة بلدية دمار ومساهمة أصحاب الدكاكين في السوق (ينظر الملحق وثيقة رقم: ١). وهذه السمات المعمارية العامة المذكور للسوق القديم بدمار وجدت في أغلب الأسواق التقليدية اليمنية، وأبرز نموذج للسوق الاسلامي في اليمن سوق مدينة صنعاء القديمة، وسوق مدينة أب، وسوق مدينة زبيد (عنان، ١٩٨٣، ص ٣١-٤٩؛ الحكيمي، ٢٠١٧، ص ٢٠٩؛ الهياجي، (أ) ٢٠٢٠، ص ١٣١-١٣٢؛ الهياجي، (ب) ٢٠٢٠، ص ١١٤-١١٥). ومما يلاحظ على الجزء الشمالي الشرقي في السوق القديم بمدينة دمار اختلاف واضح في نمط تخطيطه المعماري، إذ يتألف من مجموعتين من الدكاكين المتلاصقة: تتخذ كل مجموعة منها شكلاً طويلاً، وتقابل إحدهما الأخرى، ويفصل بينهما شارع واسع. ويظهر هذا التكوين اختلافاً عن النسيج المعماري العام لبقية السوق، ويعزى ذلك إلى أن هاتين المجموعتين أعيد تشييدهما في فترة أحدث من بقية أجزاء السوق. ووفقاً لإفادة هيئة

الأوقاف بدمار، التي تعود إليها ملكية هذا الجزء من السوق، أن البناء القائم فيه أنشئ على موقع كان يضم سماسر ودكاكين قديمة، تعرف حتى الوقت الراهن في وثائق الأوقاف بسكة الفتياني. وإضافة إلى ذلك تتوزع داخل السوق وفي أطرافه عدداً من السماسر (الخانات)، وسيتم الحديث عنها لاحقاً.

٢. الخصائص العمرانية العامة للسوق القديم

اتباع السوق القديم بدمار نظام تخطيط عضوي يتوافق مع طبوغرافية الموقع، والاحتياجات المعيشية للمجتمع. وقد تميز هذا التخطيط بعدة خصائص، منها:

١. الشوارع المتعرجة والضيقة: التي تتسع لشخصين أو ثلاثة فقط، للمشبي جنباً إلى جنب، وهو ما أشار إليه والتر هاريس في وصفه للسوق.

٢. التدرج الهرمي للشوارع: تتدرج من شوارع رئيسية أوسع نسبياً إلى شوارع فرعية وأزقة ضيقة، وهذا التدرج يساعد في تنظيم حركة المرور وتوزيع المتسوقين.

٣. التسقيف الجزئي: غالباً ما كانت شوارع الأسواق المسقوفة مستقيمة، ذلك أن السقف يؤمن الظل ويخفف من وصول الغبار، ويحمي المتسوقين والبضائع من الشمس والمطر. وارتبطت ظاهرة تسقيف الشوارع التي تضم الأسواق على جانبيها بحماية نوعية معينة من السلع: كالحرير وغيره من الأقمشة، وانتشرت هذه الظاهرة في كثير من المدن الإسلامية وعُرفت بالسقائف (وزير، ٢٠٠٤، ص ١٠٠).

٤. التوازن بين الكتلة والفراغ: وفيه تحقق توازن عمراي بين كتل المباني والفراغات المفتوحة، مما يوفر تهوية جيدة ويمنع الازدحام. وتتميز عدداً من الأسواق الفرعية بوجود ساحة وسطية متسعة، تحيط بها الدكاكين. ومنها أسواق: البجد (السلاح حالياً)، والبز (الأقمشة)، والمجن، والحب.

٣. الأسواق الفرعية المتخصصة: يتكون السوق القديم في مدينة ذمار من عدد من الأسواق الفرعية المتخصصة، التي تنقسم إلى حرفية وتجارية (خارطة: ٢)، ويتموضع كل منها في موقع محدد داخل السوق العام، وغالباً ما تعرف بتسميات محلية، ومنها: سكة البجد، وسكة

المعطارة، وسكة الزبيب. وقد أظهرت الدراسة الميدانية أن بعض هذه الأسواق، وخاصة التي تختص ببيع سلعة معينة فقط لم تكن مواقعها ثابتة، مثل سكك: القشر، والزبيب، والسمن. وكانت تنتقل أحياناً بسبب شهرة البائعين، مما يجذب المتسوقين إليهم، فيتبعهم باعة آخرون، ويتحول بذلك موقع السوق تدريجياً. كما ساهم في ذلك سعي المتسوقين للوصول إلى أقرب نقطة بيع في تغيير مواضع بعض هذه الأسواق بمرور الوقت. وما زالت تتبدل مواقع بعض الأسواق الفرعية حتى الوقت الراهن من مكان إلى آخر في نطاق السوق القديم. ويعكس هذا التغير مرونة التنظيم التجاري في السوق، وقدرته على التكيف مع احتياجات السكان وأنماط التسوق المتجددة. وفيما يلي ذكر أغلب الأسواق الفرعية المتخصصة في السوق القديم بمدينة دمار:

١. سوق البجد (السلاح حالياً): يقع في الجزء الشرقي من السوق (صورة قديمة: ٨)، وكان هذا السوق خاص ببيع المفروشات. وقد تحول السوق إلى مكان لصناعة وبيع الجنبية اليمنية (الخنجر التقليدي)، وبيع وشراء الأسلحة النارية الخفيفة والألعاب النارية أيضاً.

٢. سوق المحدادة (الحدادة): يقع في الجانب الجنوبي الشرقي من السوق (صورة: ٩)، وما زالت تنتج في دكاكينه (ورش) الأدوات التقليدية، ومنها: الأدوات الزراعية، وأدوات البناء، والأدوات المنزلية.

٣. سوق السلب (الحبال): السِّلْب شجر معروف باليمن، وهو قِشْرُ من قُشُورِ الشَّجَر، تُعْمَلُ منه السَّلَالُ والحبال، وهو من أجود ما يتخذ منه الحبال، والواحدة منه تسمى سلبة، يقال لِسُوقِهِ سُوقُ السَّلَابَيْنِ (ابن منظور، د.ت، ص ٢٠٥٨). ويقع هذا السوق شمال سوق المحدادة.

٤. سوق المنقالة (الاسكافين): يقع في الجهة الشرقية من السوق، وما زال بعض الحرفيين يمارسون مهنتهم فيه، ومنهم من يقوم بإصلاح الأحذية، وآخرون يقومون بإنتاج أدوات بلاستيكية تقليدية لحفظ المياه، موادها الخام الإطارات التالفة الخاصة بالسيارات.

٥. سوق النحاس: يقع في الجزء الأوسط (تقريباً) من السوق، وكان الحرفيون يقومون بصياغة الفضة، وصناعة الحلي وأدوات الزينة النسائية بمختلف أنواعها، بالإضافة إلى صناعة الأدوات النحاسية المنزلية. وحالياً لم يعد سوى اثنين من الحرفيين يزاولون هذه المهنة، وتحولت بقية الدكاكين لبيع وإصلاح الجنابي ومستلزماتها.

٦. سوق المجن: يقع في الجزء الجنوبي الغربي من السوق، حيث يفتح المدخل الشرقي للمدرسة الشمسية (٩٤٩هـ/ ١٥٤٢م) إليه مباشرة. وهذا السوق عبارة عن سكة حوانيتها شمالاً ويميناً وبينهما "المجن"، وهي ساقية مسقوفة يمر عبرها ماء مطاير (أماكن الوضوء) المدرسة الشمسية إلى أرض زراعية صغيرة (مقشامة) (الأكوع، ١٩٩١، ص ٢٠). وتقع المقشامة على بعد مئتي متر تقريباً بجانب مسجد وضريح الامام المطهر بن محمد بن سليمان (ت: ٨٧٩هـ). وكان هذا السوق خاص ببيع الخضروات والبقوليات، والسمن، والعسل، والقشر (الأكوع، ١٩٩١، ص ٢١). وقد تحول هذا السوق إلى بيع سلع أخرى، فبعض دكاكينه تختص ببيع الزبيب واللوز والحلويات وخاصة قبل حلول الأعياد.

٧. سوق اللقمة: يقع في الجزء الشمالي الشرقي من السوق، وكان جزء من سكة الفتياني المذكورة سابقاً، ويختص ببيع الخبز البلدي، وبيع الأكالات الشعبية (مطاعم)، غير أن أغلب دكاكينه تحولت إلى ورش إصلاح وبيع الأدوات المنزلية، ومازال عدد قليل من المحلات تختص ببيع المأكولات والمشروبات والحلوى الشعبية. ويلاحظ على القطاع الشمالي الشرقي في السوق المسقوف بشكل عام، وسوق اللقمة بوجه خاص، تغير في الشكل المعماري والتخطيطي، الذي يظهر تجديد معماري مقارنة مع بقية أجزاء السوق العام.

٨. سوق الحب (الحنطة): كان يسمى بسوق المحنطة، ويقع في الجهة الغربية من السوق، وما زال يمارس نشاطه، حيث تباع فيه أغلب أنواع الحبوب المحلية (صورة: ١٠). وقد تحولت بعض دكاكينه إلى ورش للحدادة، وبيع الأدوات المنزلية والزراعية المصنوعة محلياً.

٩. سوق البز (القماش): يقع في الجهة الجنوبية من السوق، ويحتفظ بتخطيطه المعماري القديم، وهو كغيره من الأسواق التي تغيرت السلع المعروضة للبيع، حيث صار يباع فيه الأقمشة وبعض ملابس الأطفال والنساء.

١٠. سوق المخيطة (الخيطة): كان يطلق عليه سوق المخيطة، ويسمى أيضاً سوق الخان (مخطط: ١، صورة: ١١)، وهو عبارة عن شارع يطل عليه عدد من الدكاكين من الجهتين، ويقع في مكان متوسط من السوق العام، وبالتحديد بجوار سوق المعطارة. كان يختص بخيطة الثياب الشعبية وخاصة الرجالية، وقد وصف المؤرخ الأكوع عدد الخياطين الذين كانوا يشتغلون في كل دكان نحو خمسة أو أكثر (الأكوع، ١٩٩١، ص ٢١)، وما زال بعض الخياطين يمارسون حرفتهم فيه.

١١. سوق المعطارة (العطارة): يقع في مكان متوسط من السوق تقريباً، كانت محلاته تختص ببيع جميع أنواع العطارة، والبهارات، والقهوة، والتمور، والتبناك، وحوائج القهوة، والبخور والعود، (الأكوع، ١٩٩١، ص ٢١)، وغيرها من السلع (صورة: ١٢). وما زالت بعض المحلات تقوم بذلك الدور، غير أن أغلبها تحولت لبيع الأحذية الحديثة.

١٢. سوق الزبيب: يقع ما بين سوق العطارة وسوق المجن، ويتألف من مجموعة قليلة من الدكاكين، ما زالت بعضها تختص ببيع الزبيب (العنب اليمني المجفف)، واللوز والحلوى.

١٣. سوق القشر: يقصد بالقشر الغلاف الخارجي المجفف لحبوب البن بعد فصلها، ويعتبر من المشروبات التقليدية في اليمن، وكان يباع القشر في سكة خاصة بها ضمن سكك سوق المعطارة، ثم انتقل إلى جوار سوق النحاس.

١٤. سوق اللساسين: يطلق مصطلح اللساسين على الأشخاص الذين يُحْضِرُونَ نبات العتر (البازلاء الأخضر) بطريقة تقليدية في مقالات، حتى ينضج ويصبح جاهزاً للأكل، وحينها يسمى محلياً قلي. والموقع الحالي لسوق اللساسين في موقع سوق القشر الأول، بجانب سوق المعطارة.

١٥. سوق العلف (علف الماشية): كانت تباع أعلاف الماشية عند مدخل السوق القديم من الجهة الجنوبية الشرقية، في مكان متسع عند ملتقى ثلاثة طرق تؤدي إلى السوق. وفي الوقت الراهن لم يعد هذا السوق موجوداً.

١٦. سوق الحجامين والحلاقين: يقع في الجهة الشمالية الغربية من السوق، وكانت تتم الحجاماة والحلاقة فيه، وما زال بعض الحلاقين يمارسون أعمالهم في دكاكينهم.

١٧. سوق الجزيرة (القصابة): يقع في الطرف الشمالي الشرقي من السوق، بجوار سكة الفتياني، وكان جميع بائعو اللحوم في هذا السوق، وفي الوقت الراهن تستخدم دكاكين هذا السوق مخازن للمحلات التجارية. ويتفق موقع السوق مع معيار اجتناب الضرر الناتج من الروائح الكريهة.

وتتخلل الأسواق الفرعية المذكورة عدد من السماسر، ويمكن وصفها فيما يلي:

٤. السماسر: منشآت مدنية تجارية ذات طابع خدمي (خارطة: ٢، صورة: ١٣، ١٤)، ومفردها سمسرة، وهي المكان الذي تخزن فيه السلع التجارية بدرجة رئيسية كمستودع، بالإضافة إلى دورها في استقبال القوافل والتجار والمسافرين، أي سكن للنزلاء ولإيواء الحيوانات أيضاً (مركز الدراسات، ٢٠٠٨، ص ٢٦٩)، وبعضها كانت تستخدم للتخزين في الطابق السفلي، وسكن المالكها في الطابق العلوي. ويرى ريموند أن السمسرة مرادفة للخان والقيصرية، بينما سرجنت يؤكد أن السمسرة كلمة يمنية بحثة، حلت محل الخان، ويحتمل أنها ترجع إلى نهاية القرن (٩هـ/ ١٧م) (سرجنت، ٢٠٠٢، ص ٦١). وتصنف السماسر في سوق مدينة ذمار القديمة إلى ثلاث مجموعات، وهي: سماسر التخزين والإيواء، وسماسر تخزين البضائع، وسماسر إنتاج زيت السمسم أو الخردل (السليط). ويتألف تخطيط سماسر الإيواء والتخزين معاً من قاعة واسعة لها مدخل واحد، ومقسمة من الداخل إلى بوائك من العقود ترتكز على دعائم، وبعض السماسر قسمت بواسطة جدران إلى عدد من القاعات. وعند وجود طابق علوي خاص بالمالك فله مدخل مستقل بذاته، أما إذا كان الطابق العلوي للإيواء فيمكن الصعود إليه من الطابق السفلي. وتخطيط الطابق العلوي يتكون من صالة

وسطية يحيط بها عدد من الغرف، بالإضافة إلى الحمام والمطبخ (مخطط: ٤، ٣). ويمكن حصر السماسر في سوق ذمار القديم التي حملت في الغالب أسماء أصحابها أو الوظيفة التي تمارسها، فضلاً عن حالتها الانشائية كما هو في الجدول الآتي:

اسم السمسرة	الوظيفة			الحالة الانشائية	الوظيفة الراهنة	مادة البناء
	تخزين	نزل	الزيت			
قرايش	إنتاج زيت السمسم			جيدة	مغلقة	الحجر
سلامة	تخزين ونزل			متهدمة	محل تجاري	حجر + آجر
راوية	تخزين + سكن المالك			جيدة	محل تجاري	حجر + آجر
الثعلي (شونة الاوقاف)	انتاج الزيت (حالياً تخزين)			جيدة	تخزين حبوب	الحجر
الجمرك	تحديد الأسعار ودفع ضريبة			مندثرة	لا يوجد	————
عباد	تخزين وسكن المالك			مندثرة	محل تجاري وسكن	الحجر
الدناني	تخزين			غير جيدة	محل تجاري	الحجر
الخطري	تخزين + سكن المالك			جيده	مندثرة	الحجر
المعطب	تخزين			مندثرة	تجاري + سكني	الحجر
الحاذق	تخزين + سكن المالك			جيدة	تجاري + سكني	الحجر
قرايش (منطقة الميدان)	إنتاج زيت السمسم			جيدة	محل تجاري	الحجر
العلوي (صبل لاهب)	تخزين ايواء ماشية			غير جيدة	مغلقة	حجر + لبن
ساوي	تخزين			جيدة	تجاري + سكني	الحجر
الكولي	تخزين			جيدة	تجاري	الحجر
الديلمى	إيواء			متهدمة	لا يوجد	الحجر
الهندي	إيواء			متهدمة	تجاري	الحجر
الشاعرة	تخزين			جيدة	تجاري	الحجر
طالعة	تخزين			جيدة	تجاري	الحجر
ماطر	تخزين حبوب الأوقاف			غير جيدة	تجاري	الحجر
الفتيني	تخزين			غير جيدة	تجاري	الحجر
الفقيه	تخزين			متهدمة	لا يوجد	الحجر

٥. معايير التوزيع المكاني للأسواق الفرعية :

اتبع توزيع الأسواق الفرعية في سوق ذمار القديم مجموعة من المعايير التي تعكس الفكر التخطيطي الإسلامي، الذي حدده علماء السياسة الشرعية في مجال عمران المدن الإسلامية (خارطة:٢). وقد فصلت كتب الحسبة ما يجب أن تكون عليه الأسواق. وتُعرف الحسبة بأنها أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن منكر إذا أظهر فعله. والحسبة على أسواق المدن هي أحد أبواب الفقه الإسلامي في العمارة المدنية (عزب، ١٩٩٧، ص ص ٩٣، ٩٧). ومن الضوابط أو الشروط الواجبة في عمران الأسواق ما يلي:

١. موقع السوق: يأتي على رأس الضوابط والحلول التخطيطية في المدينة الإسلامية عزل مناطق الازعاج والضوضاء عن المناطق السكنية (وزير، ٢٠٠٤، ص ٣١). وفي الوقت نفسه يمنع ضرر كشف الحوانيت التجارية للتكوينات السكنية (عثمان، ١٩٨٨، ص ٦٩). ويعتبر اختيار موقع السوق بالقرب من المسجد الجامع إحدى الخصائص العامة للمدن الإسلامية (المعتصم، ١٩٨٠، ص ٢١٧). ويقع السوق القديم بمدينة ذمار بجانب المدرسة الشمسية، وهو منعزل تماماً عن الأحياء السكنية. وكان يمثل مركز ومحور الحركة التجارية للمدينة القديمة، فضلاً عن اتجاه حركة الاتصال نحوه، سواء الشوارع الرئيسية التي كانت تؤدي إلى المدينة، أو الشوارع الفرعية للحارات المجاورة له. وهذه الخصائص يشترك فيها أيضاً سوق صنعاء القديمة، وسوق مدينة إب القديمة، وسوق مدينة زبيد، وغيرها من المدن الإسلامية اليمنية.

٢. اجتناب الضرر: كان له أثره القوي في وضع الأسواق التي تحدث ضرر الدخان والأصوات المزعجة أو الروائح الكريهة في أطراف السوق، كالقصابين (الجزارين) (عثمان، ١٩٨٨، ص ٢٣٤). وهؤلاء لا بد لهم من الذبح، الذي يوجد في الغالب خارج السوق أو المدينة، لسهولة نقل اللحم إلى هذه الحوانيت (سويلم، ٢٠٠٨، ص ٢٦)، دون الحاجة إلى عبور شوارع السوق باتجاه المركز. وكذلك الأمر بالنسبة للخبازين والحدادين، تقع أسواقهم في أطراف السوق، وهذا ما وجد في سوق مدينة ذمار القديمة. ومثله في السوق القديم

بمدينة إب يقع سوق الجزيرة وسوق الحدادة في الطرف الجنوبي للمدينة (الحكيمي، ٢٠١٧، ص ٢١٨).

٣. التخصص: خُصص لكل حرفة أو نوع من التجارة سوق فرعي خاص، مما يسهل على المشتري الوصول إلى حاجته بسهولة ويسر، ويدفع إلى التنافس في المعروض من السلع (سويلم، ٢٠٠٨، ص ٢٧). وقد طُبّق هذا المبدأ في أسواق المدن اليمنية في العصر الاسلامي، ومنها السوق القديم بدمار.

٤. التجاور: ظهر مفهوم التجاور بناء على التخصص الذي قامت به الأسواق الاسلامية، حيث اعتمد على مبدأ الفصل بين الأنشطة المتعارضة، والحرص على التجاور والتجانس في السلع المتشابهة أو السلع التي يكمل بعضها بعضاً (سويلم، ٢٠٠٨، ص ٢٧). وطبق هذا المبدأ في السوق القديم بمدينة دمار، حيث تجاورت في محيط عمراني واحد أسواق: العطارة، والحبوب، والقشر (حبوب القهوة)، والزبيب (العنب المجفف). وكذلك الأمر في تجاور سوقى البجد (المفروشات)، والاسكافيين. كما وضع سوق الحدادة في الطرف الشرقي من السوق، ويجاوره سوق السلب (الخبال).

٥. القرب من مراكز الطلب: تحكم في تحديد مواقع بعض الأسواق الفرعية - في السوق القديم بمدينة دمار - عدد من الأمور أهمها: نوع السلعة وكثافة الطلب عليها، وسهولة الوصول إليها. ولذا يقع سوق الحبوب في الطرف الغربي من السوق، وبالتالي يسهل وصول المشترين والبائعين إليه، ويسهل نقل المواد ثقيلة الوزن وكبيرة الحجم إلى دكاكينه، دون عرقلة حركة المتسوقين في شوارع السوق. وكذلك الأمر طبق في مواقع أسواق: الجزيرة (القصابين)، والحدادة، والعلف، تقع جميعها في أطراف السوق.

ثالثاً: النظام الإداري والأمني للسوق:

سبق الحديث عن الحسبة ودورها في تنظيم وتخطيط الأسواق الاسلامية، أما من حيث إدارة الأسواق فقد ظهرت شخصية المحتسب: وهو شخص يكلفه الحاكم، ويعتبر رمزاً للسلطة البلدية، يستند في عمله على القاعدة الدينية "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر". ومن

مهامه: مراقبة الأسعار، وتفتيش الموازين والمكاييل، ومراقبة المخازن والمصانع والحمامات العامة، وهذا النظام كان معروفاً في أسواق القاهرة، وفاس وبغداد، وغيرها من المدن الإسلامية (المعتصم، ١٩٨٠، ص ٢٤٢). أما في اليمن وخاصة في صنعاء ودمار فكان يسمى من يقوم بهذه الوظيفة بشيخ السوق، ويوصف بالرئيس، ويذكر أن مهامه في الأسواق تكون وراثية، مما أعتاد الناس عليه، ولم يكن قانون مسنون (منظمة العواصم، ٢٠٠٥، ص ٧٥).

١. ضبط الأسواق: كان شيخ السوق هو المسؤول الأول عن إدارة الأسواق، ويقع تحت إمرته العقال أو شيوخ الأسواق الفرعية (منظمة العواصم، ٢٠٠٥، ص ٧٥). والعقال يمثل شخصية محورية في النظام الإداري للسوق القديم بمدينة ذمار، وكان بمثابة حلقة الوصل بين التجار والسلطات الرسمية. وكان يتم اختياره من بين كبار التجار المعروفين بالحكمة والمكانة الاجتماعية، والأمانة والخبرة في مجال تخصص السوق. وكانت مهامه تشمل: حل النزاعات والخلافات بين التجار أو أصحاب المهن بالطرق الودية، والإشراف على تنظيم السوق، بالإضافة إلى المشاركة في تحديد الأسعار ومراقبة الجودة، وتمثيل أصحاب المحلات أمام السلطة المحلية في القضايا المتعلقة بالسوق المكلف به. وما زال نظام الشيخ والعقال سائداً في أسواق مدينتي صنعاء القديمة ودمار القديمة.

٢. نظام الأمن والحراسة الليلية: يتولى شيخ الليل حراسة السوق ويعاونه عدد من الحراس، ولديه صلاحية كاملة خلال الليل فقط (مجهول والسياعي، ٢٠٠٨، ص ١٨٣). وهناك العديد من الشروط التي ينبغي أن يتمتع بها شيخ الليل، ومنها: السمعة الطيبة والأمانة، وقدرته على تعويض السلع حال حدوث أي سرقة (دوستال، ١٩٩٠، ص ١٦٣). ومهام شيخ الليل تشمل: تنظيم دوريات الحراسة الليلية في السوق، والتدخل لحل أي مشكلات أمنية طارئة، والإشراف على عملية إغلاق السوق مساءً وفتحه صباحاً. وما زال هذا النظام الأمني قائماً إلى الآن في السوق القديم بمدينة ذمار.

٣. المصلح (الوسيط): يُعرف المصلح: بأنه الوسيط بين البائع والمشتري، ومهمته تقدير الثمن دون أن يظلم أحد منهما. وبعد الاتفاق على السعر يحصل المصلح عادةً على الصلحة:

وهي مبلغ مالي مقابل خدمته. وكان يشترط فيمن يتولى وظيفة المصلح: الأمانة، وحسن السيرة، والخبرة الواسعة في المجال التجاري، والكفاءة والقدرة على حل النزاعات، بالإضافة إلى ضرورة الإلمام بأحكام الشريعة الإسلامية والقوانين التجارية السائدة (ينظر وثيقة: ٢، ٣). وكان السوق القديم بمدينة دمار يتميز بنظام إداري فريد للاختيار والتعيين في الوظائف، يجمع بين الانتخاب والتركية. وكان اختيار العاقل، وشيخ الليل، والمصلح، يتم من خلال عملية تشاورية يشارك فيها كبار التجار وشيوخ الحرف. وعلى سبيل المثال يتم اختيار كبار المصلحين بطريقة التركية، وذلك بالتوقيع على عريضة تتضمن أسماء التجار المقيمين في السوق، أو التجار الوافدين لبيع سلعهم للتجار الكبار في السوق (جلايين). وتظهر لنا عدد من الوثائق طريقة انتخاب مصلحين لسلعة التبنك الأبيض (التن الأبيض) في سوق دمار. ويرجع تاريخ إحداها إلى عام (١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م). وتتضمن شهادات التجار، والبائعين المشترين، والتجار الجلايين، للشخصين اللذين اختاروهما لوظيفة المصلح، وطلب المصلحان من الامام يحيى حميد الدين الموافقة على ذلك (ينظر وثيقة: ٢، ٣) (أرشف متحف دمار، Dhmm 1877 ، Dhmm 1883).

وإلى جانب الوظائف الادارية المذكورة هناك عدد من الوظائف العامة أيضاً، يقوم الأشخاص المكلفون بها بتسهيل عمليات البيع والشراء داخل السوق، وإدارة بعض المرافق التجارية كالسماسر، ويمكن توضيح أبرزها كالآتي:

١. السمسار (السمسري): يطلق على الشخص المسئول عن حفظ مخزن البضائع (السمسرة). ويشترط في هذا الشخص الأمانة وحفظ أموال التجار (مجهول والسياعي، ٢٠٠٨، ص ٢١٦، ٢٠٢).

٢. الجلاب: هو الشخص الذي يشتري السلعة من مصدرها (المستورد)، ثم يجلبها إلى السوق ويبيعها للتجار، وهذه الوظيفة ارتبطت غالباً بسوق الغنم والأبقار (مجهول والسياعي، ٢٠٠٨، ص ١٩٦)، وما زال هناك أشخاص يمارسون هذه المهنة في سوق الأبقار الحديث بدمار.

٣. الدلال: هو الوسيط بين البائع والمشتري، والدلالة ما استحق الدلال من أجرة (مجهول والسياعي، ٢٠٠٨، ص ٢١٦). وكان يوجد دلال الكتف، وهو الذي يحمل بضاعته على كتفه، ويمشي في السوق أو غيره ويقوم بعرضها للبيع.

٤. المفاد: هو الذي يشتري السلعة من الجلاب (المستورد)، ثم يبيعها للمستهلك بثمن أعلى (مجهول والسياعي، ٢٠٠٨، ص ص ١٩٧، ٢١٨).

المبحث الرابع: الحالة الوظيفية والمعمارية والتحديات والمخاطر في السوق القديم بدمار
أولاً: الوضع الوظيفي والمعماري الراهن

شهدت منطقة السوق القديم بمدينة ذمار تغيرات وظيفية ومادية كبيرة خلال العقود الأخيرة، نتيجة التوسع العمراني والتحويلات الاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها المدينة. ومن أبرز هذه التغيرات:

١. تحول الوظائف: تحولت العديد من الدكاكين الصغيرة بمركز السوق إلى مخازن لحفظ بضائع وحاجيات أصحاب الدكاكين. كما تحولت وظائف السماسر (الخانات) من وظائفها الأصلية كأماكن لإقامة المسافرين والتجار أو وتخزين البضائع، إلى وظائف جديدة، كالمحلات التجارية الحديثة، والورش الحرفية. وقد فقدت الاسواق المتخصصة وظائفها الأساسية، ونوعية السلع المعروضة للبيع. وعلى سبيل المثال أصبح سوق الحب (الحنطة) تباع فيه إلى جانب الحبوب مواد منزلية تقليدية، واستخدمت بعض دكاكينه كورش للحدادة أو محلات للحلاقة أو محلات لبيع الجنينة اليمنية ومستلزماتها. كما تغيرت وظيفة سوق البجد (المفروشات) إلى سوق لبيع الاسلحة والألعاب النارية، وهذا التحول في الاستخدام حدث تدريجياً خلال العقود الماضية؛ مما شكل تداخل في التركيبة النوعية التي كان يختص بها كل سوق على حده.

٢. تغير أنماط التسوق والاستهلاك: اختفت عدداً من الحرف التقليدية كصناعة الأحذية الجلدية والأواني الفخارية، والمنسوجات، وأدوات الزينة الفضية. أما أعلاف الماشية، والخضروات، واللحوم - انتقل بيعها إلى أماكن أخرى خارج السوق القديم - وحلت محلها

منتجات حديثة، كالملابس الجاهزة، والأحذية، ونبات القات، والمواد المنزلية الحديثة المصنعة محلياً والمستوردة.

٣. التعديلات المعمارية: خضعت العديد من الدكاكين والسماسر لتعديلات معمارية داخلية تناسب ووظائفها الجديدة، مثل تقسيم المساحات الكبيرة إلى صغيرة، وإضافة مرافق تجارية أو سكنية وخدمية حديثة.

٤. الهدم والاستبدال: تعرضت مجموعات من الدكاكين المملوكة للتجار أو هيئة الأوقاف الحكومية، وبعض السماسر للهدم الكلي واستبدالها بمبانٍ حديثة، حيث استخدم طابقتها السفلي كمحلات تجارية، والطابق العلوي سكن خاص بملاكها.

ثانياً: التحديات والمخاطر التي يتعرض لها السوق التراثي:

يواجه السوق القديم المسقوف بمدينة ذمار القدمة العديد من التحديات والمخاطر، التي تؤثر سلباً على استمراريته سواء من الناحية التراثية المعمارية أو من حيث الوظيفة الاقتصادية التي يؤديها. من أبرز التحديات والمخاطر ما يلي:

التدهور المعماري: تعاني العديد من الدكاكين في السوق من عوامل تلف إنشائية كالتصدعات والتشققات، وظهور النباتات على جدرانها؛ وجميع تلك العوامل بسبب عدم الصيانة الدورية لها.

ضعف البنية التحتية: تفتقر معظم أجزاء السوق إلى البنية التحتية المناسبة مثل الصرف الصحي، فضلاً عن عشوائية إمدادات خطوط الكهرباء؛ التي تعد مصدراً من مصادر الخطر الرئيسية التي تهدد السوق التراثي. كما يعاني السوق من تراكم النفايات وانتشار الروائح الكريهة؛ وذلك بسبب عدم تنظيف الشوارع الداخلية غير المستخدمة في السوق.

١. سوق الأسلحة النارية: إن وجود سوق فرعي لبيع الأسلحة النارية ومستلزماتها والألعاب النارية أيضاً أحد مصادر الخطر الرئيسة؛ مما قد يسبب حدوث انفجارات أو حرائق، نظراً لعدم القيام بتدابير وإجراءات السلامة. وقد حدثت عدد من الحرائق وبعض حوادث إطلاق النار خلال السنوات الماضية؛ مما نتج عنها خسائر في الأرواح والممتلكات.

ويجب على السلطة المحلية بدمار إغلاق هذا السوق، أو على الأقل كإجراء وقائي نقل بيع الأسلحة النارية إلى مكان آخر خارج السوق القديم الذي يعد مركز المدينة القديمة.

٢. منافسة الأسواق الحديثة: أدى توسع مدينة ذمار وامتداد عمرانها إلى ظهور أسواق ومحلات تجارية وورش صناعية في أماكن متعددة سواء داخل الأحياء الحديثة أو في أطراف المدينة وعلى امتداد الطرق الاسفلتية العامة. وأدى ذلك إلى تراجع وركود في النشاط التجاري داخل السوق القديم، وبالتالي أغلقت العديد من الدكاكين.

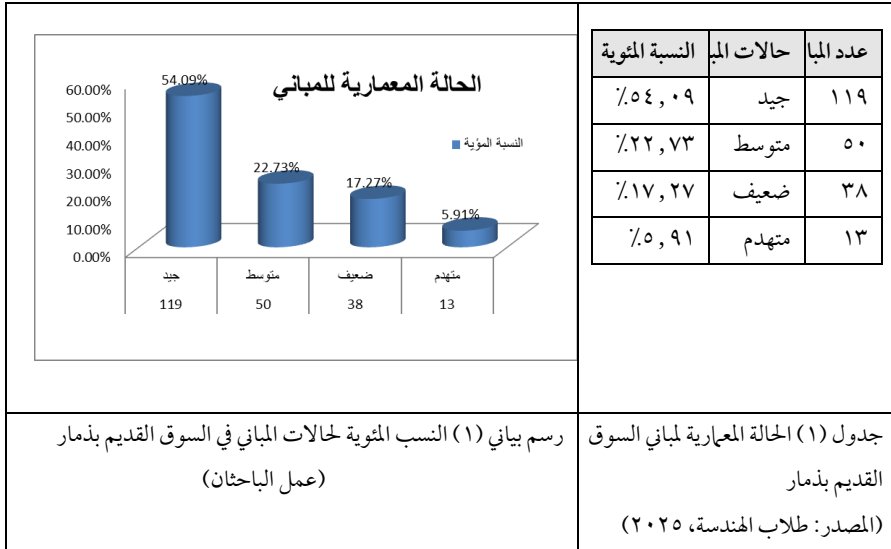
٣. غياب مشاريع الحفاظ على التراث العمراني للسوق: لم تقدم الهيئات الحكومية المركزية المعنية بالتراث الثقافي أية مشاريع تساهم في الحفاظ على التراث العمراني للسوق القديم، أو إعادة إحيائه تراثياً واستدامته كمورد من موارد السياحة والاقتصاد المحلي. كما أن السلطة المحلية بمدينة ذمار لم تتبنى أي مشروع يساعد على الأقل في بقاء السوق بوضعه الحالي، ومنع الاستحداثات المعمارية المستمرة فيه؛ عدا قيامها باستكمال رصف بعض شوارع السوق بالحجارة ضمن مشروع أعمال رصف شوارع مدينة ذمار القديمة.

ثالثاً: التحليل المعماري والوظيفي للسوق التراثي والمنطقة التجارية القديمة المحيطة به:

من خلال الدراسة الميدانية للسوق التراثي والمنطقة التجارية المحيطة به في مدينة ذمار القديمة، التي يبلغ إجمالي مساحة الموقع نحو (٢, ٩٠٣٤٨ م^٢)، وبالاعتماد على دراسة هندسية حديثة أيضاً للموقع نفسه قام بها طلاب كلية الهندسة بجامعة ذمار في اليمن، يمكننا فهم الحالة المعمارية والوظيفية بشكل دقيق. ويتضمن هذا التحليل إحصاءات ومعلومات هامة تمثل قاعدة بيانات (طلاب كلية الهندسة، ٢٠٢٥، مستند أوتوكاد)؛ إذ يمكن الاعتماد عليها في إعداد مشاريع تتعلق بالتنمية المستدامة للموقع التراثي.

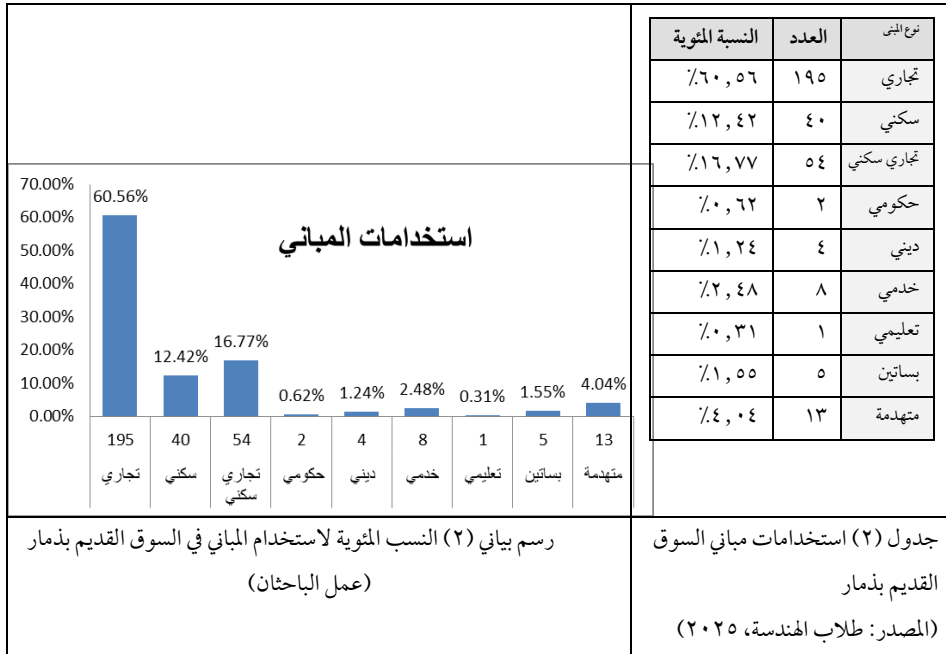
١. الحالة المعمارية للمباني: تكشف حالة المباني، في السوق القديم عن صورة عامة إيجابية نسبياً (خارطة: ٣)، أي في حالة معمارية جيدة. أما المباني ذات الحالة المعمارية المتوسطة والضعيفة مجتمعة تشكل ٤٠٪، وهو ما يدعو إلى القلق بشأن مستقبل التراث المعماري (في السوق). وتعد المباني المتهدمة قليلة جداً، لكنها تمثل مؤشر واضح على التدهور في بعض

أجزاء السوق، ويستدعي تدخلاً عاجلاً للحفاظ على سلامة البيئة العمرانية (جدول: ١)،
رسم بياني: ١).



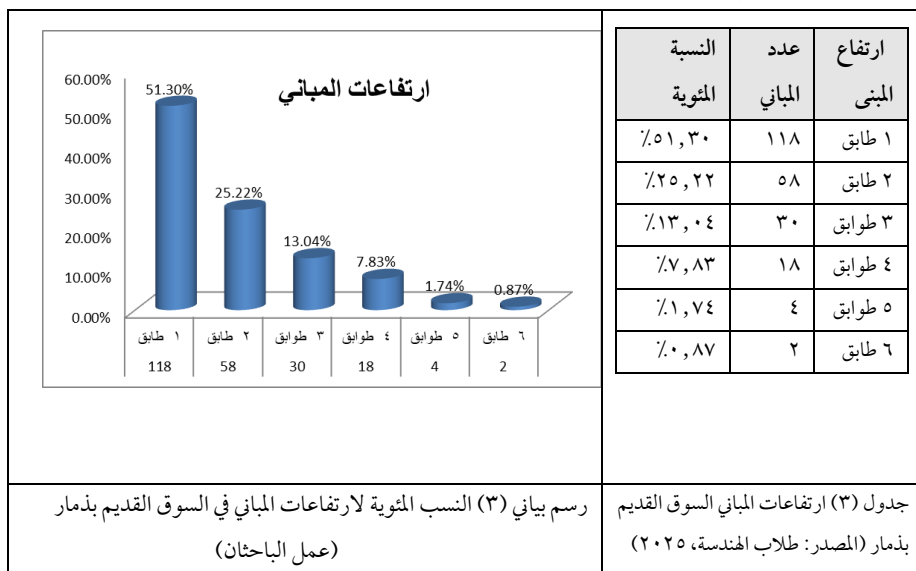
٢. استخدامات المباني: يبلغ مجموع المساحة البنائية للموقع نحو (١, ٢٤٤٢٦٤م^٢)، وتشكل المباني ذات الوظيفة التجارية الخالصة النسبة الأكبر من استخدام المباني؛ ما يعكس حيوية المكان كمركز اقتصادي نشط (خارطة: ٤). تليها المباني ذات الوظيفة المزدوجة (تجارية/ سكنية)، وهو نمط شائع في الأسواق القديمة، مثل سوق صنعاء، حيث يستخدم الطابق الأرضي للنشاط التجاري، بينما تخصص الطوابق العلوية سواء طابق أو أكثر للسكن. أما المباني السكنية البحتة فقد جاءت في المرتبة الثالثة، وغالبا ما تقع هذه المباني في أطراف السوق بعيداً عن الحركة التجارية. وبقيّة الاستخدامات للمباني العامة (الدينية، الخدمية، التعليمية، الحكومية، البساتين) تعكس تنوعاً بسيطاً في أداء السوق لوظائفه المجتمعية سواء لأصحاب السوق أنفسهم أو مرتاديه. ومما يلاحظ أن المباني الخدمية تقع في أطراف السوق القديم من جميع جهاته، مثل: حمامات المساجد، وإدارة قسم الشرطة، والحمام البخاري. كما أن وجود

مباني متهدمة بنسبة ضئيلة يشير إلى وجود بعض التدهور العمراني (جدول: ٢، رسم بياني: ٢). ويمكن توضيح استخدامات المباني في الجدول الاحصائي والرسم البياني الآتي:



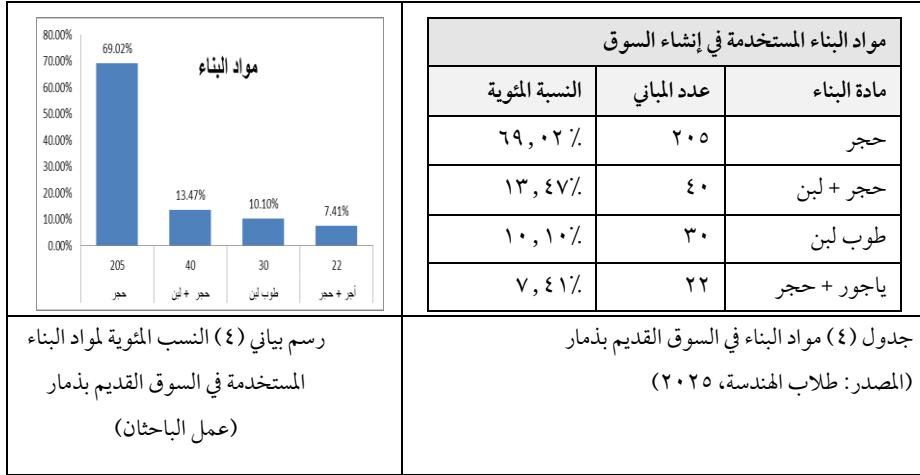
٣. ارتفاعات المباني: تنوعت ارتفاعات المباني حسب استخدامها (خارطة: ٥)، ومن الطبيعي أن غالبيتها تتألف من طابق واحد، وذلك لأن السوق ما زال يحتفظ ببنائه التقليدية المنخفضة، وغالباً ما تكون عبارة دكاكين (حوانيت) متلاصقة، ما يعكس طبيعة الأسواق العربية القديمة. وتأتي المباني التي تتألف من طابقين في المرتبة الثانية، وهي في الغالب سماسر (خانات) أو مبان ذات استخدام مزدوج، حيث استخدم الطابق الأرضي للتجارة، والطابق العلوي للسكن. وبعض هذه المباني استخدمت بكاملها للسكن وخاصة تلك التي في أطراف السوق. وتشبهها في ذلك المباني التي جاءت في المرتبة الثالثة التي تتألف من ثلاثة طوابق. أما المباني ذات الأربعة والخمسة والستة طوابق فهي قليلة جداً، وتمثلها المباني الحديثة التي انشئت بدلاً من المباني القديمة؛ ما يدل على محاولات محدودة للتجديد أو التوسعة

العمودية في السوق (جدول: ٣، رسم بياني: ٣). ويمكن توضيح ما سبق ذكره في الجدول التوضيحي والرسم البياني التالي.



٤. مواد البناء: لا تختلف مواد البناء المستخدمة في إنشاء السوق القديم عن نظيراتها في المنشآت التراثية بمدينة دمار القديمة. وتعد مادة الحجر الكلسي السوداء المعروفة محلياً بالحش هي الأكثر استخداماً في بناء السوق (خارطة: ٦)، وعدد من المنازل السكنية التي تقع في أطراف السوق؛ مما يعكس قدم السوق والمحافظة على الطابع المعماري التراثي. وهناك مباني تجارية كالسماسر (الخانات) استخدم في انشائها إما مادة الحجر أو قوالب الطين منفردة، أو تشترك مع بعضها البعض. أما قوالب الآجر مع الحجارة الكلسية السوداء فقد أنشئت بهما المباني التي تؤدي غرض تجاري وسكني في الوقت نفسه؛ حيث استخدمت الحجارة في بناء الطابق الأرضي، والآجر في الطوابق العلوية. وهناك مباني حديثة أنشئت بمادة الحجارة، وهي تلك التي أنشئت بدلاً من المباني القديمة. كما استخدم الطوب الطيني (اللبن) في بناء بعض السماسر؛ وهي مبان بسيطة في تخطيطها ووظيفتها (جدول: ٤، رسم بياني: ٤). وفي

الجدول والرسم البياني التالي ترتيب إحصائي لمواد البناء الأساسية ويقابلها عدد المباني التي أمكن حصرها.



الخاتمة:

بعد استعراض الجوانب: التاريخية، والحضارية، والأثرية العمرانية، والمبادئ الفقهية لبناء السوق القديم في مدينة ذمار، يتضح جلياً أن هذا السوق لم يكن مجرد مكاناً للتبادل التجاري، بل كان مؤسسة متكاملة لعبت أدواراً متعددة في حياة المدينة وسكانها. وفي هذه الخاتمة نسلط الضوء على أبرز النتائج التي خلص إليها البحث، وهي كالآتي:

- يتوافق اختيار موقع السوق في مدينة ذمار القديمة مع النمط العام للأسواق في المدن الإسلامية بوجه عام؛ مثل سوق المدينة المنورة، واليمنية على وجه الخصوص؛ مثل أسواق المدن الإسلامية القديمة: صنعاء، وإب، وزبيد.

- ساهم موقع مدينة ذمار الاستراتيجي على الطريق التجاري، بالإضافة إلى وفرة الإنتاج الزراعي والثروة الحيوانية، في نشوء سوق تجاري مهم ومزدهر، جعل من ذمار مركزاً اقتصادياً بارزاً في محيطها.

- يرجع تاريخ سوق ذمار إلى الفترة الإسلامية المبكرة، وتشير الدراسة إلى أن أقدم إشارة إليه وردت في كتابات المؤرخ الرازي (ت: ٤٦٠هـ).
- كان سوق ذمار من الأسواق الهامة في العصر الإسلامي المبكر، حيث بدأ في موقعه الأول المعروف بـ "سوق الحوطة"، ثم انتقل الثقل التجاري إلى "السوق القديم المسقوف" الواقع بجوار المدرسة الشمسية، وذلك نتيجة التوسع العمراني الذي شهدته المدينة خلال فترات تاريخها الإسلامي.
- تشير المصادر التاريخية إلى وجود أربعة أسواق رئيسية في مدينة ذمار ومحيطها، وهي: سوق الحوطة، والسوق القديم المسقوف، وسوق ملحظ، وسوق الربوع.
- على الرغم من ظهور أربعة أسواق بمدينة ذمار، أحدها مندر (سوق ملحظ)، إلا أن السوق الأول "سوق الحوطة" استمر كمركز تجاري نشط حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري، وما زال حتى اليوم يُعد أحد الأسواق المفتوحة في مدينة ذمار القديمة.
- من العوامل التي ساهمت في استمرارية السوق القديم المسقوف حتى يومنا هذا هو نظام الوقف الإسلامي، حيث تعود ملكية العديد من الحوانيت وبعض السماسر إلى الهيئة العامة للأوقاف.
- أدى وجود السماسر (الخانات) التي كانت توفر المبيت للغرباء والتجار القادمين إلى المدينة، إلى تعزيز الدور الاجتماعي للسوق.
- حافظ السوق القديم على تخطيطه العمراني التقليدي، الذي وصفه الرحالة والزائرون العرب والأجانب، على الرغم من بعض التعديلات المعمارية التي طرأت على مرافقه.
- لم يقتصر دور السوق على الجانب الاقتصادي والاجتماعي فقط، بل كان له أيضاً دور سياسي وإعلامي بارز، إذ كان يُستخدم كمكان لإيصال رسائل السلطة الحاكمة إلى عامة الناس، من خلال تنفيذ العقوبات مثل الإعدام والتعزير، والتشهير السياسي المعروف بـ "الدردحة"، وإعلان الأخبار الهامة التي كانت تُعرف بـ "الظاهرة".

- ما زال السوق القديم يحتفظ بطابعه الأثري والمعماري المتميز، والذي يتجلى في: تماسك نسيجه العمراني الأصيل، و تكوينه العضوي الفريد، ومواد بناء حوائيته وأسلوب تشييدها.

- تشكل عدد كبير من الحوانيت التقليدية في السوق منظومة أثرية حية، تقدم شاهداً مادياً على الأصالة والاستمرارية التاريخية.

- خضع السوق القديم (المسقوف) في تخطيطه وعمارته ونظامه الإداري لضوابط وأحكام فقهية، تُعد جزءاً من منظومة المدينة الإسلامية، التي تقوم على مبدأ "نفي الضرر"، والقاعدة الدينية "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر".

- اتبع السوق القديم في نظامه الإداري والأمني تنظيمًا دقيقاً قائماً على تراتبية في المسؤوليات، تبدأ بشيخ السوق، يليه عاقل لكل سوق تخصصي تجاري أو حرفي، بالإضافة إلى وظائف أخرى مثل شيخ الليل، وحراس الليل، والمصلح، والجلاب، والمفاود، والدلال، والسمسري.

- شهد السوق خلال العقود الأخيرة تغيرات عمرانية ووظيفية واسعة، نتيجة لتغير حاجات المجتمع وتبدل أنماط التسوق والاستهلاك، إلى جانب النمو السكاني المتزايد، الذي أدى إلى توسع عمراني كبير، وظهور مراكز تجارية جديدة خارج المدينة القديمة، مما أثر على الدور التقليدي للسوق القديم.

وفي نهاية هذا البحث لا بد من الإشارة إلى أن السوق القديم المسقوف بمدينة ذمار يمثل موروثاً ثقافياً مادياً ومعنوياً، ويواجه اليوم تحديات ومخاطر كبيرة قد تؤثر على استمراريته. ولذا، يبرز دور الجهات الحكومية ذات العلاقة، وعلى رأسها الهيئة العامة للآثار المتاحف، والهيئة العامة للحفاظ على المدن التاريخية، والسلطة المحلية بمحافظة ذمار، في ضرورة المحافظة على الوضع المعماري الراهن للسوق، وتبني مشاريع لحمايته وإعادة إحيائه، وإعادة تفعيله كعنصر تراثي، وثقافي، وسياحي، واقتصادي مهم في المدينة، بما يحقق استدامته.

المصادر والمراجع العربية:

إبراهيم، عبد الباقي. (١٩٦٨). التراث الحضاري في المدينة العربية المعاصرة. مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية. الكويت.

أرشيف متحف ذمار. وثيقة رقم: Dhм ١٨٧٧، وثيقة رقم: Dhм ١٨٨٣.

الارياي، مطهر علي. (١٩٩٦). المعجم اليمني - أ - في اللغة والتراث. دار الفكر. دمشق. ط ١.

الأكوع، محمد علي. (١٩٩١). صفحة من تاريخ اليمن وقصة حياتي. ج ٢. دار الهمداني. عدن.

البهنسي، صلاح أحمد. (٢٠٢٣). دمار اليمنية مسيرة تاريخية حضارية. مكتبة خالد بن الوليد. دار الكتب اليمنية. صنعاء. ط ١.

الثعالبي، عبد العزيز. (١٩٩٧). الرحلة اليمنية (١٢ أغسطس - ١٧ أكتوبر ١٩٢٤م). تحقيق حمادي الساحلي. دار الغرب الإسلامي. بيروت. ط ١.

الثور، أمة الملك. (٢٠٠٨). بناء الدولة القاسمية في اليمن في عهد الامام المؤيد محمد بن القاسم (٩٩٠-١٠٥٤هـ/ ١٥٨٢-١٦٤٤م) مع تحقيق مخطوطة الجوهرة المنيرة في جمل من عيون السيرة للمؤرخ المطهر بن محمد الجرهمزي. ج ١. مؤسسة الامام زيد. صنعاء. ط ١.

أبو جبل، كاميليا. (١٩٩٩). يهود اليمن: دراسة سياسية واقتصادية واجتماعية منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين. دار النمير. ط ١.

الجنداري، أحمد بن عبد الله. (د.ت). الجامع الوجيز بذكر وفيات العلماء ذوي التبريز. مستند word. الحجري، محمد أحمد. (١٩٩٦). مجموع بلدان اليمن وقبائلها. تحقيق إسماعيل بن علي الأكوع. دار الحكمة البانية. ط ٢.

الجلال، محمد، مجموعة صور قديمة ونادرة لليمن - تطبيق فيس بوك، ٢٢ - ٥ - ٢٠٢٥. عبر الرابط:

https://www.facebook.com/groups/269252359873109/search/?q=%D8%B3%D9%88%D9%82%20%D8%B0%D9%85%D8%A7%D8%B1&locale=ar_AR

الحكيمي، رمزي. (٢٠١٧). "عمران مدينة لب وأثارها المعمارية الباقية في العصر الإسلامي دراسة آثارية معمارية". أطروحة دكتوراه (غير منشورة). قسم الآثار. كلية الآداب. جامعة أسيوط.

ابن حيدرة، الحسن بن الحسين. (٢٠٠٢). مطلع الأقطار ومجمع الأنهار في ذكر المشاهير من علماء مدينة ذمار ومن قرأ فيها وحقق من أهل الأمصار. تحقيق عبد الله بن عبد الله بن أحمد. مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء. ط ١.

دوستال، والتر. (١٩٩٠). سوق صنعاء. ترجمة وتعليق وفيق غنيم. كلية الآداب. جامعة الملك سعود. ط ١.

الذماري، مبروك محمد. (٢٠٢٥). "توسع عمران مدينة ذمار القديمة خلال العصر الإسلامي دراسة تحليلية للمظاهر الحضارية". مجلة ليوا، الارشيف المكتبة الوطنية. أبو ظبي. (٣٣). ص ص ١١ - ٤٧.

ابن الربيع، شهاب الدين أحمد بن محمد. (٢٠١٠). سلوك المالك في تدبير الممالك. تحقيق عبد العزيز بن فهد، دار العاذرية، الرياض. ط ١.

الرازي، أبو العباس أحمد. (١٩٨٩). تاريخ مدينة صنعاء وذيله الاختصاص للعرشاني. تحقيق حسين المري. دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر المعاصر بدمشق. ط ٢.

ابن الرشيد، عامر بن محمد. (د. ت). بغية المريد وأنس الفريد إلى معرفة انتساب ذرية السيد علي بن محمد بن علي بن الرشيد، تحقيق: عباس أحمد الخطيب المتوكل. النسخة الإلكترونية (Word).

الزبيدي، محمد مرتضى. (١٩٨٩). تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق مصطفى حجازي. ج ٢٥، وزارة الاعلام. الكويت.

زكريا، أحمد وصفي. (١٩٨٦). رحلتي إلى اليمن. دار الفكر. دمشق. ط ١.

زندال، بشير. (٢٠٢٤). مقابلة شخصية بتاريخ: ٧/١٣، مع عضو فريق حصر وثائق الأوقاف بمحافظة ذمار - اليمن.

سرجنت، ر. ب. (٢٠٠٢). التجار والتجارة في اليمن من القرن ١٣ م إلى القرن ١٦ م. دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي. ترجمة نهى صادق. المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية. ص ص ٨١ - ٥٨.

السمهري، زيد. ومحمد عياش. (٢٠٢٠). بحث الكتروني (word) عن مدينة ذمار. (غير منشور).

سويلم، سهر عصام. (٢٠٠٨). استراتيجيات استدامة الشوارع التجارية التقليدية حالة دراسية خان التجار في مدينة نابلس. رسالة ماجستير (غير منشورة). كلية الدراسات العليا. جامعة النجاح بنابلس.

الشرفي، أحمد بن محمد. (٢٠٠٢). اللآلئ المضيئة في أخبار الأئمة الزيدية، تحقيق ودراسة: سلوى علي المؤيد. رسالة ماجستير. (غير منشورة). كلية الآداب. جامعة صنعاء.

الشهاري، محمد علي. (٢٠٠٩). اليمن في ظل حكم الامام المهدي المعروف ب (صاحب المواهب) (١٠٩٧- ١١٣٠هـ/ ١٦٨٦- ١٧١٨م). مكتبة الجيل الجديد. ط ١. صنعاء.

الشوكاني، محمد بن علي. (د. ت.). البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار الكتاب الإسلامي. القاهرة.

عثمان، محمد عبد الستار. (١٩٨٨). المدينة الإسلامية. عالم المعرفة. العدد ١٢٨. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت.

عزب، خالد. (١٩٩٧). فقه العمارة الإسلامية، دار النشر للجامعات. القاهرة. ط ١.

العظم، نزيه مؤيد. (١٩٨٦). رحلة في العربية السعيدة، من مصر إلى صنعاء. دار التنوير. بيروت.

العليان، خالد عبد العزيز. (٢٠١٢). الأسواق التجارية في الحجاز واليمن منذ ظهور الإسلام حتى نهاية العصر العباسي الأول (١- ٢٣٢هـ / ٢٢٢- ٨٤٦م). رسالة ماجستير. (غير منشورة). كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية. جامعة القصيم.

عمار، نهاد عبد السلام. (٢٠٠٣). منهج الطبيب العثماني إسماعيل بن إبراهيم في كتابه الأحوال العامة لولاية اليمن. دراسة وتحقيق. رسالة ماجستير (غير منشورة). معهد الدراسات والبحوث الأسيوية. جامعة الزقازيق.

عنان، عبيد محمد. (١٩٨٣). "دراسة ميدانية لسوق صنعاء". العدد ١١. مجلة دراسات يمنية. مركز الدراسات والبحوث اليمني. صنعاء.

فايان، كلودي. (د. ت.). كنت طيبة في اليمن. ترجمة محسن العيني. الجيل الجديد ناشرون.

الكتامي، عبد الرحيم. (٢٠٢٢). "السوق الإسلامية بالمدينة المنورة في عهد رسول الله ﷺ". مجلة

الذخيرة للبحوث والدراسات الإسلامية، جامعة غرداية، الجزائر. المجلد ٦، العدد ٢، ص

- الكوماني، صلاح أحمد. (٢٠١٠) "مساجد مدينة ذمار حتى نهاية القرن ١٢هـ / ١٨م دراسة أثرية معمارية". رسالة ماجستير (غير منشورة). قسم الآثار. كلية الآداب. جامعة صنعاء.
- مانزوني، رنزو. (٢٠١٢). اليمن رحلة إلى صنعاء عام ١٨٧٧ - ١٨٧٨. ترجمة شيرين إيش. هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة. دار الكتب الوطنية. ط ١.
- مجهول والسياعي، حسين. (٢٠٠٨). صفحات مجهولة من تاريخ اليمن وقانون صنعاء. مركز الدراسات والبحوث اليمني. صنعاء. ط ٣.
- مركز الدراسات والتدريب المعماري. (٢٠٠٨). الدراسة الميدانية لمشروع إعادة تأهيل واستخدام السماسر ضمن سور صنعاء القديمة. الهيئة العامة للمحافظة على المدن التاريخية. وزارة الثقافة اليمنية.
- المصري، أحمد صالح. (٢٠٠٩). "مدينة ملحظ (ذمار الصغرى) مركز حكم ولاية اليمن في عهد الوالي العثماني بهرام باشا (٩٨٨ - ٩٨٣هـ / ١٥٧٠ - ١٥٧٥م)". مجلة الاكليل. وزارة الثقافة اليمنية. (٣٣ - ٣٤): ص ٩٣ - ١٠٩.
- المعتصم، محمد. (١٩٨٠). "المدينة الإسلامية وخصائصها". حولية كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية. قطر. العدد ٢. ص ٢١٧ - ٢٥٤.
- ابن منظور، جمال الدين محمد. (د.ت). لسان العرب. تحقيق عبد الله الكبير وآخرون. طبعة دار المعارف. القاهرة. ج ٢٤.
- منظمة العواصم والمدن الإسلامية. (٢٠٠٥). أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري في العصور الإسلامية المختلفة "دراسة تحليلية على العاصمة صنعاء". جدة.
- الموزعي، عبد الصمد بن إسماعيل. (٢٠١٢). الاحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان. تحقيق عبد الله الحبشي. الجيل الجديد ناشرون. صنعاء. ط ١.
- الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب. (١٩٩٠) صفة جزيرة العرب.. تحقيق محمد بن علي الأكوخ. مكتبة الارشاد. صنعاء. ط ١.
- الهياجي، ياسر هاشم عماد. (أ. ٢٠٢٠). "دور الصناعات الحرفية في استدامة التنمية في البيئات التراثية: مدينة زبيد التاريخية دراسة حالة". مجلة الآداب للدراسات الإنسانية، العدد ١٤، ص ١٠١ - ١٢٩.

الهياجي، ياسر هاشم عماد. (ب. ٢٠٢٠). "تأثير الهيمنة الحضرية على المدن التاريخية في اليمن: مدينة زبيد التاريخية حالة تطبيقية". مجلة اتحاد الجامعات العربية للسياحة والضيافة، المجلد ١٨، العدد ١، ص ١٢٢-١٤٣.

وزير، يحيى. (٢٠٠٤). العمارة الإسلامية والبيئة. عالم المعرفة (٣٠٤). المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت.

المراجع الأجنبية:

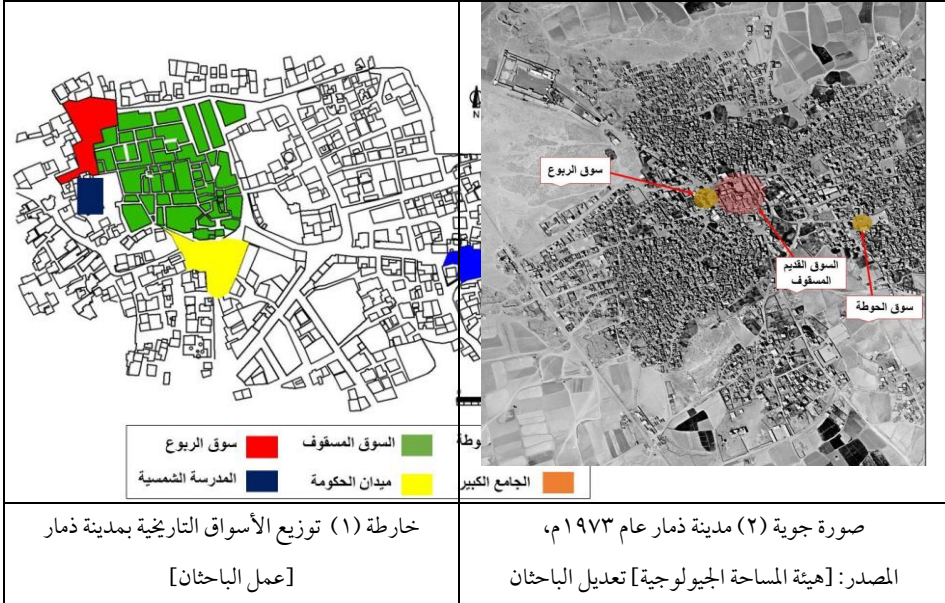
- Berger, Lois. international inc. and kampsax international A\ S (1978), Dhamar Technical Appendices and costs, volume E-1, Ministry of Public Works and Municipalities.
- Harris, Walter. B: (1893). "Journey Through The Yemen And Some General - Remarks Upon That Country (1893) " - W. Blackwood And Sons . Edinburgh And London.
- Posuvaliuk, Svetlana. (1966). "Photographic collection of Dhamar city". Personally provided to the author in 2024.
- Robert Deutsch .(1912) *Poto Damar*, Yemen, circa. website Royal Geographical Society via Getty images. 27 - 9 - 2024, by link: <https://www.gettyimages.ae/detail/news-photo/dhamar-yemen-circa-1912-news-photo/1034330454>

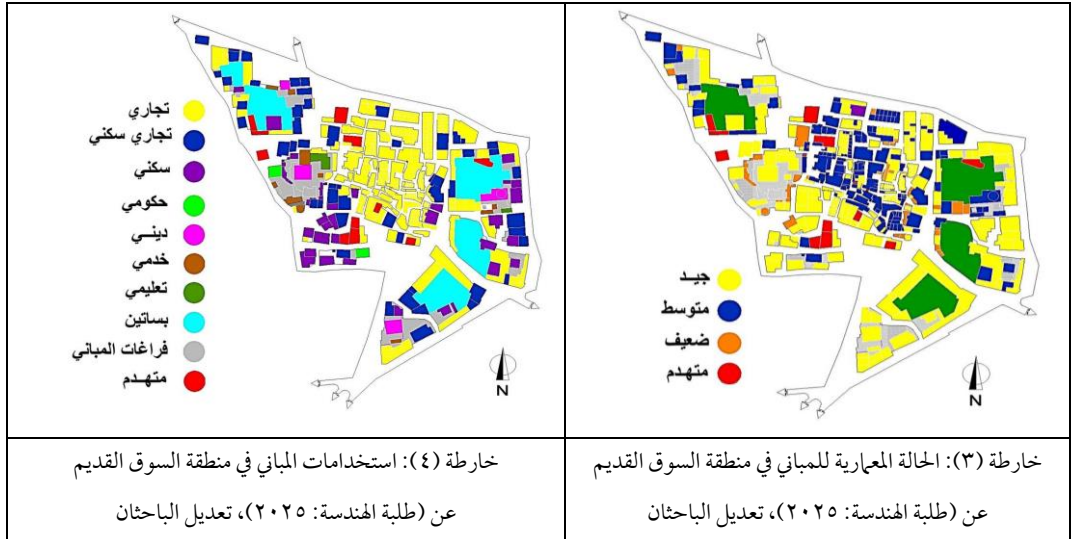
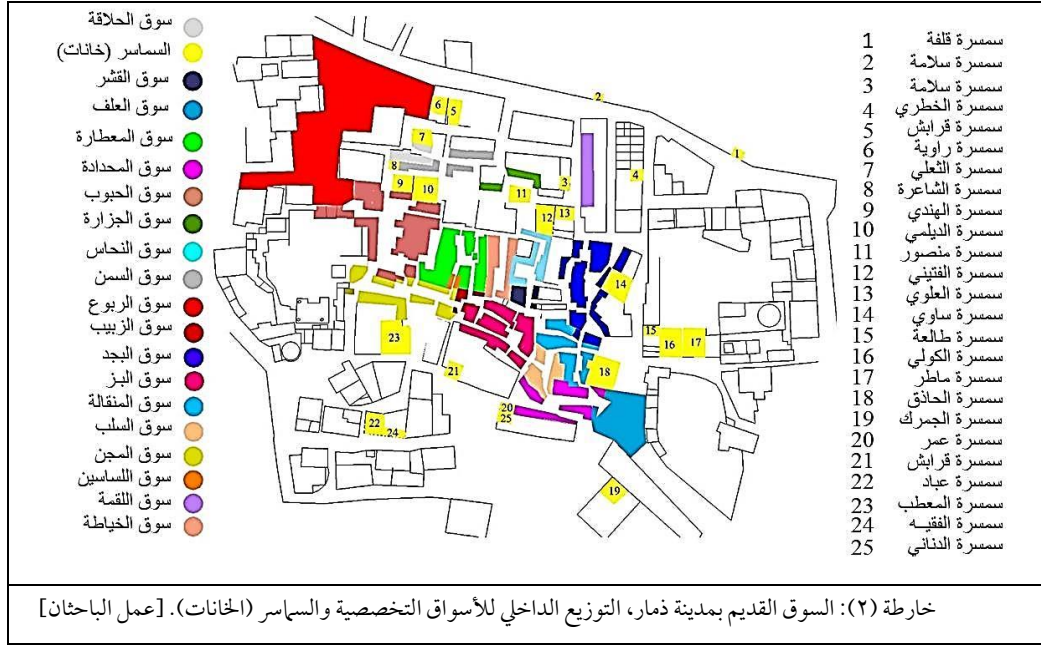
الملحق:

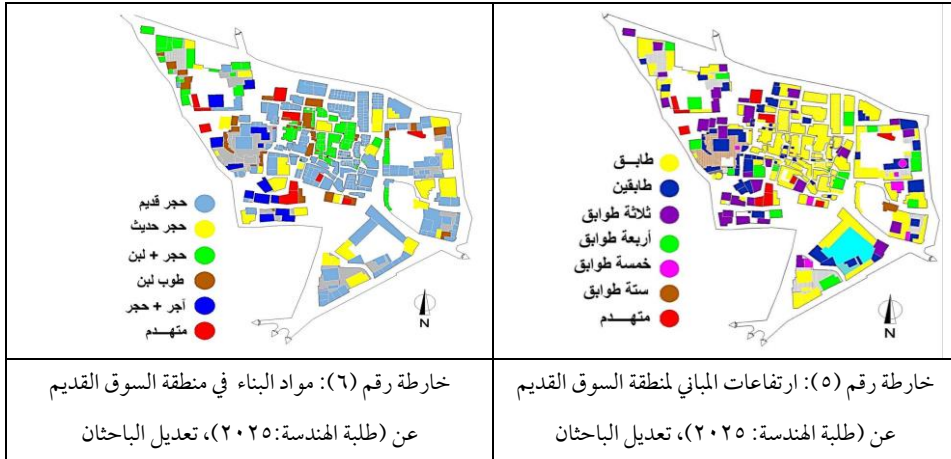
أولاً: الصور الجوية والخرائط



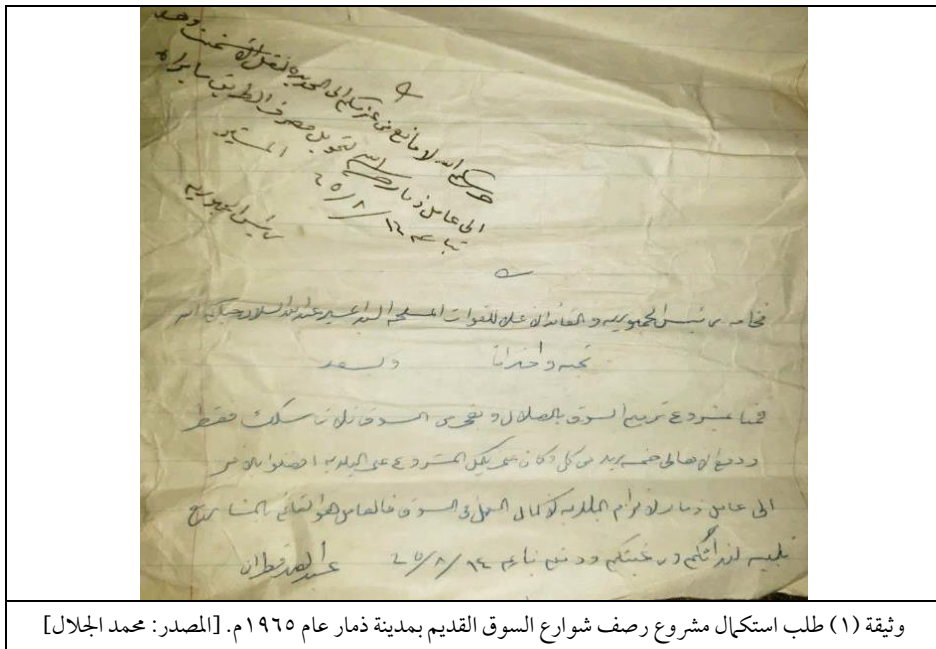
صورة جوية (١) موقع مدينة ذمار القديمة، باستخدام برنامج Google earth (عن الذماري، ٢٠٢٥)







ثانياً: الوثائق

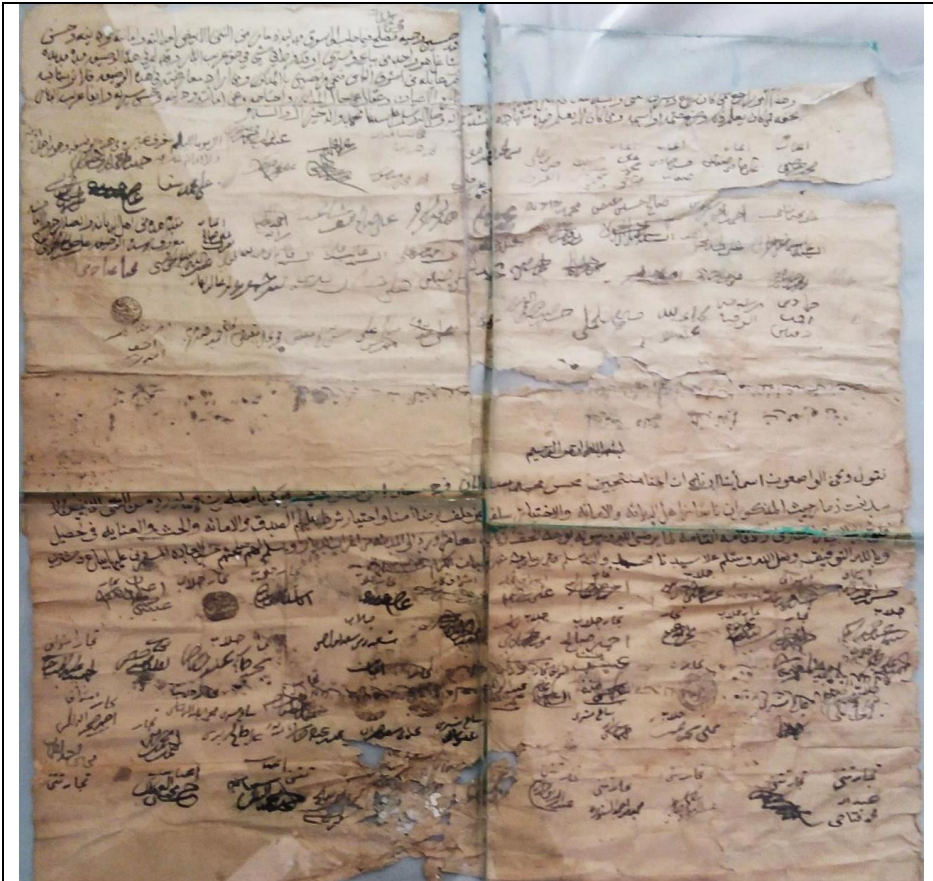




وثيقة (٢) أجزاء من وثيقتين متلاصقتين موضوعهما ترقية التجار بسوق ذمار لمصلحين سلعة التن، وطلب

المصلحين الموافقة من الامام يحي

المصدر: متحف ذمار الإقليمي، (وثيقة رقم ١٨٧٧)

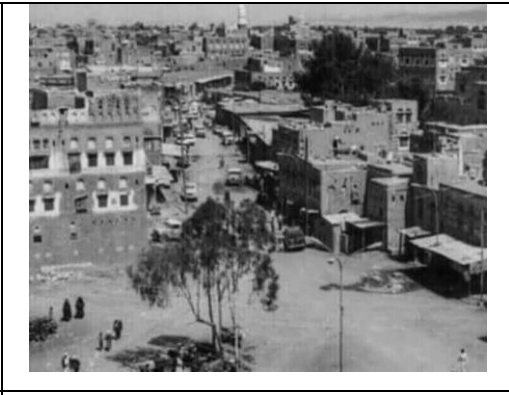


وثيقة (٣) وثيقة موضوعها تزكية التجار في سوق ذمار لمصلحين سلعة التبن الأبيض (التبناك).

المصدر متحف ذمار الإقليمي (وثيقة رقم: ١٨٨٣)

ثالثاً: الصور الفوتوغرافية

	
صورة قديمة (٢) جانب من السوق القديم (المسقوف) عام ١٨٩٢م. [المصدر: (Harris, Walter. B: (1893).	صورة قديمة (١): سوق الربوع عام 1966م. [المصدر: (Svetlana. (1966).

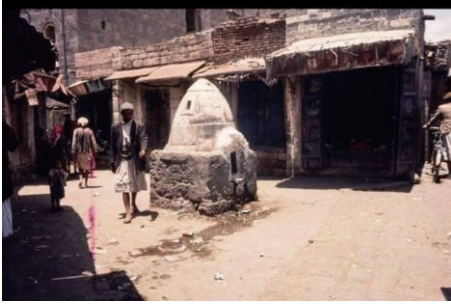
	
صورة (٤): سوق الربوع ٢٠٢٤م. [تصوير الباحثان]	صورة قديمة (٣) ساحة سوق الخوطة - سبعينيات القرن العشرين. [المصدر: محمد الجلال مجموعة صور اليمن القديمة على تطبيق فيس بوك]



صورة (٦): منظر من الأعلى للسوق القديم المسقوف ٢٠٢٤
[تصوير الباحثان]



صورة (٥) جانب من السوق القديم المسقوف والمدرسة الشمس
[المصدر: (١٩١٢). Robert Deutsch.]



صورة (٨): جانب من سوق البجد (المفروشات).
[المصدر: محمد الجلال]



صورة (٧): نموذج حانوت تجارية في السوق القديم
[تصوير الباحثان]



صورة (١٠): جانب من سوق الحبوب (المحناطة) [تصوير
الباحثان]



صورة (٩): سوق الحدادة [تصوير الباحثان]



صورة (١٢): سوق المعطارة [تصوير الباحثان]



صورة (١١): سوق المخياطة (الخان) [تصوير الباحثان]

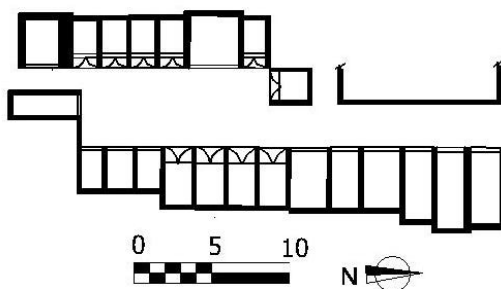


صورة (١٤): سمرة الديلمي المتهمة وسمرة الهندي
بجوار سوق الحبوب [تصوير الباحثان]

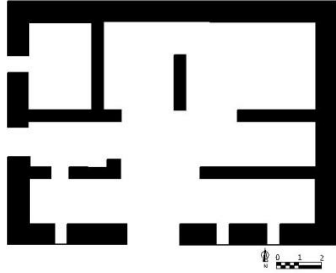
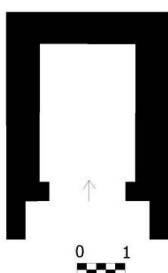


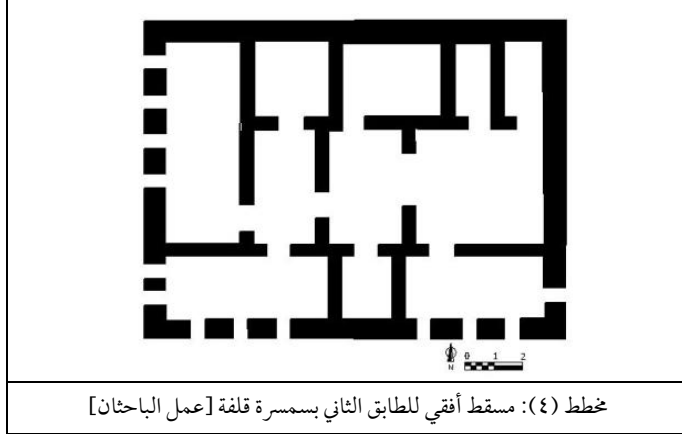
صورة (١٣): واجهة سمرة قلعة [تصوير الباحثان]

رابعاً: المخططات



مخطط (١): مسقط أفقي لسوق المخياطة (الخان) في السوق القديم [عمل الباحثان]

	
خطط (٣): مسقط أفقي للطابق الأول بسمرة قلعة، [عمل الباحثان]	خطط (٢): مسقط أفقي لإحدى الدكاكين في السوق القديم [عمل الباحثان]



خطط (٤): مسقط أفقي للطابق الثاني بسمرة قلعة [عمل الباحثان]

نقوش قتبانية إهدائية جديدة

أ.د. جمال محمد ناصر الحسني

جامعة عدن، اليمن

jamal.alhasny@aden-univ.net

(قُدِّم للنشر في ٢٦/٠١/١٤٤٧هـ، وقُبِّل للنشر في ٢/٠٧/١٤٤٧هـ)

الملخص:

يدرس البحث ثلاثة نقوش قتبانية إهدائية جديدة، محفوظة في متحف جامعة عدن، عُثِر عليها في أهم مدينتين قتبانية بوادي حريب (اليمن)، تعود إلى فترات مختلفة من تاريخ مملكة قتبان. النقش الأول من هجر العادي (مريمتم) مريمة قديماً، وهو عبارة عن مذبح، كُتِب عليه إهداء للإله (أنبي) والإلهة (ذات صنتم) في معبدهما روين (روين)، وهي المرة الأولى التي يسجل تقديم الإهداء للإلهين معاً، وفي معبد واحد. ومن الموقع نفسه جاء النقش الثاني، وهو من النقوش النذرية المقدم للإلهة عزيز. وأما النقش الثالث من مدينة هجر حنو الزرير (هربت) هربة قديماً، فيذكر تقديم القرابين للإلهة عزيز، مما يدل أن الإلهة عزيز كانت من الآلهة المعروفة في مدن وادي حريب. وقد تضمنت هذه النقوش بعض المعلومات التي تفيد في دراسة الديانة والآلهة في مملكة قتبان، وممالك اليمن القديمة، فضلاً عن ذكر بعض أسماء الأعلام لأول مرة في النقوش اليمنية القديمة. الكلمات المفتاحية: النقش، قتبان، آلهة، إهداء، معبد.

New Qatabanian Dedication Inscriptions

Prof. Jamal Alhasny

University of Aden, Yemen

jamal.alhasny@aden-univ.net

(Received: 26/ 01/ 1447 H; Accepted for publication: 02/ 07/ 1447 H)

Abstract:

This research studies three new Qatabanian dedication inscriptions, preserved in the University of Aden Museum, discovered in the two most important Qatabanian cities in wādī Ḥarīb, Shabwa Governorate. These inscriptions date back to different periods in the history of the Kingdom of Qatabān. The first inscription is from **Hajr al-‘Ādī (Mrymtm)** and is written on an altar, with a dedication to the god **‘nby (Anbī)** and the goddess **ḏt šntm (dhāt Ṣanatum)** in their temple **(Rwyn)**. This marks the first time that a dedication is recorded for these two deities together in the same temple. The second inscription, a votive inscription to the goddess **(‘zyn)(‘Uzzayān)**, comes from the same site.

The third inscription, from the ancient city of **Hajr Ḥinū az-Zurayr (Hrbt)**, mentioning the offering of sacrifices to the goddess **(‘zyn) (‘Uzzayān)**. Which indicates that the goddess **(‘zyn) (‘Uzzayān)**, was one of the goddesses known in the cities of wādī Ḥarīb.

These inscriptions provide valuable information for the study of religion and deities in the Kingdom of Qatabān and other ancient Yemeni kingdoms.

Keywords: Inscription, Qatabān, Deities, Dedication, Temple

المقدمة:

تُعد النقوش الإهدائية التي يوثق أصحابها تقديمهم القرابين لألهتهم، من أكثر النقوش التي عُثِرَ عليها في ممالك اليمن القديم، مما يدل على أهمية الدين والآلهة في حضارة تلك الممالك، وتبين حرصهم على تقربهم للآلهة، وكذا دورها في حياتهم. ومع أنَّ كثيرًا من هذه النقوش عُثِرَ عليها بطرائق عشوائية، ولم تأتِ على وفق تنقيبات وحفريات أثرية علمية منظمة، فإنَّها تمثل أهمية في دراسة حضارة اليمن القديمة.

تكمن أهمية البحث في أنه يقدم ثلاثة نقوش نذرية، كُتبت على الحجر بخط المسند، غير منشورة من سابق، تعود إلى مملكة قتبان، إحدى الممالك الرئيسة في جنوب شبه الجزيرة العربية، تقدم هذه النقوش معلومات عن الديانة والآلهة في مملكة قتبان، فضلاً عن أنها جاءت من أهم مدينتين قتبانية، مدينة هجر العادي (مريتم)، ومدينة هجر حنو الزرير (هربت)، تقعان في وادي حريب، وتمثلان مراكز تجارية مهمة لمملكة قتبان؛ كونها على طريق قوافل تجارة المواد العطرية، المتجه إلى مملكة سبأ.

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل ثلاثة نقوش قتبانية محفوظة في متحف جامعة عدن، عُثِرَ عليها في وادي حريب الواقع بين محافظتي شبوة ومارب، وتعود إلى مراحل زمنية مختلفة من تاريخ مملكة قتبان. تؤثّق هذه النقوش تقرب أصحابها من الآلهة القتبانية، وتُعدّ شاهداً مهماً على الممارسات الدينية في تلك الحقبة.

ينتمي النقشان الأول والثاني إلى مدينة هجر العادي (المعروفة قديماً باسم مريتم/ مريمة)، بينما يعود النقش الثالث إلى مدينة هجر حنو الزرير (هربت/ هربة قديماً)، وهما من أبرز المراكز الحضارية التابعة لمملكة قتبان في وادي حريب.

تهدف الدراسة إلى تحليل الألفاظ والأسماء الواردة في هذه النقوش، وتسعى إلى توثيق النقوش اليمنية القديمة التي تُعدّ المصدر الأساسي لفهم تاريخ وحضارة ممالك اليمن القديم، والتي لا تزال كثير من جوانبها مجهولة حتى اليوم. كما تسهم الدراسة في إلقاء الضوء على بعض الجوانب المرتبطة بالحياة الدينية في جنوب شبه الجزيرة العربية، لا سيما ما يتعلق

بأسماء الآلهة التي عُبدت، والمعابد التي خُصّصت لعبادتها وتقديم الإهداءات فيها، إضافة إلى تحديد أماكن إقامتها.

اتبعت الدراسة المنهج التاريخي، والتحليلي للمعلومات التي احتوتها النقوش، كذلك اقتضت الدراسة استخدام المنهج الوصفي إلى جانب المنهج المقارن لبعض الألفاظ والأسماء والآلهة والمعابد.

لعل من أبرز الدراسات السابقة، للموقعين التي جاءت منها هذه النقوش هي:

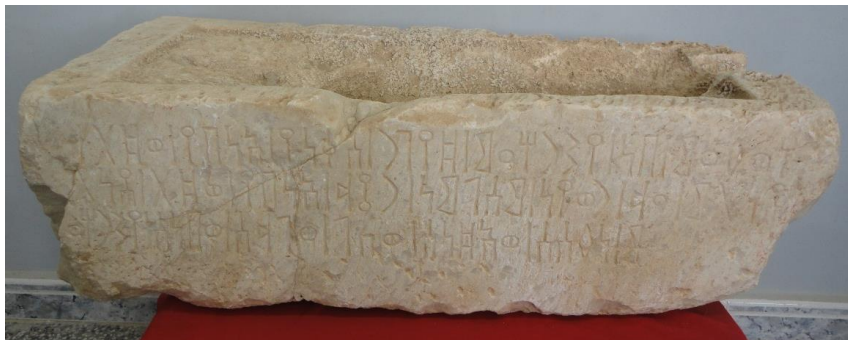
Avanzini, A, et al., *Materiali per il Corpus Qatabanico*, Raydān 6, Arbach, M, et al., *Matériaux pour le Corpus des Sana'a*, 1994, p. 17 - 36. *Inscriptions Qatabanites (II)*, Raydān 7, Sana' a, 2001, p. 43 - 101. Avanzini, A, *Corpus of south Arabian inscriptions I-III*. 2004. وعربش، منير، وآخرون،

٢٠١٣، نقوش قتبانية جديدة (٣)، ريدان ٨، ص. 49-103، كما أجرت الهيئة العامة للآثار والمتاحف تنقيبات في موقع حنو الزرير عام ٢٠٠٤، وأطروحة الدكتوراه التي قدمتها عام ٢٠١٢م، بعنوان: الإله عم وآلهة قتبان (٧٠٠ ق.م-١٧٠م)، بجامعة طنطا. واستشهدت فيها بالنقوش القتبانية الدينية، منها التي عُثر عليها في مدينتي حنو الزرير وهجر العادي، بعضها تنشر لأول مرة. هذا إلى جانب نشر نقوش منهما في بحوث أخرى. إضافة لأطروحة الدكتوراه، التي قدمها: محمد علي الحاج، عام ٢٠١٥م، بعنوان: نقوش قتبانية من هجر العادي (مريمة قديماً) دراسة في دلالاتها اللغوية والدينية والتاريخية، بجامعة الملك سعود، سلسلة دراسات علمية محكمة ٤. التي تضمنت التعريف بمدينة هجر العادي وأهميتها، ووصف آثار ومعالم المدينة المتبقية، ودراسة تحليلية لمجموعة من النقوش المهمة التي توثق تاريخ المدينة. كذلك أنه نشر أبحاثاً مختلفة لنقوش من مدينة هجر العادي، وغيرها من المدن القتبانية.



خريطة تبين الموقعين هجر حنو الزير وهجر العادي في وادي حريب.
جوجل إيرث

- النقش الأول الرقم المتحفى UAM 525:



صورة ١: النقش UAM 525

مصدر النقش: عثر عليه في هجر العادي (هجر مريمة قديماً)، وادي حريب.

الوصف: عبارة عن قاعدة من الحجر الجيري، مستطيلة الشكل، تمثل مذبح، مائدة قرابين، يحيط السطح العلوي للمائدة إطار يبرز من جميع أطرافها، وتعرض السطح المصقول للتخريب. ويظهر على الجانب الأيمن مجرى للسوائل المراقبة، يبدو أنه كان ينتهي برأس ثور غير موجود، كما هو سائد في موائد القرابين المكتشفة. وكُتب على واجهتها ثلاثة أسطر من الكتابة بخط المسند.

المقاسات: الارتفاع ٣١ سم، العرض ٧١ سم، السمك ٢١ سم، ارتفاع الحرف ٨, ٣ سم.

تاريخ النقش: من خلال نمط كتابة حروف النقش يمكن تأريخه للقرن الثالث قبل الميلاد.

-نص النقش بالحروف العربية:

١ - هوف عم / ب ن / ي ش رح عم / ذي ج ر / س ق ن ي / أ ن ب ي / وذ
ت

٢ - ص ن ت م / ع د / روي ن / م س ل م ن / ر ث د / أ ن ب ي / وذ ت / ص ن
ت

٣ - م / ن ف س س / وأذن س / وكل / ول د س / وب ن س / ي ش رح عم

-نص النقش بالحروف اللاتينية:

1 - h w f ' m / b n / y s² r h ' m / d y g r / s¹ q n y / n b y / w d t /

2 - s n t m / d r w y n / m s¹ l m n / r t d / n b y / w d t / s n t

3 - m / n f s¹ s¹ / w ' d n s¹ / w k l / w l d s¹ / w b n s¹ / y s² r h ' m

-معنى النص:

١ - هوف عم بن يشرح عم (من العائلة أو العشيرة) يحبر قدم (للإلهين) أنبي وذات

٢ - صنتم في (المعبد) روين المذبح ووضع تحت حماية أنبي وذات صنتم

٣ - نفسه (حياته) وحواسه (قدرته) وكل (ولده) أولاده وابنه يشرح عم

تحليل النقش:

السطر الأول:

هـ و ف ع م: هوف عم، اسم صاحب النقش، وهو معروف ورد في عدد كثير من النقوش القتبانية، ونقوش قبائل ولد عم (Ghul- YU 63/1; Ghul- YU 90/1; Ja 2361/1). وحسب علمنا انه لم يرد في النقوش المعينية والحضرية والسبئية. وهوف عم، اسم علم مركب من (هـ و ف) الذي يعني "منح، قدّم، حمى، نجّى". (Hayajneh 1998:262؛ طيران ٢٠٠٦: ١٧٠). ومن (ع م) اسم إله مملكة قتبان الرئيس. ومعروف أن القتبانيين نسبوا أنفسهم لإلهم الرئيس وعُرفوا في النقوش بـ (ولد عم)، لهذا نجده يرد بكثرة في أسماء الأعلام المركبة.

ب ن: ابن.

ي ش ر ح ع م: يشرح عم، اسم علم مركب من (يشرح)، ومن الفعل (شرح) (شارح) بمعنى حفظ، حمى، حرس، نجا (بيستون وآخرون ١٩٨٢: ١٣٤؛ Rick 1989: 167; Hayajneh 1998: 171)، ومن الإله (عم). ليكون معنى الاسم: يحفظ يحمي عم. وهو اسم علم معروف في النقوش القتبانية بكثرة (Ja 2473/1; Ja 268; RES 4098; Mift 00/26). بينما يلاحظ عدم وروده في نقوش ممالك اليمن الأخرى. ونشير الى النقش القتباني (Ja 177) عبارة عن شاهد قبر يذكر يشرح عم مع عشيرته ذي يجر (١- ي ش ر ح ع م/ ٢- ذي ج ر).

ذي ج ر: ذو يجر، اسم عائلة أو عشيرة قتبانية شهيرة، جاء ذكرها في عدد كثير من النقوش القتبانية كالنصوص القانونية التي سنّها ملوك قتبان (RES 3878/16; RES 3566/24,31,34)، ونقوش الإهداءات (MQ-HK 9/1; Ja 868/3; Mift 99/72/3). وأيضاً في النقوش الخاصة بشراء وتملك القبور ونُصب القبور، التي وجدت في مقبرة العاصمة تمنع (هجر كحلان حالياً) (Ja 171; Ja 177; Ja 179; Ry 521/2).

ويلاحظ عدم ورود الاسم في نقوش الممالك الأخرى، عدا نقشين من مملكة سبأ فقط (RES 4202; 4189).

تشير النقوش التي تذكر (ذو يجر) إلى أنها كانت من العائلات القتبانية الشهيرة، التي تتمتع بمكانة رفيعة في المجتمع القتباني، وتتولى مناصب دينية (الكهانة)، ومدنية مهمة في الدولة. فضلاً عن أنها كانت من العائلات التي سميت باسمها السنوات التي تؤرخ بها النقوش القتبانية، كما جاء في نقشين يمثلان نصين قانونيين للملك القتباني شهر هلال يهنعم بن يدع أب، الذي يؤرخ حكمه إلى القرن الرابع قبل الميلاد (عربش ٢٠٠٦: ٦٥)، وهما:

النقش RES 3691/8، وفيه:

٨- ب ب ي ت / ع م / ذ ل ب خ / ب ذ / غ ي ل م / و ب / خ ل ف ن / ذ
س د و / ب ت م ن ع / و ر خ س / ذ ت م ن ع / خ ر ف / ش ه ر م / ذ ي
ج ر / أخ ر م
في معبد عم ذو كَيْخ في ذي غيلم على البوابة ذي سَدو بتمنع (أرخه) في شهر
ذي تمنع في سنة شهرم (من العائلة أو العشيرة) ذو يجر الأخيرة

النقش RES 3693/4، وفيه:

٤- أ س ط ر ن / ب خ ل ف ن / ذ س د و / ب ت م ن ع / و ر خ س / ذ أ
ب ه و / خ ر ف / ع م ش ب م / ذ ي ج ر / أخ ر ن / و ل ي ص ت د ق و
ن / ح
كتابة في البوابة ذي سَدو بتمنع في شهر ذو أبهو سنة عم شبم (من العائلة أو
العشيرة) ذو يجر الأخيرة

يختتم النقشان بتوثيق تاريخ كتابتهما: في الأول (سنة شهرم ذي يجر)، والثاني (سنة عم شبم ذي يجر). أي أن (ذو يجر) من العائلات القتبانية التي سميت باسمها السنوات التي يؤرخ بها في مملكة قتبان. حيث عُرِفَ أن بعض مملك اليمن القديم (سبأ، معين، قتبان)،

استخدمت نظام تأريخ معقد نوعاً ما لم يعرف في مناطق أخرى من العالم القديم، ويقوم ذلك التأريخ أو التقويم الزمني، الذي استخدموه في حساب الزمن والسنين على أسماء الأشخاص - العائلات أو العشائر، ويسمى التقويم بـ (الابونيم - Eponyms)، خلال الفترات القديمة من تاريخها. إذ كان يتم تسمية السنة باسم العائلة التي كانت تتولى منصب (رشو) الكاهن العام أو الأكبر ولمدة أربع سنوات، ومن ثم تتولى عائلة أخرى منصب الكاهن العام، ويتم التأريخ باسمها لمدة أربع سنوات أخرى، وهكذا دواليك (الحسني ٢٠١٢: ٢٦٥-٢٧١؛ Bron 1987: 25-27). ومن تلك العائلات القتبانية الأخرى التي تم التأريخ باسمها: (ذو ذرآن)، (ذو غربم)، (ذو بيهان)، (ذو ذرحان)، (شحر)، وفي الفترة المتأخرة جاء أسماء (محضرم ورشم وقفأم).

س ق ن ي: فعل ماضي من الجذر (قني)، المعروف في النقوش بمعنى قدم، قرب، أهدى (شيئاً) إلى إله (بيستون وآخرون ١٩٨٢: ١٠٦؛ Ricks 1989: 148).

أ ن ب ي: أنبي - أنباي، من آلهة مملكة قتبان الكبرى (الرئيسة)، ويحتل مكانة مهمة في ديانة قتبان، حيث كان يذكر في المرتبة الثانية، بعد الإله عم إله مملكة قتبان الرئيس في صيغ التوسل والدعاء الرسمية للآلهة التي تحتتم بها النقوش (الحسني ٢٠١٢: ٢٧-٢٨؛ Beeston 1991: 2 منذ أقدم ذكر له في النقوش القتبانية، التي تؤرخ إلى القرن السابع قبل الميلاد، (-) 3871/2; RES 746/3; MuB 745/2; MuB 680+748/3; MuB 747/3)، وقد ظل محافظاً على مكانته هذه حتى نهاية مملكة قتبان في الربع الأخير من القرن الثاني ميلادي. وقد فسر معنى اسم الإله أنبي بأنه المتكلم أو المبنى بالوحي الإلهي.

تظهر المنزلة الرفيعة التي حظي بها الإله أنبي من خلال المهام التي أوكلت إليه، وأهمها حماية الأسرة الحاكمة، حيث نسب حكام قتبان أنفسهم إليه، بذكر (بكر أنبي وحوكم)، أي الأبن البكر للإلهين أنبي وحوكم. كما أصدر الملوك القوانين والمراسيم الرسمية باسمه مع الإله عم، وكان الإله أنبي المسؤول والحامي لأموال البيع والشراء

الخاصة بالعقارات كالأراضي والبيوت والمدافن. وقد أطلقت عليه بعض النقوش الصفة أو اللقب (شيمن)، بمعنى أنبي الحافظ والحامي، أي أنبي الحافظ (الحسني ٢٠١٢: ٢٧-٢٨).

السطر الثاني:

ذ ت / ص ن ت م: ذات صنتم، من أساء آلهة مملكة قتبان الكبرى أو الرئيسة، ومن أقدمها وأكثرها ذكرًا في النقوش القتبانية منذ القرن السابع قبل الميلاد، وتبين أنها كانت من الإلهة الرئيسة في العاصمة تمنع، ويأتي ذكرها في المرتبة الثالثة بعد آلهة قتبان الرئيسة (عم وأنبي) (الحسني ٢٠١٢: ٤١؛ Höfner 1965: 530)، وبعد ظهور الإلهين (عثر وحوكم) في صيغ الأدعية الرسمية أصبحت ترد في المرتبة الخامسة (عثر وعم وأنبي وحوكم وذات صنتم وذات ظهران) (RES 3550; RES 3552; MuB 9 MQ-HK; Doe 6; Pi. Huwaydar 1; 673). وقد جاء ذكرها في أغلب النقوش الملكية من مناطق مختلفة، لتوضح انتشار عبادتها في الأراضي القتبانية. ويؤرخ آخر ذُكر لها في النقوش إلى النصف الثاني من القرن الثاني ميلادي، في النقش (H2c/5)، من عاصمة مملكة قتبان الثانية ذات غيلم (هجر بن حميد حاليًا)، التي اتخذها الملوك عاصمة جديدة لهم بعد تركهم العاصمة تمنع التي تم حرقها وتدميرها، من عهد الملك القتباني نبط عم يهنعم بن شهر هلال وابنه مرثدم (Jamme 1969: 338-340)، والذي يعتبره منير عربش آخر ملوك مملكة قتبان، ويؤرخه إلى الربع الثالث من القرن الثاني ميلادي (عربش ٢٠٠٦: ٧١؛ Arbach 2005-2006: 127):

٥- وذت / ص ن ت م / وذت / ظ ه ر ن / ون ش ب ت / وع زي ن / م ن ض ح و
لقد عُدَّت الإلهة ذات صنتم، من آلهة الشمس، بناءً على طبيعة الاسم، إذ تتطابق (ذات صنتم) و(ذات ظهران) في قتبان، مع آلهة الشمس في مملكة سبأ التي سميت فيها بـ (ذات

حميم وذات بعدان)، وكانت آلهة الشمس في المملكتين تذكر في المقام الأخير بعد إله القمر في الأدعية. وعن معنى الاسم يذكر ألبرت جام أنها تعني (المهادنة)، وهي الباردة (الشمس الباردة)، (Jamme 1947: 107). بينما ترى هوفنر أن للاسم علاقة باللفظة (صِنَّة) في اللغة العبرية، والتي تعني البرودة، أي أنها الشمس الباردة (Höfner 1970: 284). وأما بيستون فيذكر أن الاسم مشتق من الجذر (صون)، الذي يعني حمى (Beeston 1991: 4). ولا يستبعد أن جذر الكلمة هو (صان، صون)، أي حفظه وحماه، وصنت الشيء (الجوهري ١٩٩٠: ٢١٥٣)، وبذلك تكون ذات صنتم هي الإلهة المصونة أو الحامية أو الراعية (الحسني ٢٠١٢: ٤١-٤٢).

ع د: حرف جر يعني في، إلى، حتى، عند. (بيستون وآخرون ١٩٨٢: ١٢؛ Ricks 1989: 114). ويلاحظ ورود (ع د) في كثير من النقوش المكرسة للآلهة قبل أسماء المعابد، حيث تذكر (اسم الإله - ع د - اسم المعبد). مثل: (.../ س ق ن ي/ أ ن ب ي/ ش ي م ن/ ع د/ ر ص ف م) أهدي (الإله) أنبي شيمن (الحافظ) في (معبد) رصف (Ja 340/1-2; Ja 2473/1-2). بينما في بعض الحالات يرد (ع د)، وبعده تأتي لفظة (محرم) أو (بيت)، ثم اسم المعبد: (.../ ع م/ ذ أ و ع ل م/ ع د/ م ح ر م س/ ش ب ع ن/ ...) (Doe 2/2-3). و(ع د/ ب ب ي ت س/ ب و ن ب/) (Ja 865/5-6)، أي في معبدها في (مدينة) ونب، الواقعة في وادي الجوبة، (الحسني ٢٠١٢: ١٥٧-١٦٢).

رو ي ن: روين، اسم المعبد الذي قدم فيه الاهداء، جاء ذكره في عدة نقوش مع آلهة أخرى، هي:

-النقش (Moussaieff 32/2)، عثر عليه في مدينة هجر حنو الزرير (هربة قديماً)، ويؤرخ إلى القرن الثالث قبل الميلاد (Bron 2014: 214-216)، وهو عبارة عن دلو من البرونز:

- ٢- ذ ت و/ أم ن ت و/ س ح ر م/ أ هـ ر ب ن/ ش ي ن
 و/ ق ن ت/ ذ هـ ب ن/ ذ ت/ ر و ي ن/ ل ع م/ ر ي
 ٣- ع ن/ س ح ر م/ أ هـ ر ب ن/ ب ن/ م ب ع ل س م
 ٢- أولئك ذو أمنت (كهنة المشرف أو أمين أو صاحب الأمانات) (الإله)
 سحرم (مدينة) هربت وضعوا دلو من البرونز في (المعبد) روين (للإله) عم
 ٣- ريعن (الريع) سحرم أهل (مدينة) هربة من أموالهم (أملاكهم)

يوجد أيضًا النقش من مجموعة يمنية خاصة -Collection privée Yemenite 2015 (3/2)، من الموقع نفسه، وهو عبارة لوحة من البرونز مجزأة لم يبق منها سوى الجزء الأوسط مما تسبب بفقدان كثير من حروفه، ويذكر الملك شهر هلال، إلا أن اسم والده طمس، غير أن أسلوب النقش يرجح أنه ابن الملك (يدع أب ذبيان)، الذي حكم في النصف الأول من القرن الأول قبل الميلاد (Prioleta and Arbach 2015: 259-260). يذكر النص عدة آلهة قتبانية (سحرم وعم ريعن (الريع) وربش وعم ذو ريمتم وذات رحبان)، ويسجل أن التقدمة كانت في المعبد روين.

كما يرد المعبد روين مع الإله عم ذو ريمتم والإله ذات رحبان في نقشين آخرين، أيضًا من الموقع ذاته، وهما:

-النقش (RES 4329/3-4)، من عهد الملك ورو إل غيلان يهنعم قبيل منتصف القرن الأول الميلادي (Arbach 2005-2006: 125):

- ٣- ب ن/ م ث ب م/ ث و ب و/ ل أ ل س م/ ع م/ ذ ر ي م ت م/ و ذ
 ت/ رح ب ن/ وأ ل
 ٤- ه و/ ب ي ت ن/ ر و ي ن/ و ب ر د أ/ و ت ح ر ج/ م ر أ س م/ و
 ر و إ ل/ غ ي ل ن

٣- من القرايين التي قدموها لألهتهم عم ذي ريمتم وذات رحبان وآلهة

٤- المعبد روين وبنعمة وأمر سيدهم ورو إل غيلان

وإلى الفترة ذاتها يعود النقش الثاني 2-859/1 ATM، الذي وجد مكسوراً وتنقصه

كثير من الحروف (عربش وآخرون ٢٠١٣: ٥٢-٥٣):

١- [...] [إل] هـي / بي ت ن / روي ن / أرب ع ت / أصل

٢- [م] ع م / ذري م ت م / وذت / رح [ب ن / وأل هـ و / بي ت / روي

ن / ثوب / وك ل / ب

١- [...] إلهي المعبد روين أربعة أصنام

٢- عمّ ذو ريمتم وذات رحبان وآلهة معبد روين ثوب وكل

يذكر النقشان المعبد روين مع الإله عم بصفته ذو ريمتم، وهي الصفة الرئيسة التي عبد بها الإله عم في مدن وادي حريب، ومعه أيضاً الإلهة ذات رحبان التي تدل النقوش الخاصة بها أنها كانت من الإلهة الرئيسة لمدينة هجر حنو الزرير (الحسني ٢٠١٢: ٤٥)، وورودهما معاً في النقشين ربما يشير إلى أن المعبد كُرس لعبادتهما معاً، غير أن ورود لفظة (أ ل هـ و)، في النقشين، بصيغة الجمع، لتدل على معنى آلهة، يوحي أن المعبد روين كان من المعابد المشتركة أو العامة التي تُكرس لعبادة عدة آلهة. وما يرجح ذلك ما جاء في نقشنا موضوع هذه الدراسة من تقديم الإهداء للإلهين أنبي وذات صنتم في المعبد روين.

وعن موقع المعبد (روين) الذي لا يُعرف مكانه بالتحديد، فإن العثور على النقوش المذكورة أعلاه في مدينة هجر حنو الزرير، قد يرجح على أنه كان يقع فيها، وأما العثور على نقشنا بهذه الدراسة (UAM 525) في هجر العادي، التي لا تبعد عنها سوى حوالي (١٢ كم)، لا يستبعد أنه تم نقل النقش إلى هجر العادي.

كما جاء ذكر الاسم روين في النقش (RES 4933)، الذي عثر عليه في وادي ييَّحان، وهو عبارة عن قطعة معمارية، كُتب عليها النص:

١- ود أب

٢- روي ن

إن ورود الإله ود أب مع روين، ربما أن الإله ود كان ضمن الآلهة التي عُبدت في المعبد روين.

ونشير إلى مذبح محفوظ في متحف بيجان برقم (MuB 381)، كُتب عليه كلمة واحدة فقط، هي الاسم (روي ن)، يبدو أنه قُدّم كنذر في المعبد روين.

والجدير ذكره أن (ذ روين) جاء في النقش (VL 9/1)، كاسم عائلة أو عشيرة لكبير جالية معين التي أقامت في العاصمة تمنع. وأيضاً اسم لعلم في النقش السبئي (Ry 589/2). وكذا في النقوش المعينية: (Kamna 1 = RES 2847=M 98)، ١- ذهب/ أم ر/ روي ن. واسماً لعائلة في النقش (A-20-811/3)، (ذي روي ن) ذي روين.

م س ل م ن: مذبح، مائدة قربان. اسم معرّف بالنون في آخره، الأصل فيه (س ل م)، الذي يُعرف في النقوش بمعنى المذبح، مائدة القرايين (بيستون وآخرون ١٩٨٢: ١٢٦؛ Arbach 104: 1993). و(مسلمن) المسلم، هو نوع من أنواع المذابح التي تنذر للآلهة للوفاء بعهد (Höfner 1970: 330). وقد جاء في النقش (Yashhal 44/2)، من معبد الإلهة أثيرت (يشهل) بتمنع، يسجل الإهداء للإله عم ريعن (الريع) المذبح (ع م/ ري ع ن/ م س ل م ن). والنقش (ATM 890/3-4)، (ش ه ر/ ي ج ل/ م س ل م ن/ ع د/ م ي ف ع) شهر يحل المذبح في (معبد) ميفع (باطايح والزبيدي ٢٠١٣: ٢٦-٢٧). ويرد بصيغة (م س ل م)، في النقش القتباني (VL 34)، عبارة عن لوحة حجرية من كلمتين (م س ل م/ م و ج ل ن) (مذبح - مائدة قربان (من) الممر) (Bron 1992: 33-34).

وعُرف المذبح (مسلمن) ضمن الإهداءات لآلهة الممالك الأخرى، في مملكة سبأ (CIH 387/2; CIH 338/9; CIH 439/1; MŞM 4511/2)، وكذا في أحد نقوش مملكة معين (Shaqab 16/4). وجاء في مملكة حضرموت بصيغة معرفة (م س ل م ه ن) في النقش (RES 3512B/2).

رث د: من الألفاظ المعروفة بكثرة في النقوش بمعنى جعل، وضع (أحدًا/ شيئًا) في حماية إله، (بيستون وآخرون ١٩٨٢: ١٦٩؛ Arbach 1993: 100; Ricks 1989: 81).

السطر الثالث:

ن ف س س: نفسه، حياته، روحه. الأصل (نفس)، بمعنى نفسه حياته، روحه (بيستون وآخرون ١٩٨٢: ٩٣؛ Arbach 1993: 100; Ricks 1989: 109). وحرف السين في آخره ضمير متصل للمفرد الغائب (بيستون ١٩٩٥: ١١٨).

أ ذ ن س: حواسه، قدرته، طاعته، رضا، سلطة، والسين في آخرها ضمير متصل للمفرد الغائب (بيستون وآخرون ١٩٨٢: ٢؛ Arbach 1993: 1-2; Ricks 1989: 6-7).
وكل: كل.

ول د س: ولده. اسم مفرد بمعنى ولد، ابن، وحرف السين في آخره ضمير متصل للمفرد الغائب (بيستون ١٩٩٥: ١١٨).

وب ن س: وابنه.

-النقش الثاني الرقم المتحفى UAM 517:



صورة ٢: النقش UAM 517

مصدر النقش: مدينة هجر العادي (هجر مريمة قديماً).

الوصف: عبارة عن لوح من الحجر الجيري، حالته سليمة، واجهته مطليه باللون الأحمر، وكتب عليها ثلاثة أسطر بخط المسند.

المقاسات: الارتفاع ٥, ٢٢ سم، العرض ٥, ٢٧ سم، السمك ٥ سم، ارتفاع الحرف ٣ سم. تاريخ النقش: من خلال شكل حروف النقش يمكن تأريخه بين نهاية القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول ميلادي.

-نص النقش بالحروف العربية:

١- إل رت ع / ع هـ ل م / ب ن / م و ل

٢- ب م / و ب ن / خ ر ب / س ق ن ي / ع

٣- زي ن / ب ح ت ن

-نص النقش بالحروف اللاتينية:

1 - ' l r t ' / ' h l m / b n / m w l

2 - b m / w b n / h r b / s¹ q n y /

3 - z y n / b h t n

-معنى النص:

١- إل رت ع (من العائلة) موليم

٢- وبن خرب أهدي

٣- عُزَيْن (عزيان) هذه اللوحة الحجرية قربان (بحتن)

تحليل النقش:

السطر الأول:

إل رت ع: إل رت ع، من أسماء الأعلام النادرة في النقوش اليمنية القديمة، حيث لم يرد عدا في نقش قتباني آخر (حاج العادي ١ / ١)، ونقش سبئي واحد فقط (MS Madbah 2/3)، ولم نجده في نقوش المهالك الأخرى. وهو اسم علم مركب من (إل) المعبود السامي الذي يدخل

كثيراً في أسماء الأعلام. ومن الفعل (رتع) الذي يعني وضع، بلغ، وصل، أمر، توجيه (بيستون وآخرون ١٩٨٢: ١١٨-١١٩)، ويُفسر أيضاً بمعنى الصادق، المخلص (Tairan 1998: 199; Hayajneh 1998: 163; 1992). ويرد (رتع) كاسم مركب مع الإله عم (عم رتع) في عدد قليل من النقوش القتبانية (UAM 507/1; UAM 508/1)، والمعينية (RES 3341/6; RES 3350/6; CIH 270/1; GI 1703/3-) والسبئية (3274=Ja 2330/1; RES 3341/6; RES 3350/6; 4; Ja 3199/9). وجاء في نقش وحيد من حضرموت (EPSY 415). كما ذكر أيضاً كاسم علم مفرد (بسيط) (رتع) في النقوش القتبانية (ATM 461/1; Ry 2/11; FB-al-Ādī 2/11; Ghul al-Masāgīd 2/1; Ghul al-Masāgīd 3/1). والسبئية (866/3; MuB 601/1). وورد في النقوش المعينية اسماً لعائلة (ذو رتع) (Ma'in 93A/9,12; M 378/2; M 401/2). ع هـ ل م: اسم علم ثان أو لقب شخصي للاسم الذي قبله (إل رتع)، ويرد (عهلم) كاسم علم في ثلاثة نقوش قتبانية فقط:

-الأول وأقدمها النقش (Ja 340 /1)، يعود بين القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد، من حيد بن عقيل مقبرة تمنع، يذكره اسماً لعائلة:

١- ي ص ر ع م / و غ و ث إل / ذ و ع هـ ل م / س ق ن ي و / أن ب ي
بصر عم وغوث إل (عائلة أو عشيرة) ذو عهلم أهـلوا (الإله) أنبي

-النقش الثاني (WWM-Balu 1/1,3-5)، عبارة عن لوح من البرونز، عثر عليه في مدينة هجر لجية (حلزوم قديماً) في وادي مرخة، ويؤرخ إلى القرن الأول قبل الميلاد (Müller 2013: 91-100):

١- ع هـ ل م / ب ن / ب ع ج م / و ح ت ي ن م / و هـ ب أ / ق ي ل /
ش ع ب ن / ح ل ز و م / و ت ل ج ح / و
٤- م / ك و ن / ع هـ ل م / ر ش و م / ل ب ل و / ب ذ ت م / ش ي م /
خ ر ف ن / و ذ ت أن / ب خ ر ف و / ع

٥- هل م/ ع د/ س ق ل ب/ كل م/ ع د/ ك و ن/ ش ي ط/ ت م ر

ن/ وأكل ن/ ب س و ت/ ي و م ن

١- عليهم بن بعجم وحتيننم وهباً قيل القبيلة حلزوم وتلجج

٤- التي كان فيها عليهم رشو (كاهناً) لـ بلو ولأنه منح حصاد (الفصلين)

الخريف والربيع خلال عامين

٥- من عهلم حتى أكمل منصبة بالكامل، حتى تم تحديد سعر التمور

والحبوب في ذلك اليوم (فترة كهانته)

يذكر النص أن "عهلم" كان يتولى منصب (رشو) كاهن الإله بلو إله مملكة أوسان الرئيس، وأنه كان يؤرخ باسمه (الابونيم) في مدينة حلزوم (هجر لجية حالياً) في وادي مرخة.

-النقش الثالث (ATM 863/1)، من هجر حنو الزير: (١- ع هل م/ و ع ث د م/ ب ن/)، ويؤرخ إلى القرن الأول الميلادي (عربش وآخرون ٢٠١٣: ٥٥-٥٦). ولم يرد في نقوش ممالك اليمن الأخرى.

م و ل ب م: اسم عائلة أو أسرة صاحب النقش، وردت في النقش (حاج - العادي ١١٢/ ١)، والأرجح أنها من الأسر القتبانية التي سكنت مدينة مريمة، (الحاج، ٢٠٢٥: قيد النشر).

السطر الثاني:

خ رب: اسم علم يرد لأول مرة في النقوش اليمنية القديمة.

السطر الثالث:

ع ز ي ن: عزيز، عزيان-العزى: من أسماء آلهة قتبان الصغرى، وذكرتها النقوش بصيغة (ع ز ي ن)، ووردت في خمسة نقوش قتبانية منشورة، فضلاً عن نقشين نشرهما في هذه الدراسة.

ويذكر كريستيان روبان أن الإلهة عزين أو العُزَّى مؤنثة ومن الآلهة المحلية الخاصة بالحماية. وأن أقدم ذكر لها جاء في النقش البرونزي (Ja 865= Ry 371)، غير معروف مكان العثور عليه، ويؤرخ تقريباً إلى القرن الثاني قبل الميلاد (Robin 2000: 141):

٣- ن/ س ق ن ي/ م ر أ س

٤- ع ز ي ن/ س ق ن ي ت

٥- ذهب ن/ ع د/ ب ي ت

٦- س/ ب و ن ب/ ب ذ ت م

يسجل صاحب النقش أنه وهب سيده عزين أهداها البرونز (أي النقش من البرونز) في معبدها في (ونب) كما التزم (Robin 2000: 141; Priolella 2009: 206-207). ويرد الاسم (ونب) في أكثر من نقش، أقدمها النقش السبئي (DAI Širwāḥ 2005-50 / 4-5-6)، الذي عثر عليه في معبد (أوعال) المكرس لعبادة إله سبأ الرئيس (إلقه)، بمدينة صرواح في مارب، لصاحبه يثع أمر وتر (وتار) بن يكر ب ملك مكرَّب سبأ، الذي يؤرخ حكمه في القرن الثامن قبل الميلاد (Nebes 2007: 25-30; Arbach 2014: 67-68):

... و ع س ي/ ب و ن ب/ ذ ق ن ي ... واستولى على (ونب) على ما ملكه ...

وفي النقش السبئي (RES 3946/1,8)، من القرن السابع قبل الميلاد، وإلى الفترة نفسها يعود النقش السبئي (Gr 218 / 7)، (ف/ و ن ب/ ه ج ر/ ق ت ب ن/ ...) ونب مدينة قتبان. وجاء في النقش القتباني (FB-Hawkam 3/2)، (٢- ب ر ن ط م/ ذ ت و/ و ن ب/) برنظم من ونب ...

وقد تم التعرف على أطلال مدينة (ونب) القتبانية، وتقع جنوب مارب في وادي الجوبة (Bron 2009: 125; Arbach 2014: 67-68). وبذلك يتبين أن معبد الإلهة عزين (ونب)، جاء نسبة لاسم مدينة ونب، وأن النقش الذي لم يكن يُعرف مكان العثور عليه، وجد في مدينة ونب.

وجاءت ثلاثة نقوش (CIAS 47.82/02/18; CIAS 95.11/02/19; H2c/5)، من عاصمة قتبان الثانية مدينة ذات غليم، وتذكر الملك نبطم بهنعم آخر ملوك مملكة قتبان، المؤرخ حكمه إلى الربع الأخير من القرن الثاني الميلادي. وترد فيها الإلهة عزيزين مع آلهة قتبان الرئيسة، وكانت من آلهة الحماية للقصر الملكي (حرب/ حريب)، الذي أقاموه في عاصمتهم الجديدة (الحسنى ٢٠١٢: ٨٣-٨٤؛ Robin 2012: 15).

والنقش الخامس (CIAS F 24/s 4/ 95.11/2)، غير معروف مكان العثور عليه، وهو عبارة عن تمثال نصفي لامرأة صغير (نصف جسم إنسان)، وكُتب عليه:
ش ب م / ذ ت / ب ي ح ن / ح ج ر / ع ز ي ن / ب ع ل ي ← ب م ر أ م
ش ب م ذ ت (المتزوجة من بيت) بيحان حماية عزيزين على مرأى م.
يرجح أن التمثال كان موجود في مقبرة، ربما مقبرة حيد بن عقيل بالعاصمة تمنع، وصاحبة التمثال (المتوفاة) وضعت نفسها في حماية الإلهة عزيزين.

ونشير إلى أن عبادة الإلهة عزيزين عُرفت أيضاً في مملكة سبأ، إذ جاء ذكرها في عدة نقوش سبئية (RES 4149/4; CIAS 35.12/06/4; CIH 558/4). منها النقش (BynM 202/1,3):

(... ه د ق ن ي) / م ر أ ت ه / ع ز ي ن / ب ع ل ت / م ح ر (م) ن / س ر ف
ل ي / ص ل م م ...
أهدى سيده (الإلهة) عزيزين صاحبة (سيدة) المعبد (المسمى) سفلي صنم
(تمثال).

يوضح النقش أن الإلهة عزيزين كانت سيدة المعبد سفلي، وتتقبل فيه القرابين، ولأن النقش غير معروف مكان العثور عليه، يصعب تحديد موقع المعبد. وهناك أيضاً النقش MŞM 154/3، من وادي الجوف، وهو عبارة عن مبخرة هرمية الشكل، كُتب عليه:

٢- أبك ر/ ق ف و/ ش م س

٣- هـ م و/ ع ز ي ن

أبكر أقاموا لوحة تذكارية لشمس عزيز

كما ترد الإلهة عزيز على بعض التماثيل السبئية (A-50-506/2; CIH 559/2)، ومنها تيمية عبارة عن قلادة من الذهب (A-50-858): (ح ج ر/ ع ز ي ن/ ب ع ل ي/ ت ن ع م/ و و ل د [] حماية (الإلهة) عزيز على تنعم وولدها. وتؤرخ بين القرن الأول والثاني الميلادي (Maraqten 1996: 89-90; Maraqten and Sholan 2013: 111-114).

يلاحظ في التماثيل وبعض نقوش الإلهة عزيز، أن اسمها جاء مسبوقاً بلفظة (ح ج ر) التي تعني حماية، حمى (المعجم السبئي ص ٦٧؛ 194-195; Ryckmans 1980)، أي أن الإلهة عزيز كانت من الآلهة الخاصة بحماية بالأشخاص أو الأفراد من كل شر وحسد، أي تمثل ما يُعرف اليوم باسم (حجاب) (Robin 2000: 136; Priolella 2009: 202-203; Maraqten and Sholan 2013: 112). وكان يدخل اسم عزيز بشكل كامل أو مختصر- في أسماء الأعلام المركبة، مثل (وهب عزيز، رثد عزيز، عبد عزيز، أمت عزيز، ربب عز، شرح عز، حمي عز)، (Robin 2000: 141).

والجدير ذكره ورود الإلهة عزيز في قرية (الفاو) في المملكة العربية السعودية باسم (ل ع ز ي) (Ja 2138)، وباسم (عبد العز) (Robin 2000: 141).

يرى الباحثون أن الإلهة عزيز (عُزَيان)، التي عُبدت في مملكتي قُتبان وسبأ، هي الإلهة (العُزَى)، التي عبدها عرب شمال الجزيرة العربية قبيل الإسلام، وأن عبادتها دخلت ممالك اليمن القديم منذ القرن الثاني قبل الميلاد، وأزداد ذُكرها في النقوش مع دخول قبائل عرب الشمال (الأعراب) إلى جنوب الجزيرة في القرن الأول الميلادي. وأنها هي التي جاء ذُكرها في القرآن الكريم في (سورة النجم: الآيات ١٩، ٢٠)، مع الآلهة العربية القديمة (اللآت، العُزَى، مناة)، وأنها كانت آلهة الحماية الخاصة (موللر ١٩٩٩: ١٢٣؛ عريش ٢٠٠٢:

٢٠؛ 141: (Robin 2000).

بحث ن: البحت. نوع من أنواع الإهداءات التي تقدم للآلهة، لوح حجري.

-النقش الثالث الرقم المتحفى UAM 516:

مصدر النقش: مدينة هجر حنو الزرير (هربت قديماً)، وادي حريب.

الوصف: عبارة عن لوح من الحجر الكلسي، وجد مكسوراً من جهته اليسرى، بحيث إن جميع الأسطر الثلاثة التي نقشت على واجهته ناقصة من نهايتها، كما لا يظهر اسم صاحب النقش،

وربما أن هناك نقش آخر يوضع بجانب النقش الموجود. وتوجد على واجهة النقش طبقة سوداء (فحم) آثار حريق.



صورة ٢: النقش UAM 516

المقاسات: الارتفاع ٣٣ سم، العرض ٣٠ سم، السمك ٥ سم، ارتفاع الحرف ٥ سم.
التاريخ: يمكن تأريخ النص من خلال شكل الحروف بين نهاية القرن الأول، وبداية القرن الثاني للميلاد.

-نص النقش بالحروف العربية:

١- م رأت ن / م س ن د ن / و ت ش ر ع س / [...]

٢- ذ ت م / ت ك ر ب س / ح ج ك م / ح ر [ج] / [...]

٣- ب م س آل س / ر ث د / ع ز ي ن / [...]

-نص النقش بالحروف اللاتينية:

1 -m r ' t n /m s³ n d n /w t s² r ' s¹ / [...]

2 -d t m /t k r b s¹ /h g k m /h r [g] / [...]

3 -b m s¹ ' l s¹ /r t d /' z y n / [...]

-معنى النص:

١ - السيدة أو الربة المسند (النقش) وكل ما هو مستحق لها [...]

٢ - التي التزم لها كما أمر [...]

٤ - في مسأله ووضع تحت حماية عَزَّيْن [...]

تحليل النقش:

السطر الأول:

م رأت ن: الحجر الكلسي. اسم معروف في النقوش، من الأصل (م ر ت) بمعنى الحجر الكلسي (بيستون وآخرون ١٩٨٢: ٨٧؛ 99 Ricks 1989).

ت ش ر ع س: كل ما هو مستحق لها. حرف التاء في أوله زائدة، والسين في آخره ضمير متصل للمفرد الغائب، من الأصل (ش ر ع) الذي سبق ذكره في ثلاثة نقوش قتبانية إهدائية أخرى، وهي:

- النقش Ja 8 5 2 / 8، (س ق ن ي و / ع م / ر ي ع ن / م س ن د ن / و ك ل / ش ر ع س / ب ن / ف ر ع م) أهديوا عم ريعن النقش وكل ما هو مستحق له من الجزية.
- النقش JRy. WBrashear 1/3، (ب ح ت / ب ل ق ن / و ك ل / ش ر ع س / ب ن ذ ت م / ت ك ر ب س) لوح حجري وكل ما هو مستحق له كما طلب منه.
- النقش FB-Qatabān 1/3، (...س ق ن ي / ذ ت / أ د ه ن م / ك ل / ش ر ع س) أهدي ذات أدهنم كل ما هو مستحق لها.

وأما عن معنى (ش ر ع)، فيذكر ألبرت جام أنها تعني كل ما تستحقه أو بسبب ما يستحق، ويؤيده في ذلك فرانسوا برون (Jamme 1955: 97; Bron 2010: 170). بينما يرى جاك ريكمانز أنها تعني كل شيء لديهم (Ryckmans 1987: 167). ويفسرها المعجم السبئي بعدة معاني هي: شرع، حقوق، مستحقات (بيستون وآخرون ١٩٨٢: ١٣٣-١٣٤). وجاءت في المعجم القتباني بمعنى (بسبب، حقوق) (Ricks 1989: 172). وهي عند منير عربش أنشاء، جهاز، أقام، نصب، مذبج، قناة ري (Arbach 1993: 112). وتذكر اليساندرا افانزيني أنها تعني الداعم أو سند (حامل) (Avanzini 2004: 167, 191). بينما يرى كل من أ. مولتوف وب. شتاين أن (ش ر ع) من الممكن أن تأتي بمعنى زخرفة، زينة (Multhoff and Stein 2008: 36-37). ويبدو أن معنى كل ما تستحقه أو ما هو مستحق لها، هو المناسب لمضمون النص.

السطر الثاني:

ذ ت م. صيغة اسم موصول للمفرد المؤنث (بيستون ١٩٩٥: ١١٩؛ Ricks 1989: 42-43).

ت ك رب س: فعل ماضٍ مزيد بالتاء في أوله، وهو من الأصل (ك رب) الذي تكرر ذكره في النقوش القتبانية ليدل على معنى (ألزم، وفقاً لـ فرض، أوجب)، (بيستون وآخرون ١٩٨٢: ٧٨؛ Ricks 1989: 86)، والسين في آخره ضمير متصل للمفرد (بيستون ١٩٩٥: ١١٨).

ح ج ك م: حرف جر وعطف بمعنى كما، مثلما، طبقاً لـ، بموجب، بمقتضى (بيستون وآخرون ١٩٨٢: ٦٩؛ Ricks 1989: 64).

ح ر ج: من الألفاظ المعروفة في النقوش بمعنى أمر، توجيه، سلطة، قيادة، حماية (المعجم السبئي ١٩٨٢: ٧٠؛ Ricks 1989: 67).

السطر الثالث:

ب م س أ ل س: في مسألها. الباء حرف جر بمعنى في. وحرف السين (س) في آخره ضمير المذكر الغائب. ومسأل الذي يرد كثيراً في نقوش الإهداءات، فسر بمعنى المكان المقدس الذي يسأل فيه العبد الإله في المعبد أوراكل (oracle)، (المعجم السبئي ١٩٨٢: ١٢١؛ Ricks 1989: 156-157; Pirenne 1980: 103). وهذا المكان الذي يسأل فيه الإله، لا بد أن يكون في معبد وأمام الكاهن. وسبق الإشارة إلى النقش (Ja 3-6/ 865، الذي يذكر أن القتبانيين أقاموا للإلهة عزين معبداً كُرس لعبادتها حمل اسم الموقع (المدينة) الذي بني فيها (ونب) (Robin: 2000: 141; Priolella: 2009: 206-208). وأيضاً النقش السبئي (BynM 202/1-2)، الذي يسجل الإهداء للإلهة عزين في معبدها (سفلي).

كما أن تقديم القرابين لها في النقشين الجديدين للإلهة عزين، يدل على وجود معبد كُرس لعبادتها وتتقبل فيه تلك الإهداءات، ولا يستبعد أنه كان يقع في مدينة

حنو الزرير في وادي حريب.

الخلاصة:

استعرضت الدراسة ثلاثة نقوش إهدائية قتبانية، عثر عليها في المدينتين (مدينة هجر حنو الزرير ومدينة هجر العادي)، وهما من أهم مدن مملكة قتبان في وادي حريب، وتبين الآتي:

- النقش الأول من مدينة هجر العادي، ينتمي صاحبه للعائلة أو العشيرة الشهيرة في مملكة قتبان (ذو بحر)، التي ترد في نقوش كثيرة لمكانتها الرفيعة أو المرموقة في المجتمع القتباني، كونها كانت تتولى مناصب دينية (الكهانة)، وأيضاً كانت من العائلات التي يؤرخ باسمها، وتسمى السنوات باسمها عند تولي أحدهم منصب (الكاهن). يوثق في نقشه تقديم الإهداء للإلهين (أنبي وذات صنتم) وهما من آلهة مملكة قتبان الكبرى أو الرئيسة منذ ظهور المملكة حتى نهايتها. وهو النقش الوحيد الذي يسجل تقديم للإلهين معاً. وكان الإهداء عبارة عن مذبح (مائدة قرايين)، في المعبد (روين)، الذي جاء ذكره في عدة نقوش مع آلهة قتبانية أخرى، مما يدل على أنه كان من المعابد المشتركة لأكثر من إله، أي أن بعض المعابد كانت تُكرس لعبادة عدة آلهة.

- النقش الثاني من مدينة هجر العادي، بينما جاء الثالث من مدينة هجر حنو الزرير، ويسجلا الإهداء للإلهة عزيزن، وهي من آلهة مملكة قتبان الصغرى أو الثانوية، كما عُرفت عبادتها في مملكة سبأ فقط، ولم تُذكر في الممالك الأخرى. وكانت من الآلهة المحلية الخاصة بالحماية، وأقاموا لها المعابد لتقديم القرابين لها. فالنقش الثاني يسجل إهداء (بحت) الذي يُفسر بمعنى لوح حجري، لاسيما وأن النقش عبارة لوح حجري مطلي، بينما يقدم النقش (المسند) النقش، مما يدل أنها قدمت لها في معبد. كما كُتب

أسمها على بعض التماثيل، كونها من الآلهة الخاصة بحماية بالأشخاص أو الأفراد من كل شر وحسد.

الاختصارات:

[] يشير إلى أن الحرف أو الحروف، بين هذين الرمزتين كانت على النقش، ولكنها اختلفت نتيجة كسر أو طمس وغيرها.

() تكملة لبعض حروف النقش الناقصة، التي تظهر منها أجزاء بسيطة.

... جزء محذوف.

حاج العادي ١ (الحاج ٢٠١٥: ٧١-٧٤)

س حرف السين الثالثة في الخط المسند

A-50-858	متحف جامعة صنعاء. Maraqten and Sholan 2013: 111-114.
ATM	Ataq Museum (متحف عتق)
BynM	Bynon Museum (متحف بينون)
CIAS	Corpus des Inscriptions et Antiquités Sud-arabes, 1-1977, 2-1986, Louvain.
CIH	Corpus Inscriptionum Semiticarum.
Collection privée Yemenite 2015-3	Prioletta and Arbach 2015: 259-261, fig. 3. مجموعة يمنية خاصة
Doe	Inscriptions edited by B. Doe.
EPSY	
FB-al-‘Ādī	Bron 2010 a: 173-175, fig. 9.
Ghul- YU	M. al- Ggul مجموعة نقوش نشرت بواسطة محمود الغول
Ghul al-Masāğid 3	Bron 1992: 97-98, photo.
H	Inscriptions of the Second expedition at Hajar bin Humayd.

Ja	Inscriptions edited by A. Jamme.
JRy. WBrashear	Ryckmans, Jacques 1987: 165-173, fig.1.
Kamna	نقوش من مدينة كمنا (كمنهو قديماً) في الجوف
Ma'in 93A	Bron 1998: 103-106.
MS Madbah 2	al-Salami 2011: 25-27, fig. 7a-b.
Mift	Mission italian-french in tamna'
MŞM	Şan'ā', Military Museum
Moussaieff 32	Bron 2014: 214-216.
MQ	Mission de Qatabān.
MuB	Bayahn Museum. (متحف بيحان)
Pi. Huwaydar 1	Inscriptions edited by J. Pirenne.
RES	Repertoire Epigraphie Sémitique.
Ry	Inscriptions edited by G. Ryckmans.
Shaqab 16	Gnoli 1993: 92-95, pl.15.
UAM	University of Aden Museum. (متحف جامعة عدن)
VL	Inscriptions of the Van Lessen Collection.
WWM-Balu 1	Müller 2013: 91-100.
Yashhal 44	Arbach 2016: 275. نقش من معبد الإلهة أثيرت (يشهل) في تمنع

المصادر والمراجع:

أولاً: المراجع العربية والمعرية

باطايع أحمد بن أحمد، والزبيدي، خيران محسن، ٢٠١٣، هجر عبدان (حيد حنة) وادي عبدان، ريدان، ٨، ص ١٩-٤٧.

بيستون، الفريد، ١٩٩٥، قواعد النقوش العربية الجنوبية "كتابات المسند، ترجمة رفعت هزيم، مؤسسة حمادة للخدمات الطلابية، أريد.

أ. بيستون وجاك ريكانز ومحمود الغول ووالتر مولر، ١٩٨٢، المعجم السبئي، بيروت، دار نشر يات بيترز-مكتبة لبنان.

الجوهري، إسماعيل بن حماد، (ت ٣٩٣هـ-١٠٠٣م) ١٩٩٠، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة ٤، دار العلم للملايين، بيروت.

الحاج، محمد علي، ٢٠١٥، نقوش قتبانية من هجر العادي (مريمة قديماً) دراسة في دلالاتها اللغوية والدينية والتاريخية، جامعة الملك سعود، سلسلة دراسات علمية محكمة ٤.

-----، ٢٠٢٥، كتاب نقوش مسندية من معبد الإله حوكم هجر العادي بوادي حريب - محافظة مارب "القرن السابع قبل الميلاد - القرن الثاني الميلادي". (قيد النشر).

الحسني، جمال محمد ناصر، ٢٠١٢، الإله عم وآلهة قتبان (٧٠٠ ق.م-١٧٠ م)، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة طنطا.

عربش، منير، ٢٠٠٢، عالم الآلهة في مملكة قتبان قبل الإسلام (القرن الثامن ق.م-القرن الثاني الميلادي)، حوليات يمنية، العدد ١، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء،

٢٠٠٢، ص ١٧-٢٢.

-----، ٢٠٠٦، روى جديدة لكتابة تاريخ مملكة قتبان من خلال الآثار والنقوش، حوليات يمنية، العدد ٣، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، ص ٦١-٧٢.

عربش، منير، وباطيع، أحمد، والزبيدي، خيران، ٢٠١٣، نقوش قتبانية جديدة (٣)، ريدان ٨، ص ٤٩-١٠٣.

بن طيران، سالم بن أحمد، ٢٠٠٦ (١٤٢٧ هـ)، أسماء أعلام عربية جنوبية قديمة دراسة في مدلولاتها اللغوية والدينية، الدارة، ٢، السنة ٣٢، ص ١٥٧-١٩٢.

مولر، والتر، ١٩٩٩، الدين، اليمن في بلاد ملكة سبأ، ترجمة بدر الدين عرودكي، مراجعة يوسف محمد عبد الله، دمشق، ص ١٢١-١٢٩.

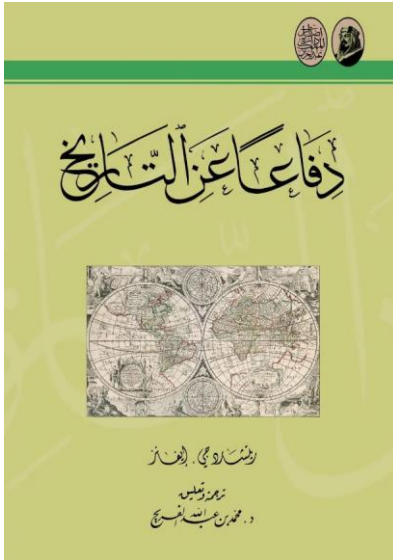
ثانياً: المراجع باللغات الأجنبية

-Arbach, M, 1993, *Le madhâbien: lexique, onomastique et grammair d'une langue de l'Arabie méridionale préislamique*, (3 volumes), (Thèse de doctorat, université, d' Aix- Marseille I).

- 2005-2006, Tamna': Histore et Chronologie d' Après les Inscriptions, *Arabia*, 3, p. 115-133.
- 2014, Yita' 'amar fils de Yakrubmalik mukarrib de Saba' et le synchronisme sabéo-assyrien sous Sargon II (722-705 av. J.-C.), *Semitica et Classica*, 7, p. 63-76.
- 2016. Annexe: les inscriptions du temple d'Athirat (II. Il tempio di Athirat: rapporto finale degli scavi 1999-2000), in A. de Maigret and Chr. Robin (eds). *Gli scavi Italo-Francesi di Tamna' (Repubblica dello Yemen). Rapporto finale*. (Orient & Méditerranée, 20). Paris: De Boccard. p. 259-287.
- Arbach, M, Avanzini, A, Batayi', A, and Robin, Chr,
- Arbach, M, et al., 2001, Matériaux pour lc Corpus des Inscriptions Qatabanites (II), *Raydān* 7, Sana' a, p. 43-101.
- Avanzini, A, 2004, Corpus of South Arabian Inscriptions I-III, Qatabanic, Marginal Qatabanic, Awsanite Inscriptions, (*Arabia Antica* 2), Edizioni Plus - Pisa University Press.
- Avanzini, A, Bafaqih, M, Batayi', A, and Robin, Chr,
- Avanzini, A, et al., 1994, Materiali per il Corpus Qatabanico, *Raydān* 6, Sana' a, p. 17-36.
- Beeston, A. F. L, 1991, "Sayhadic Divine Designations", *Proceedings of the Seminar for Arabian Studies* 21, (1991), p. 1- 6.
- Bron, F, 1987, A Propos de l'Eponymie Qatabanite, in Chr, Robin and M, Bafaqih (eds.), *Sayhadica, Recherches sur les inscriptions de l'Arabie Pre Islamique Offertes Par Ses Collègues Au Professeur A.F.L. Beeston*, Paris, p. 21 -27.
- 1992, Mémorial Mahmud al-Ghul. Inscriptions sudarabiques. Paris: Librairie orientaliste Paul Geuthner/ San'ā': Centre français d'études yéménites.
- 1998, *Ma'īn. Fasc. A: Les documents. Fasc. B: Les planches. Inventaire des inscriptions sudarabiques*. 3. Paris: de Boccard / Rome: Herder. [Académie des Inscriptions et Belles-lettres; Istituto italiano per l'Africa e l'Oriente].
- 2009, Trois nouvelles dédicaces qatabanites à Ḥawkam, *Orientalia* 78, 2009, p. 121-126.
- 2010, Nouvelles inscriptions sudarabiques. *Semitica et Classica*, 3, p. 163-175.
- 2014, Vaisselle de la cour des rois de Ḥaḍramawt et autres objets inscrits dans la collection Shlomo Moussaieff. *Semitica et Classica*, 7, p. 205-216.

- Gajda, I., Al- Hajj, K., and Schiettecatte, J., 2009, Two Inscriptions Commemorating the Construction of A Mountain Pass, By Yyada' 'Ab Dhubyan Son of Shahr Mukarrib of Qataban, and By the Qayls of the Madhi Tribe", *Egitto e Vicino Oriente*, 32, p. 165-181.
- Gnoli, G, 1993. *Shaqab al-Manaṣṣa. Con diciotto tavole fuori testo. Inventaire des inscriptions sudarabiques*. 2. Paris: de Boccard / Rome: Herder. [Académie des Inscriptions et Belles-lettres; Istituto italiano per l'Africa e l'Oriente].
- Hayajneh, H, 1998, Die Personennamen in den qatabanischen Inschriften, Lexikalische und grammatische Analyse im Kontext der semitischen Anthroponomastik, (Texte und Studien zur Orientalistik, 10), Hildesheim.
- Höfner, M, 1965, « Südarabin (Saba, Qataban u. A) », dans H. W. Haussig (dir.), *Götter und Mythen im Vorderen Orient (Wörterbuch der Mythologie 1. Abt. Die alten kulturvölker*. 1), Stuttgart: Ernst Klett, p. 483-552.
- 1970, Die Vorislamischen Religionen Arabiens, in H. Gese, M. Höfner, K. Rudolph, *Die Religionen Altsyriens, Altarabiens und der Mandaer*, (Die Religionen des Menschheit, 10, 2), Stuttgart, 1970, p. 233 - 402.
- Jamme, A, 1947, "Le Panthéon Sud Arabe Préislamique, d'après les Source épigraphiques", *Le Muséon*, 60, 1947, p. 57-147.
- 1955. A Qatabanian Dedicatory Inscription from Hajar bin Ḥumaid, *Journal of the American Oriental Society*, 75, p. 97-99.
- 1969, "Inscription from Hajar bin Humeid", in G. Van Beek, *Hajar bin Ḥumeid, Investigations at a Pre- Islamic Site in South Arabia*, (Publications of the American Foundation for the Study of Man, 5), Baltimore: Johns Hopkins Press, p. 331-354.
- Maraqten, M, 1996, An Inscribed Amulet from Shabwa, *Arabian Archaeology and Epigraphy* 7, 1996, p. 88-94.
- Maraqten, M, and Sholan, A, 2013. An inscribed golden amulet of the goddess 'Uzzayān, *Raydān*, 8, p, 111-114.
- Müller, W. W, 2013, "Eine Votivinschrift auf einer Bronzetafel aus Awsān", in F. Briquel-Chatonnet, C. Fauveaud and I. Gajda (eds.). *Entre Carthage et l'Arabie heureuse. Mélanges offerts à François Bron*. (Orient & Méditerranée, 12), Paris: de Boccard.
- Multhoff, A, and Stein, P, 2008, Tempeldiebstahl und andere Schlechtigkeiten: Zwei verkannte sabaische Inschriften, *ORIENTALIA*.77/1, p. 1-44.

- Nebes, N, 2007, Ita' amar der Sabaer: Zur Datierung der Monumentalinschrift des Yita' 'amar Watar aus sirwah", AAE. 18, p. 25-33.
- Pirenne, J, 1980, Sud-Arabe: QYF-QF-MQF, De La Lexicographie A La Spiritualité Des Idolâtres, *Semitica* 30, p, 93 - 124.
- Prioletta, A, 2009, I Musei Dello Yemen 2, Note su Alcun Iscrizioni Qatabaniche al Museo Nazionale di Aden e al Museo di Zinjibar, *Egitto Vicino Oriente* 32, p, 201-219.
- Prioletta, A and Arbach, M, 2015, Nouveaux documents qatabānites. *Semitica et Classica. Revue Internationale d'Études Orientales et Méditerranéennes*, 8, p, 255-261.
- Ricks, S, D, 1989, Lexicon of Inscriptional Qatabanian, (Studia pohl 14), Rome.
- Ryckmans, J, 1980, 'Uzza et Lat Dans Les Inscriptions Sud-Arabs: A Propos Deux Amulettes Méconnues", *Journal of Semitic Studies* 25. 2, p. 193 - 204.
- 1987, inscriptions Sud-Arabs d'une Collection Privée Londonienne, in Chr. Robin, and M. Bafaqih (eds.), *Sayhadica, Recherches Sur Les Inscriptions De L'Arabie Préislamique Offertes Par Ses Collègues Au Professeur A.F.L. Beeston*, Paris, p. 165 - 180.
- Pirenne, J, 1980, Sud-Arabe : QYF-QF-MQF, De La Lexicographie A La Spiritualité Des Idolâtres, *Semitica*, 30, p. 93 - 124.
- Robin, Chr, 2000, Les "FILLES DE DIEU. de Sabaa la Mecque: Réflexions Sur L' Agencement des Panthéons Dans L' Arabie Ancienne", *Semitica*, 50, p. 113 - 192.
- 2012, Matériaux pour une typologie des divinités arabiques et de leurs représentations, in Isabelle Sachet (ed.). *Dieux et déesses d'Arabie. Images et représentations. Actes de la table ronde tenue au Collège de France (Paris) les 1er et 2 octobre 2007*. Paris: De Boccard. [en collaboration avec Christian Julien Robin], p. 7-118.
- Ryckmans, J, 1980, 'Uzza et Lat Dans Les Inscriptions Sud-Arabs: A Propos Deux Amulettes Méconnues", *Journal of Semitic Studies*, 25. 2, p.193 - 204.
- al-Salami, M, A, 2011, Sabäische Inschriften aus dem Ḥawlān. (Jenaer Beiträge zum Vorderen Orient, 7). Wiesbaden: Harrassowitz Verlag.
- Tairan, S, 1992, Die Personennamen in den altsabäischen Inschriften, Ein Beitrag zur Altsüdarabischen Namengebung, (Texte und Studien zur Orientalistik, 8), Hildesheim.



مراجعة لكتاب

دفاعاً عن التاريخ

أ.د. عبدالرحمن بن عبدالله الأحمري

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة الملك سعود
aalahmri@ksu.edu.sa

عنوان الكتاب: دفاعاً عن التاريخ

لغة الكتاب: العربية

المؤلف: ريتشارد جي إيفانز

ترجمة: د. محمد بن عبدالله الفريح

الناشر: دار الملك عبدالعزيز

سنة النشر: ٢٠٢٤م

عدد صفحات الكتاب: ٣٩١ صفحة.

مقاس الكتاب: ١٧ X ٢٤سم

رقم الإيداع: ٣٦٥٧ / ١٤٤٥

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٢٩١-٦٦-٥

تمهيد:

ظهر في القرن العشرين كتابان يحملان العنوان نفسه "دفعاً عن التاريخ"، بينهما في تاريخ النشر ما يقرب من نصف قرن، ويمثل كل منهما اتجاهًا أو مدرسة متميز في الكتابة التاريخية، الأول لمارك بلوخ (٦ يوليو ١٨٨٦ - ١٦ يونيو ١٩٤٤م) صدر عام ١٩٤٩م بعد

خمس سنوات من إعدامه على يد الجيش الألماني، وبلوخ مؤسس مدرسة الحوليات الفرنسية مع لوسيان فيفر وفرنان وبروديل، وكتاب "دفاعاً عن التاريخ" لبلوخ له عنوان شارح "مهنة المؤرخ"، يعد كتاباً تأسيسياً في هذه المدرسة، وهو دفاع عن التاريخ بعد أن حُمل هذا العلم جزءاً من مأساة أوروبا من الحرب العالمية الأولى وما تلاها من ظهور التعصب، والعنصرية، وصولاً إلى النازية، والفاشية، وأن التاريخ الذي يسير وفق المدرسة الوثيقة أو الوضعية، - وتعرف أيضاً بالرانكية - التي تهتم بتاريخ السلطة في الجانب السياسي والعسكري والدبلوماسي، وأنها مسؤولة عن نفخ نار ذلك التعصب في شعوب أوروبا، وهنا انبرى بلوخ مدافعاً عن التاريخ موضحاً قصور تلك المدرسة، وأن التاريخ أشمل من تلك الجوانب التي تهتم بها، وأن التاريخ يهتم بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية والفكرية وغيرها مما له علاقة بتاريخ المجتمع وفق حركة الزمن في أبعاده الثلاثة: الأمد البعيد، والأمد المتوسط، والأمد القريب (الحدث)، ووفق رؤية شاملة للمصادر لا تجعل الوثيقة التاريخية المصدر الوحيد أو الأهم، وانطلقت بعد ذلك حركة التأليف في تطوير منهجية التاريخ وفق هذه المدرسة، وصولاً إلى كتاب "التاريخ الجديد"، وكتاب "الاشتغال بالتاريخ"، تحرير جاك لوغوف (ت ٢٠١٤م) أبرز رواد هذه المدرسة.

ويأتي كتاب إيفانز "دفاعاً عن التاريخ" الصادر عام ٢٠٠٠م، في هذا السياق، حيث أشار إيفانز في المقدمة إلى أن الهدف من الكتاب هو الإجابة على "أسئلة مثل: كيف ندرس التاريخ، ونبحث فيه، ونكتب عنه، ونقرأ فيه". والكتاب في حقيقة الأمر يمثل خطوة متقدمة وتطويرية في المدرسة الرانكية أو الوضعية، فهو امتداد لمؤرخين كبار ومشهورين في هذا الخط التطويري للمدرسة، فهو امتداد لـ إدوارد هاليت كار (١٨٩٢-١٩٨٢م)، صاحب كتاب "ما هو التاريخ" (١٩٦١م)، ولـ جيفري رودولف إلتون (١٩٢١-١٩٩٤م) صاحب كتاب "ممارسة التاريخ" (١٩٦٧م)، وكتاب إيفانز "دفاعاً عن التاريخ" موجه ضد نظرة فلسفة "ما بعد الحداثة"، أو "ما بعد البنيوية" للتاريخ؛ التي ظهرت منذ الستينات الميلادية من القرن العشرين، التي أنكر عددًا من روادها "أن هناك شيئاً يُدعى الحقيقة أو

الموضوعية التاريخية"، وفي مقدمته راجع إيفانز الأدبيات التي صدرت بدءًا بالأفكار الرئيسة في كتاب كار، وفي كتاب إلتون، وموقفهما من واقع المعرفة التاريخية؛ وأن المؤرخين في نهاية القرن العشرين "واقعون تحت سيطرة حالة تشاؤم نهاية القرن متزايدة إنه "زمن من عدم اليقين ومن أزمة إيبستيمولوجية"، ... وأن التاريخ تهاوى "حتى وصل الأمر إلى أسسه العلمية والثقافية".

وتتبع الأدبيات خاصة من الولايات المتحدة التي تابعت مسار المعرفة التاريخية، وشخصت واقعها، وتصور مستقبلها، إلى عام ١٩٩٨م، وأن تحدي "ما بعد الحداثة" أدخل المهنة التاريخية في أزمة ثقة ذاتية حول دورها، وكيف تقوم به، وأن الإحساس بالأزمة واسع الانتشار، ويعاني منها المؤرخون. كما صرّح كاتب آخر أنها تمثل "تحدي نظري رئيس لمصادقية عملهم"، وفي الحقيقة أن هذا التحدي أكثر من كونه تحدي نظريًا فقط بل إن "ما بعد البنيوية"، يهدد "بفقدان المؤرخين وظائفهم؛ من خلال سلب مشروعية حقلهم المعرفي ومسوغات وجوده".

وعن هذه الحال ينقل عن أكاديمي استرالي آخر، قوله: إن ما نشهده هو "قتل للتاريخ"، وأن ما يشهده هذا الحقل المعرفي (التاريخي)، هو "مسار واضح لتراجع المنح البحثية، والنشر، والمؤتمرات، والتوظيف الأكاديمي"، بلغت قوة نقد ما بعد الحداثة وقوة تأثيرها حدًا جعل أعدادًا متزايدة من المؤرخين أنفسهم ينصرفون على البحث عن "الحقيقة والإيمان بالموضوعية والسعي إلى مقارنة علمية للماضي"، وينقل عن ديفيد هارت قوله: "أنه مع نهاية ثمانينيات القرن العشرين يئس معظم المؤرخين بل حتى معظم المؤرخين العاملين من إمكانية الحصول على معرفة موثوقة وموضوعية عن الماضي".

وتابع إيفانز نقل مقولات المؤرخين عن مستقبل المعرفة التاريخية، ثم أوضح أن عمله هذا نوعًا من المقاومة للاتجاه الفكري الذي أوجدته فلسفة "ما بعد الحداثة"، وأنه في كل عصر تظهر اتجاهات فكرية تحتاج إلى المراجعة والنقد، وضرب مثلاً بالأيديولوجية النازية في بداية القرن العشرين، وأن مؤرخين ألمان تماهوا مع تلك الأيديولوجيا عبر مؤسسات علمية،

والجامعات التي ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى بدوافع وطنية للرفع من شأن الأمة الألمانية واستعادة أراضيها، ويضيف قائلاً: "... أعاقَت مؤسسة التاريخ الألماني مسيرة الحياة العملية لأولئك الذين كان لهم رأي آخر ما عدا قلة تعد على أصابع اليد من أعضائها اشتركوا مختارين في السيطرة النازية على السلطة وفي صبغ التعليم الجامعي بها لكن هل كان هذا مسوغاً لعدم مقاومتهم، أو لم يتسبب هذا التوجه الذي لم يقاوم بضرر بنوعية البحث العلمي التاريخي الألماني وسمعته لجيل كامل".

ويرى أن "ما بعد الحداثة" في الوقت الحاضر يحتاج إلى مقاومة وكتابة نوع من هذا. وقال: "إن الجدليات والنظريات أياً كانت هيمنتها في الحياة الفكرية لعصرها يجب أن تقيّم تبعاً لخصائصها لا أن تقبل دون نقد لأن الأغلبية ببساطة أقرتها".

بنية الكتاب:

الفصل الأول: تاريخ التاريخ

تناول إيفانز في هذا الفصل تاريخ تفسير التاريخ منذ العصور الوسطى؛ حيث كان يعزي تفسير الأحداث إلى أنها "أقدار الله في العالم"، وفي العصر الحديث تطور النظر إلى تفسير التاريخ من عصر النهضة الأوروبية حيث ظهر الاتجاه الإنساني، ثم العقلاني في النظر الوقائع، فنجد أن: "القيم الأخلاقية هي الفاعلة بدلاً من البشر، والدرس الأعظم المُستقَى هو أن الخرافة والتعصب والاعتقاد الديني كانت جميعها لعنة لعقلاني عصر التنوير..."، وصولاً إلى مؤرخي الاتجاه الرومنسي الذين نظروا للتاريخ أنه "مثير"، وأنه: "يشكل الأساس الوحيد الممكن لذلك النوع من الاستقرار السياسي الذي مزقته بفظاظة الثورة الفرنسية..."، ليتوسع بعد ذلك في مدرسة ليوبولد فون رانكه (١٧٩٥-١٨٨٦م) فهو "عالم جعل منه عمره الطويل وإنتاجيته غير العادية شيئاً يشبه الأسطورة، رانكه، الذي ألف أكثر من ستين مجلداً، بما فيها تواريخ متعدّدة الأجزاء عن البابوات، وعن ألمانيا في عهد الإصلاح، وعن الأمم اللاتينية والجرمانية وبدأ بكتابة تاريخ العالم...".

وتحدث عن إسهام رانكه في البحث العلمي التاريخي من ثلاثة أوجه الأول: أنه ساعد في جعل التاريخ حقلاً معرفياً منفصلاً مستقلاً عن الفلسفة والأدب، والثاني: أنه لا يمكن الحكم على الماضي بمعايير الحاضر بل يجب أن يرى الماضي وفق شروطه الخاصة، والثالث: أن رانكه أدخل إلى دراسة التاريخ الحديث الطرق التي كان طورها قبله علماء فقه اللغة في دراسة أدب العصور الوسطى والتأكد من صحة النصوص، وهل هي: أصلية أم محرفة بإضافات ودس لاحق، وما إذا كان قد كتبها المؤلف الذي يفترض أنه كتبها أو أي أناس أو أي النسخ المتاحة هي الأكثر موثوقية.

كما تطرق للجدل الذي دار في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين عن علمية التاريخ، والتشكيك فيها، فمع غزارة المصادر وتنوعها كلما اقتربنا من التاريخ المعاصر، من: وثائق حكومية، ووثائق الشركات، والصحافة، والأفلام، وغيرها؛ وبالتالي أدى إلى تنوع مجالات الكتابة، وتوسع المعرفة التاريخية، ظهر أيضًا اخفاق كثير من "مؤيدي مقارنة علمية التاريخ في تطبيق ما يدعون إليه"، ومنهم رانكه نفسه الذي "لم يكن رانكيًا بما فيه الكفاية للجيل القادم ... فقد كانت مصادره عن مدينة البندقية منحازة وانتقائية وضيقة واستخدم قليلًا جدًا من المواد الأرشيفية"، وختم بمقولة ... "إن الكتابة التاريخية مثل أن تشرب محيطًا وتبول ملء كأس ويبدو أن رانكه فعل العكس".

الفصل الثاني: التاريخ والعلم والأخلاق

كان الفصل الثاني بعنوان "التاريخ والعلم والأخلاق" تتبع فيه إيفانز الجدل الدائر حول مدى علمية التاريخ -مقارنة بالعلوم الطبيعية- بين المثبتين والنافين لهذه العلمية، مبتدئًا بتوضيح اللبس الواقع في مفهوم علمية التاريخ بين المدرسة الألمانية الذي عرفت "geschichtswissenschaft" بأنه: "جانبًا من الدراسة المنظّمة للروح الإنسانية"، ولذلك لا إشكال في هذه المدرسة في علمية التاريخ، إلا أنه عند ترجمته إلى الإنجليزية وضعت صحة إجراءات المؤرخ، ونتائجه في مقارنة مع العلوم الأخرى، ثم عدد الأسباب على عدم علمية التاريخ عند النافين لها، أبرزها: غياب التراكمية في هذه الدراسات التاريخية، وأنه من

الضروري أن يتضمن دراسة الظواهر التاريخية حكماً أخلاقياً على أحداث مضت، وهذا فيه ذاتية واضحة، كما أنه لا يمكن تجريبياً تكرار استنتاجات المؤرخين، وأن العلم الحقيقي يمكن فقط أن يكون قادراً على وضع قوانين عامة يمكن تطبيقها على التاريخ باطراد؛ واستعرض إيفانز من حاولوا وضع قوانين للتاريخ وأبرزهم أرنولد تونبي ووجه نقداً مطولاً لنظريته، وتعميمات، كما أن العلم الحقيقي هو العلم الذي يمكن من خلاله التنبؤ بالمستقبل، فهل في التاريخ هذه الخاصية؟

أجاب إيفانز: أن التاريخ يُكتب بأثر رجعي. لذلك فإن قلة قليلة من دروسه كانت مناسبة، إلا أنه "أثبت مرة تلو أخرى أنه متنبئ فاشل جداً بأحداث المستقبل لأنه لا يكرر نفسه أبداً"، فلا شيء في المجتمع الإنساني يحدث مرتين أبداً تحت الظروف نفسها أو بالطريقة نفسها، وإنه وعندما يحاول الناس استخدام التاريخ فإنهم غالباً ما يفعلون ذلك لتجنب ما لا مناص منه؛ لا لتكييف ذواتهم معه، و"إن التاريخ لا يمكن المرء من التنبؤ بالثورات أيّاً كان تعريفها، فمثلاً أخفق المؤرخون بوضوح في التنبؤ بسقوط جدار برلين وانهار الاتحاد السوفيتي..."، إلا أنه من جانب آخر يستطيع التاريخ أن ينتج تعميمات يمكن من خلالها تحديد أنماط، وتوجهات، وبُنى في الماضي الإنساني يمكن عدّ التاريخ من خلالها علماً قانونياً، لكن التاريخ لا يمكن له أن يبتدع قوانين ذات قدرة قوية على التنبؤ بالمستقبل، فقد يساعد فهم الماضي في دراسة الحاضر إلى الحد الذي يوسع معرفتنا بالطبيعة الإنسانية، ويمدنا بإلهام أو تحذير أو يوحى بحجج معقولة، وإن كانت دائماً عرضة للخطأ.

تطرق إيفانز للفرق بين الأدب (الرواية، الشعر، القصة، الفن...) والتاريخ وأشار إلى أن المؤرخين يجادلون في أن حقلهم المعرفي يتطلب تدريباً احترافياً وعلمياً دقيقاً بينما الفن والأدب يحتاج مواهب تكتسب بالتعلم، وليس بالتدريب؛ ويورد رأي جيفري إلتون أن المؤرخين يتعلمون ويتدربون على التفاصيل التقنية للوثائق التي يستخدمونها ومعنى لغة المعاصرين للأحداث، وكيف يستخدمونها "وطبيعة المؤسسات التي أنتجتها وتقاليدها"، ثم ذكر النظريات والتقنيات التي تعتبر مبادئ المدرسة الرانكية: من استيعاب آليات نقد

المصادر، والاقباس، ومعرفة العلوم المساعدة مثل اللغات، والكتابة القديمة والإحصاء وما إلى ذلك ويجب عليهم أن يقرؤوا ويستوعبوا قدرًا كبيرًا من المادة القائمة على القرائن وإتقان بالآداب الثانوية ذات العلاقة بموضوعاتهم.

عرض إيفانز لرأي هايدن وايت صاحب نظرية المنعطف اللغوي الذي يمثل نقطة تحول جذرية في دراسة التاريخ، حيث يؤكد وايت أن اللغة والسرد ليسا مجرد أدوات محايدة، بل هما أساس في تشكيل المعنى وفي تفسير التاريخ، ويرى: "أن التاريخ ليس بعلم يستخدم لغات تقنية وجدليات افتراضية استنتاجية محكومة بطرق تجريبية وإجراءات مخبرية مقننة نسبيًا يتفق عليها الممارسون في الحقل المعرفي المعني ولكنه بالأحرى حقل معرفي لحرفة ما، وهو ما يعني أنه يميل إلى أن يحكم بالعرف والعادة أكثر منه بالمنهجية والنظرية، وأن يستخدم لغة عادية أو طبيعية"، هي أنه لا يملك لغة تقنية خاصة به كعلم الميكروبات أو علم المناخ مثلاً، وأسهب في تتبع الآراء القائلة بأهمية اللغة في تقوية حجج المؤرخ، واستخدامه للمجاز، والخيال أحيانًا عند تشابه الأحداث، مثل أحداث الثورة الفرنسية ١٧٨٩م، وأحداث الثورة الروسية ١٩١٧م، واستخدام منهج أدبي معروف، وهو منهج تحليل الخطاب في التاريخ، وأن المؤرخين سباقين إلى تفكيك النصوص، ووضعها في سياقاتها العديدة والمختلفة.

ويخلص في النهاية هذا الفصل إلى القول أن في التاريخ تنوعًا في المناهج والإجراءات أكبر بكثير مما هو متاح عادة في الكتب عن المنطق، وعن المنهج العلمي، وأن التاريخ: "جسم منظم من المعرفة يُحصَل عليه بالبحث الذي يجري وفق مناهج مُتَّفَق عليها عمومًا، وتقدَّم في تقارير منشورة، وهي عُرضة لمراجعة زملاء المهنة". والتاريخ -من وجهة نظر إيفانز- ليس بعلم بالمعنى القوي بحيث يمكنه أن يضع قوانين عامة أو يتنبأ بالمستقبل، مثله مثل علوم أخرى كالجيولوجيا، وعلم الفلك، لا تستطيع التنبؤ بالمستقبل.

الفصل الثالث: المؤرخون وحقائقهم

انطلق إيفانز في تعريف الحقيقة التاريخية من رؤية من المدرسة الرانكية للحقيقة التاريخية متمثلة في رأي جيفري إيلتون بأن الحقيقة التاريخية: "هي شيء حدث في الماضي

وترك آثاراً في الوثائق يمكن للمؤرخ أن يستخدمها لإعادة بناء هذا الشيء في الحاضر". وأن نجاح المؤرخ في عمله يعتمد على خلو ذهنه من التحليلات، وأفكاره المسبقة، ويتعامل مع الوثائق بذهن منفتح، كما يرى أيضاً أن النظرية الأيدولوجية تُحل بعمل المؤرخ "من خلال عرضه لمخططات تفسيرية مُقرّة سلفاً ومن ثمّ إرغامه على تفصيل أدلته؛ لتناسب ما يسمى أنموذجاً فرض من الخارج"، وهذه المدرسة ترى أنه يجب قراءة ما تركه لنا الماضي ضمن حدود اليوم الذي أنتجه وأن الحاضر يجب أن يبقى خارج الماضي؛ إذا أريد للبحث عن حقيقة ذلك الماضي أن ينجح، وألا تُصاغ أسئلة المؤرخ من خلال نظرية حالية بل من المصادر التاريخية نفسها.

وهذا التصور للحقيقة التاريخية لا يتفق معه أحد أهم أقطاب هذه المدرسة وهو إدوارد كار الذي يرى أن الحقيقة التاريخية لا تصبح حقيقة إلا عندما يقبلها المؤرخون، ومن ثم فالحقائق التاريخية تتشكل عبر النظرية والتفسير ولا تتشكل مستقلة، وهذا تطور في هذه المدرسة في الأخذ بالنظريات، في تفسير التاريخ، ويزيد إيفانز الأمر توضيحاً عندما رأى أن الحقيقة التاريخية شيء حدث في الماضي ويمكن التحقق منه من خلال آثار تركها التاريخ بعده، سواء قام المؤرخ بعملية التحقق فعلياً أم لا فهذا لا علاقة له بواقعية الحقيقة التاريخية فهي مستقلة عنه تماماً، وأن هذا السبب الذي يجعل المؤرخين عموماً يتحدثون عن اكتشاف حقائق عن الماضي، وحيثما تلتقي النظرية والتفسير تتحول الحقائق إلى دليل المؤرخ في دعم مجادلته، وفرضيته، وبذلك تؤدي النظرية والتفسير دور تأسيسياً في الكتابة التاريخية، والمؤرخ هنا لا يهتم بالحقائق المنفصلة وإنما يهتم بما يعرف بـ "الترابط" بين هذه الحقائق، فهذه "الحقائق تسبق التفسير من الناحية النظرية، في حين أن التفسير يسبق الدليل"، ومن هذا المنظور فهو يرى أنه من الخطأ أن يبدأ عمل المؤرخ من الأرشيف، "إنه يبدأ قبل ذلك بكثير، يصوغ المؤرخ الأطروحة (الفرضية)، وينطلق يبحث عن الدليل، ويكشف الحقائق".

رصد إيفانز مفهوم الحقيقة التاريخية عند منظري فلسفة التاريخ والمشتغلين بها "بعد الحداثة"، والمهتمين بـ "لغة الخطاب"، و"النسبية"، وتأكيد ذاتية المؤرخ، ودور اللغة والثقافة

في تشكيل الفهم التاريخي. مثل: وايت هايدن، ونانسي بارتنر، ودومينيك لاكابر، وكاتريونا كيلي وغيرهم، في التفريق بين الحقائق التاريخية والأحداث، وفي تفكيك مفهوم الحقيقة التاريخية، ومفهوم الوثيقة، ودور النظريات في السماح للمؤرخ بقراءة مواده المصدرية (وثائق، ...) بطرق متقاطعة ومتعارضة مع أهداف الذين كتبوها وبذلك تصبح المصادر متنوعة الأغراض متعددة.

وصف إيفانز في نهاية الفصل وضع الكتابة التاريخية في ظل نظرية/ فلسفة "ما بعد الحداثة" بقوله: "تختفي الحقيقة التاريخية من المشهد بشكل أو بآخر في عموم هذه النظرية ويتنفي التمييز بين المصادر الأولية والمصادر الثانوية التي يقوم عليها البحث التاريخي ويصبح المؤرخون هدفًا للنقد والتحليل الأدبي مثل غيرهم من المؤلفين، وتتشظى الحدود بين التاريخ والخيال، وينمحي الخط الفاصل بين التاريخ والتأريخ، وبين الكتابة التاريخية والنظرية التاريخية: أيا كانت الفرص التي تقدمها طريقة التفكير هذه للتاريخ بوصفه حقلاً معرفياً فلا شك في النية العدائية لكثير من أولئك الذين طوروها".

الفصل الرابع: مصادر وخطابات

عرض الكتاب في البدء رؤية فلسفة/ نظرية "ما بعد الحداثة" للقيمة العلمية لمصادر المؤرخ، التي ترى أن المؤرخ يستطيع صياغة تفسيرات للماضي عند إدراكه أن النص التاريخي (الوثيقة، ...) يملك معانٍ غير متناهية، وأنه يجب ألا ينظر إلى مصادره على إنها تملك معنى كاملاً محدد، وغير قابل للتغيير كما قدمه مؤلفه، وأن للنص معاني متعددة مستقلة عن مقاصد المؤلف. ولا يتفق إيفانز مع هذه الرؤية ولكنه يؤكد على أن المؤرخ متنبه لمثل هذه المعاني المضمرّة والخفية في نصوص بعض الوثائق التاريخية؛ ويضرب مثلاً على ذلك بالرسائل الدبلوماسية وأن ما يقال في الوثائق ليست كل الحقيقة، وهناك مثلاً عملياً في الرسائل المتبادلة بين دبلوماسية الولايات المتحدة، ووزارة الخارجية الإسبانية خلال الحرب بينهما أواخر القرن التاسع عشر؛ وأن هذه الوثائق لا تعكس تماماً حقيقة الأوضاع على الأرض،

وأن المؤرخ يستطيع التفريق وقراءة السياقات التي تقدر صحة المعلومات الواردة في هذه الوثائق.

ويشير إلى زعم نقاد "ما بعد الحداثة" من أن المؤرخين يتبنون مواقف كلية للمعرفة "ويستخدمون لغة البحث العلمي ليروجوا للقراء بأن المعرفة التي ينقلونها إليهم محايدة وموضوعية ومستمدة من مصدر مميز وليست مرتبطة بأهداف المؤلف (المؤرخ نفسه)؛ لذلك فهم يدعون أنهم نجحوا في تنبيه جمهور غافل؛ إضافة إلى نظرائهم من المؤرخين إلى كيفية دخول المنظورات المختلفة للمؤرخين في كتبهم". ورد إيفانز على هذا القول بأن القراء لا يقبلون كل ما يكتبه المؤرخ بسذاجة، وأن هناك مراجعات ونقد، وأنه من الصحيح أن القراء ينقلون إلى التاريخ افتراضاتهم ومعتقداتهم وأهدافهم الخاصة، ومربط الفرس على أي حال هو أن هذه الأمور لا تشكل قراءتهم الشاملة للكتاب أكثر مما تفعل نوايا المؤلف، والقراءة تفاعل بين القارئ والكاتب، كما أن كتابة التاريخ تفاعلاً بين المؤرخ والوثائق، والمؤرخون عموماً لا يكتبون كما لو أن كل شيء يقولونه صحيح تماماً عكس على ذلك تؤكد اللغة التقليدية للمؤرخين دائماً أهمية تفصيل المستويات المتفاوتة لليقين أو الاحتمالية المرتبطة بها يقولونه بكلمات مثل: "على الأرجح"، "ربما"، والمؤرخ الحذر يسخر مجموعة متنوعة كبيرة من الأدوات الأسلوبية لتوضيح القوة أو الضعف النسبي في الحجة التي يقدمها وأيضاً لتوضيح ما إذا كانت الاستنتاجات التي توصل إليها مبدئية أو غير ذلك؛ لكي لا يقع في أحكام متسرعة؛ "فالمؤرخ عادة يجعل أفكاره المسبقة وأهدافه الذاتية صريحة، يزدودوا القراء بالمعرفة ليقرأوا كتبهم في مقابل مقاصدهم الخاصة".

وأشار إلى أن أنصار "ما بعد الحداثة" يقعون في تناقض عندما يجادلون بأن "كل النصوص في الأساس واحدة، وأنه لا فرق مثلاً بين مصدر ومرجع"، وأن العبرة في الدلالة اللفظية، وهذا أضعف قيمة المصادر، وتقدير التفاوت في أهميتها، وهذا يجعل من هذه المصادر "نصوص" تخدم أيولوجية الكاتب أكثر منها مصادر تعكس حقيقة ما حدث، وضرب مثلاً بقضية المؤرخ الأمريكي اليساري ديفيد أبراهام الذي نشرت جامعة برنستون

رسائله للدكتورة عن "جمهورية الفايمار" عام ١٩٨١م، وحرف فيها وثيقة ليثبت فيها أن قطاع الصناعة الرأسمالي في ألمانيا داعم للنازية، وبعد كشف هذا الخطأ كان له ردود فعل واسعة، وأدى إلى مراجعات في صفوف أنصار "ما بعد الحداثة" وأبرزهم هايدن وايت، وعلق إيفانز على ذلك: "وجهة نظري الخاصة هي عن إبراهيم لم يعتمد تزييف الأدلة لكنه لم يكن مبالياً بها إلى حد كبير، وأكثر مما هو مسموح به في عمل بحثي علمي تاريخي جاد أو في أي عمل تاريخي، وأنه صار على أدلة المجموعة في بطاقات بحثية لا شعوريا لكي تناسب التفسير الذي وضعه مقدما...".

الفصل الخامس: السببية في التاريخ

عرض المؤلف في بداية الفصل لقول كار من أن دراسة التاريخ هي: "دراسة للأسباب"، وأنه يجب على المؤرخين أن يبحثوا عن الأسباب المتنوعة لأي حدث تاريخي، ويكشفوا علاقة بعضها ببعض إن وجدت، ويرتبوها بحسب تسلسل أهميتها، وعدم الالتفات لقول بأن أحداث التاريخ "محكومة بالصدفة، والحادثة، والغموض، وأن الأفراد مستقلون بذواتهم وأنهم ذوو إرادة حرة غير مقيدة؛ وبذلك فهم مسؤولون أخلاقياً عما يقومون به"، ويؤكد على حقيقة أن الأسباب لا تتعارض مع المسؤولية عن الأفعال، وأن هناك أسباب رئيسية، تكون عوامل مستقلة، وهناك أسباب عرضية، أو عوامل عرضية لهذه الأحداث.

يشير الكتاب في هذه الفصل أيضاً إلى أن السياسي والمصلح الاجتماعي يهتم ويستشهد بالأسباب الرئيسية في الأحداث التاريخية ولا يهتم بالأسباب العرضية وذلك نابع من اهتمامه بالاستفادة من التاريخ في "فهم الحاضر وتشكيل المستقبل"، في حين أن المؤرخ يهتم بالأسباب الرئيسية والأسباب العرضية لأنه يهدف إلى فهم الماضي. ويبرز هنا قضية أساسية وهي علاقة التاريخ بالحاضر وتشكيل المستقبل ففي حين يرى اتجاه في المدرسة التوثيقية أو الوضعانية أن دراسة أسباب أحداث التاريخ هي لفهم الماضي؛ ولذلك فالمؤرخون: "...مهتمون بمسببات الأحداث بقدر اهتمامهم بما تقرره الأحداث وما تعنيه النتائج، غالباً

أكثر أهمية من الأسباب، فكلمة "لماذا" هي أبعد من أن تكون التساؤل الوحيد الذي يسأله المؤرخون ... يستطيع المؤرخون "تفسير" حدث ما عبر وضعه ضمن سياق ما، بمعنى المجادلة أنه جزء من هذه الحركة وليس تلك، ويتتمي لمرحلة أو توجه وليس لآخر".

وبما أن السببية هي في الواقع محاولة تفسير للنشاط الإنساني ولأحداث التاريخ أشار المؤلف إلى تفسير التاريخ في العصور الوسطى بعامل واحد وهو الغيبات: "... الفعل الإنساني محكوم بقدر الله أو بإلهام شيطاني ..."، وبأعمال السحر، والشعوذة، بصفتها عوامل تفسيرية، فيما في العصر الحديث تعددت النماذج التفسيرية، وأصبح تفسير الأحداث يرتبط بالنظريات، يقول إيفانز "... مع الإقرار بأنه يجب أن يكون لدى المؤرخ من البداية نظرية أساسية ما لكيفية حدوث الحوادث وأسبابها وفكرة أصيلة دافع والسلوك الإنساني..."

يجادل أنصار "ما بعد الحداثة" أن تفسيرات المؤرخين التي يقدمونها "لا تتبع من الحقائق نفسها ولكن المؤرخين أنفسهم يضعونها ... ويكون لها صلاحية زمنية وموضوعية محددة"، ثم تتجاوز بتفسيرات أخرى. وأن مفهوم السببية التاريخية نفسها الذي تعتبرها مجرد عنصر "تشكّل اعتبارياً للتاريخ ..."، كما انتقد أنصار هذه الفلسفة مفهوم الزمن التاريخي، وتقسيماته التي يستخدمها المؤرخون، فهو لا يعدو أن يكون نتاج الحضارة الغربية ووسيلة من وسائل هيمنتها على العالم، فالتحقيق التاريخي أوروبي، والتاريخ الميلادي الأوروبي هو السائد، وعشوائية استخدامهم للزمن لبداية الأحداث التاريخية ونهايتها في رصد الحقائق المنفردة من خلال عدد كبير من السياقات، وغير متناهي من المنظورات، مما يجعل هذه الحقائق في مكان غير مكانها الطبيعي "فلم تعد الحقيقة التاريخية تأتي مضمّنة في الترتيب الطبيعي للأشياء ولم تعد مغروسة في العظم - إن جاز التعبير - فما الذي سيحدث لأمل المؤرخ في الحصول على تفسيرات ثابتة وموثوقة وموضوعية للماضي؟".

الفصل السادس: المجتمع والفرد

تناول المؤلف في هذا الفصل طبيعة الدراسات التاريخية التي هيمنت على هذا المجال من المعرفة في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، وفق المدرسة

الوضعانية وهي الاهتمام بتاريخ الفرد من خلال التاريخ السياسي والعسكري والدبلوماسي، وتاريخ الرجال العظماء الذين صنعوا التاريخ، "... الذين كان ينظر إليهم على أنهم أفراد مستقلون أخلاقياً وسياسياً، وأظهرت قراراتهم في المقام الأول خصوصيات شخصياتهم الذاتية بدلا من قوة أعظم من أي نوع..."، وأهمية ذلك في نشأة الدولة القومية، وهنا اقتصر التاريخ على النخبة السياسية ورفض أفكار الغالبية العظمى من الناس وأفعالهم في الماضي على أساس إنها عرضية وغير مهمة وجاءت مقولات أن الجماهير دخلت التاريخ كاملاً بمعنى، وهكذا فمن الواضح أنه يعتقد أن تاريخ الناس العاديين لم يكن يستحق الدراسة.

ومع بدايات ستينات القرن العشرين ظهرت مجالات جديدة في الكتابة التاريخية في تاريخ المجتمعات، من نواح عديدة، فظهرت عناوين، ومجالات. مثل: التاريخ الاجتماعي، والتاريخ الكمي، والتاريخ المصغر، والتاريخ الحضاري، وتاريخ المرأة، وتاريخ السود...، وأصبح كُتَّاب التاريخ السياسي اليوم أقلية في كثير من الجامعات، وأشار إلى تطور مفهوم التاريخ الاجتماعي منذ القرن التاسع عشر إلى سبعينات وثمانينات القرن العشرين من "التاريخ الاجتماعي" إلى "المسألة الاجتماعية" تناول فيها طبقة العمال الصناعيين والحركة الاجتماعية والثورة الاجتماعية التاريخية التنظيمي والعقائد إلى الحركات العمالية وصولاً إلى مفهوم "تاريخ المجتمع" ليشمل: الحركات الطلابية والحقوق المدنية، وتناول تاريخ المؤسسات الاجتماعية مثل: العائلة، والأندية، والجمعيات، وهيئات الترفيه، وهناك دراسات للبنية الاجتماعية في البلدات والقرى، وفي علم السكان والحركات السكانية في أجيال الرجال والنساء وعن الطفولة والشيخوخة وفي الطقوس الاجتماعية والعادات والمعتقدات وغير ذلك، وتضاعفت الرسائل العلمية في الجامعات الأمريكية في التاريخ الاجتماعي إلى أربعة أضعاف، واتسعت عضوية الجمعيات التاريخية إلى آلاف الأعضاء بعد أن كانوا بال عشرات والمئات في الخمسينات القرن العشرين، ومع أن هذا الاتجاه يميل إلى اليسار؛ إلا أنها "... ماركسية بلا عقيدة، ومتحررة من الأفكار الراسية السابقة في التقاليد الشيوعية".

وأشار المؤلف إلى تأثير مدرسة الحوليات الفرنسية قائلاً: "... إن لمدرسة الحوليات تأثيراً عظيماً في البحث العلمي في إنجلترا وأمريكا في حين حقق عمل المؤرخين الماركسيين البريطانيين أثراً دولياً مشابهاً"، وبتوسع مجالات علم التاريخ تنوعت المناهج المتبعة، فأعيد توجيه التاريخ إلى دراسته على أساس بنيوي أو كمي عند مؤرخي التاريخ الاقتصادي وعدوه المنهج العلمي الحقيقي الوحيد والموثوق لدراسة الماضي. فيما يرى المؤرخون الاجتماعيون أن التاريخ الاجتماعي هو المقاربة الوحيدة التي تجمع بين الإثارة الفكرية والتأصيل البحثي. أما الباحثون في التاريخ الفكري، أصحاب نظرية "الانعطاف اللغوي" فيرون أن العالم كله نص؛ "ويريدون أن يجعلوا من جميع مؤرخين فكريين لأن النص كل ما يمكن أن يكون ذا معنى يُدرّس"، ويسعى إلى إزاحة المجتمع والاقتصاد بوصفهما محركات التاريخ وإعادة إحلال السياسة والدولة، وتصبح الأفكار والمؤسسات مركزية بدلاً من البنى والأنساق الاجتماعية والاقتصاد، والتركيز على الكلمات ومدلولاتها دون الاهتمام بسياقاتها التاريخية.

أبرز إيفانز في آخر هذا الفصل اهتمام مؤرخي "ما بعد الحداثة" بالفرد ورد الاعتبار له -وعدها نظرة إيجابية - والأفراد عند اتباع هذه الفلسفة ليسوا الأبطال كما هو متعارف عليه في التاريخ السياسي، وإنما الأفراد من عامة الناس، وأشار إلى أن التاريخ الاجتماعي وسطوته أضاعت شخصية الفرد في الجماعة، إلى أن اعتنى به أنصار "ما بعد الحداثة" الذين تناولوا الأفراد المهمشين في المجتمعات واستطاعت أن تطبق المقولة الماثورة لماركس: "... إن الناس يصنعون تاريخهم الخاص ولكنهم لا يصنعونها تحت ظروف يختارونها بأنفسهم"، ذلك أن ما يجعل دراسة الناس في الماضي مائعة هي دقة التفاعل بين الفرد والظروف المحيطة به، وأضاف مثلياً إن: "عودة تاريخ ما بعد الحداثة إلى الفرد وإلى العنصر الإنساني في التاريخ عند كل مستوى يعدّل التوازن وهي مكسب كامل بهذا الاتجاه"، مشيراً أن التاريخ بهذا المعنى أصبح حقلاً متعدد الثقافات تتصارع فيه المجموعات المختلفة من أجل السيادة الفكرية في سوق الأفكار والحوارات ومناهج التاريخ الجامعية.

الفصل السابع: المعرفة والقوة

يشير المؤلف في هذا الفصل إلى أي مدى يصبح التاريخ أو المعرفة التاريخية مصدر قوة للأمم، وهو هنا يشير إلى الغاية من دراسة التاريخ بصورة عامة، وبما أن غالبية مؤرخي المدرسة الوضعية تدرس التاريخ للمعرفة، كما يشير إيلتون بقوله: "... إن ما هو مهم في التدريب التاريخي هو تعلم مناهج البحث التاريخي، أما الموضوع التاريخي الذي تطبق عليه هذه المناهج فهو ذو أهمية ثانوية"؛ لأنه يرى أنه ما من موضوع تاريخي من أي نوع يمكن أن يحمل أي نوع من الاهتمام أو الأهمية لتعليم الحاضر، وقد واجه هذا الرأي انتقادات حادة، وعُزي السبب الأساس لرغبة إيلتون في التأكيد على الأسلوب لا على المضمون هو "الخوف من أن الدراسة التاريخية قد تمتلك القوة لتغييرنا وأن تساعدنا على التفكير بكفاءة أكبر في مجتمعنا وحاجته المحتملة إلى الإصلاح".

وأشار إيفانز إلى أن مدرسة الحوليات لا تتفق مع هذه النظرة وأنها تجعل التاريخ فاعلاً في الحياة؛ وضرب مثلاً بأعمال المؤرخ الفرنسي بروديل وأنه عندما كتب أعظم إبداعاته وهو كتاب "المتوسط والعالم المتوسطي في عصر فيليب الثاني" وكان معتقلاً في معسكر ألماني لسجناء الحرب أنه كتب هذا الكتاب "من أجل استعادة بعض البنى العميقة للتاريخ والهوية الفرنسيتين التي كان يأمل ويعتقد أنها نجت بعد هزيمة فرنسا على يد الألمان عام ١٩٤٠م"، ثم أعاد بروديل هذه النظرة قبل وفاته في كتابه "هوية فرنسا" وهو نصّ كُتب بحسّ قومي وطني وجادلت دراسة بروديل بأن "فرنسا وحدودها لم تتغير جوهرياً منذ القرن الثالث عشر وصرحت بأن الدم الفرنسي لم يمتزج منذ ما قبل التاريخ".

ولذلك ينظر إلى التاريخ أن له غاية وإلهام؛ قد تكون هذه الغاية أخلاقية أو سياسية أو أيديولوجية؛ ويبرز هنا سؤال: إلى أي مدى تغدو هذه الغايات الأساسية وهل هذه هي حقيقة التاريخ في نهاية الأمر؟

ارتبطت المعرفة تاريخية التي يكتسبها المؤرخ بمنحه أو من يمثله في الحاضر "سلطة". وهذه نظرة أنصار "ما بعد الحداثة"، لوظيفة هذه المعرفة، ويرى إيفانز أنها مستقاة من

كتابات الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو الذي رأى أن "الحقيقة والمعرفة ليستا منتجات للإدراك بل للسلطة وأنها ليست نتائج فكر الفرد ولكنها منتجات أيديولوجية للخطاب المسيطر"، وأن التاريخ هو نظام سرد مفروض على فوضى أحداث غير قابلة للاختزال لمصلحة ممارسة السلطة، وأنه إذا كانت إحدى الصيغ عن الماضي تجد قبولاً أكثر من غيرها فليس هذا لأنها أقرب إلى "الحقيقة" أو تتوافق مع "الدليل" بل لأن لدى مناصريها من محترفي التاريخ، أو من المجتمع عموماً القوة أو السلطة أكثر من ناقدتها.

ويبرز المؤلف هنا سؤالاً هل المؤرخون منخرطون في تقديم مسوغات للأشياء كما هي بما في ذلك المحافظة على مواقعهم الأكاديمية؟ يجيب أنصار "ما بعد الحداثة" أن ذلك صحيح لأن التاريخ نظرية والنظرية مؤجلة والأيدولوجيا هي مجرد مصالح مادية، فالتواريخ الأكاديمية هي في النهاية تعبيرات تُبين كيف أن الأيدولوجيات المهيمنة تصنع التاريخ، وأن مهمة الجامعات الوطنية الأساسية "إنتاج التشكيل الاجتماعي المستمر"، وهي بذلك في مقدمة الوصاية الثقافية، والسيطرة الأيدولوجية وسيكون نوعاً من العبث ألا تكون كذلك.

ويختتم المؤلف الفصل بالتأكيد أن الالتزام السياسي يعد مصدراً للكثير من التواريخ وسيستمر في تأثيره القوي على المؤرخين في المستقبل، لكن لا يمكن للتاريخ أن يقدم معرفة مقنعة للتمكين الاجتماعي والسياسي في زمنه الحاضر؛ إلا مقارنة نقدية ذاتية ودقيقة للدليل، ويكون مستعداً لنبد الأفكار السياسية التي ثبت أنها غير صحيحة، دون تشويه أو تلاعب بحقائق التاريخ، مشيراً إلى رأي روجر شارتييه الذي أكد فيه أن على التاريخ أن يقاوم "البنى الأسطورية للماضي، المحكومة باحتياجات الجماعات المتخيلة أو الحقيقية قومية أو غيرها التي تُنتج أو تقبل سرديات تاريخية، لتناسب رغباتهم وتوقعاتهم".

مؤكدًا على أن المؤرخين يتأثرون شعورياً أو لا شعورياً بالغايات الأخلاقية والسياسية لحاضرهم، عند كتابة أعمالهم، ذلك أن الأمر لا يتعلق بصحة هذه الغايات أو استحبابها، بل بالمدى الذي تتوافق فيه مجادلاتهم التاريخية مع قواعد الدليل التاريخي والحقائق التي تقوم

عليها المجادلات، وبناء عليها يتفقون أو لا يتفقون، يخلص إلى التأكيد على أنه عند تخلينا عن السعي نحو الحقيقة التاريخية "... فإننا نترك الحقل مفتوحاً لكل أشكال التزييف، ولكل المزورين الذين يخونون المعرفة ثم يؤذون الذاكرة".

الفصل الثامن: الموضوعية وحدودها

قدم المؤلف رؤية إدوارد كار عن مفهوم الموضوعية التي تعطي وزناً متساوياً بين البحث التاريخي والتفسير التاريخي، فهو يرى أن المؤرخ يبدأ باختيارات مشروطة للحقائق، وكذا تفسيرات مشروطة أيضاً من قبل المؤرخ نفسه، ومن قبل آخرين، ثم يخضع هذه التفسيرات والاختيار للحقائق وترتيبها لتغيرات دقيقة من خلال تأثير متبادل من أحدهم، ويخلص إلى القول أن "التاريخ حوار لا ينتهي بين الحاضر والماضي"، وهذه النظرة جاءت من إيمانه بفلسفة "التقدم".

وعندما يصف كار "المؤرخ" بالموضوعي فهو يقصد شيئين، أولهما: أن يكون لديه "القدرة ليرتقي فوق الرؤية المحدودة لوضعه الخاص في المجتمع وفي التاريخ، والآخر: أن لديه القدرة على وضع خطط لرؤيته إلى المستقبل رؤية مستبصرة أكثر عمقاً وأكثر استمرارية إلى الماضي..."، فهو يؤمن مثل ليوبولد فون رانكه أن التاريخ مختلف عن تدوين التاريخ لأنه يحاول أن يستوعب كيف تكونت الحقائق التاريخية المنفصلة مترابطة؛ لكنه بعكسه إذ يعتقد إن التاريخ له غاية أو بتعبير أكثر أن التاريخ هو تاريخ إذا ارتبط فقط بما وراء السرد، وعلى المؤرخ ألا يجد الموضوعية استناداً إلى معيار خارج التاريخ، من خلال "تجنب أي تعميمات واسعة، أو التمسك بسرد مجرد للحقائق بل يجده من خلال البحث عن معنى أوسع داخل التاريخ نفسه، تاريخ مستمر ينتقل من الماضي عبر الحاضر إلى المستقبل"، كما أوصى المؤرخين أن: "أدرسوا المؤرخ قبل أن تدرسوا الحقائق"، وقد استعرض عدداً من نصوص كار التي تخالف تنظيره في دراسته السوفيتية إلى أن قال: "إن إدوارد هالت كار كان ستاليناً في الأساس..."

كما استعرض رؤية جيفري إلتون عن مفهوم الموضوعية وفق رؤيته المحافظة، إذ يرى أن دراسة التاريخ تكون كما وقع في الماضي، بحيث يصبح الهدف من التاريخ فهم الماضي؛ "وإن كان للماضي أن يُفهم فيجب أن نعطيه احترامًا كاملاً لذاته. أحداث الماضي وقعت، والناس عاشوا، وماتوا سواء كان المؤرخون مهتمين بالكتابة عنهم أم لا. كان لهم واقع مستقل. عمل المؤرخ هو أن يكشفهم ويحللهم من خلال دراسة آثارا دلالية تركوها خلفهم". إذن فالموضوعية عند إيلتون هي مسألة قراءة الوثائق دون تحيز، واستخدامها لإعادة بناء الماضي وفق شروط الماضي نفسه، وهذه الرؤية عند إيلتون ناتجة عن اتجاهه المحافظ، انجذابه لمبدأ "حكومة النظام والقوة" التي كانت أوروبا تفتقر إليها كثيرًا في سني حياته المبكرة.

مسألة الموضوعية عند أنصار ما بعد الحداثة تنطلق من منظورين لهذه الفلسفة؛ الأول: النسبية المطلقة، والثاني: رؤيتهم لأنفسهم أنهم متمون إلى اليسار السياسي وهذه الرؤية تقودهم إلى القول بتحرير التاريخ من الأصناف المقيدة للحقيقة الموضوعية وأن هذا سيجعل التاريخ أكثر ديمقراطية وشكًا وتسامح وقبولًا من المؤرخ للأفكار المخالفة، "ويجب عليه تحدي الأفكار الراسخة للسلطة في المجتمع المعاصر من خلال رفض "ترتيب" الماضي عبر عزو الجذور والأسباب مع الادعاء بالوصول في نهاية الأمر إلى الحقيقة الصادقة".

أشار إيفانز إلى أن في داخل تيار "ما بعد الحداثة" مؤرخون محافظون بشدة في مواقفهم السياسية وفي مقاربتهم للماضي ومنهم مثلاً ديفيد هارلان الذي طالب باستعادة التاريخ بوصفه "صيغة التربية الأخلاقية"، ودعا المؤرخين أن يركزوا على ما هو "خير في التاريخ الأمريكي ومع ما هم متجانسون معه كلية وما يستحق الإصرار عليه وحفاظه"، وهذا الاتجاه المحافظ ضد وجهات نظر الأقلية "والرغبة المخيفة لجعل التاريخ الخادم المطيع للوطنية بديلاً لتشجيع الفكر النقدي حول المؤسسات الأمريكية والوسائل التي تتطور من خلالها"، وهذا الاتجاه يرى: "ليست مهمة الكتابة التاريخية أن تعطي صوتًا لصمت

المضطهّد، الذي سيكون فقط خيانة لذلك الصمت"، ويعلق إيفانز إن لم يعط المؤرخ صوتًا لصمت ذلك المضطهّد فمن سيفعل؟!.

ومن هذه الزاوية تعرض إيفانز إلى دراسات مناصري "ما بعد الحداثة"، ومناهجها في تناول النصوص التاريخية: "التفكيكية"، و"التنقيحية" في دراسة الحقائق التاريخية الكبرى، التي تهدف إلى زعزعة المعاني، وكشف التناقضات الكامنة داخل النصوص التي تدعي الوحدة والاكتمال، وهذا التوجه زاد من "أدبيات إنكار المحرقة" في بعض الجامعات الأمريكية، وهنا ظهر زيف "الحرية العلمية" أو ما يعرف بـ "الحرية الأكاديمية"، ووصل الأمر إلى طرد أستاذ للتاريخ جادل بأن: "معسكرات الموت الألمانية كانت أضحوكة معادية للألمان"، وأورد إيفانز نصوص لمدافعين تردّ على تلك الدراسات المنكرة لأحداث المحرقة.

أخيرًا عرض إيفانز بعض الإيجابيات التي قدمها التيار المعتدل في فلسفة "ما بعد الحداثة"، من أنها: فتحت كثيرًا من المواضيع والمناطق الجديدة للبحث التاريخي، وأعادت في الوقت نفسه إلى اهتمام الباحثين مواضيع بدت مشبعة بحثًا في السابق، كما أجبرت "ما بعد الحداثة" المؤرخين على استنطاق طرقهم وإجراءاتهم كما لم يحدث من قبل أبدًا، وعلى جعلهم ذلك في السياق ناقدين وانعكاسيين ذاتيين أكثر وهو أمرًا كله نحو الأفضل"، كما أدت فلسفة "ما بعد الحداثة" إلى تأكيد الاعتراف أكثر بذاتية المؤرخ نفسه، ويرى أن هذا سوف يساعد القارئ لينخرط في تقييم نقدي للعمل التاريخي.

وأضاف أن "ما بعد الحداثة" غيّرت التركيز في الكتابة التاريخية على النموذج الاجتماعي العلمي إلى النموذج الأدبي، مما جعل التاريخ متاحًا بصورة أكثر لعموم الناس خارج الجامعات عدى عن طلابها، كما "أعادت أفراد البشر إلى التاريخ حيث كانت مقاربات العلوم الاجتماعية قد أسقطتهم نوعًا ما. لقد ألهمت ما بعد الحداثة أيضًا وعلى الأقل أفادت كثيرًا من الأعمال التاريخية المتميزة في العقد الأخير أو أكثر، أعمال لم يضرّها استمرارها من مراحل أخرى في الخضوع لعدد من القوانين التقليدية للبحث العلمي التي آثرت ما بعد الحداثة ازدرائه في لحظاتها الأكثر تطرفًا".

وضع المؤلف ملحقاً في نهاية الكتاب تحت عنوان "قراءات إضافية" وهي تعليقات على عدد من النقاط التي وردت في نص الكتاب. خلا الكتاب من خاتمة توضّح أبرز النتائج التي وصل إليها. ومع أهمية هذا الكتاب في رصد مسيرة تاريخ التاريخ خلال العقود الأخيرة، والمراحل التي وصل إليها هذا العلم في مناهجه وفي صلاته بالعلوم الأخرى، فإن نقطة الضعف في الكتاب كونه قائم على فكرة أساسية وهي فكرة "الدفاع" عن مدرسة ظهر خللها منذ عقود، وفصلها للتاريخ عن واقع المؤرخ وعصره، مما جعلها مستغلة من قبل أحزاب وجماعات متطرفة قومية ووطنية عنصرية، دون طرح بديل متجدد مقارنة بكتاب مارك بلوخ "دفاعاً عن التاريخ"، الذي أسس لمدرسة الحوليات الفرنسية التي استطاعت التجديد والتكيف مع حركة التغيير والتجديد في العلوم الإنسانية، وفتحت آفاقاً بحثية للمؤرخين.

بقيت كلمة عن الترجمة القيّمة التي قدمها الدكتور محمد بن عبدالله الفريح، على الرغم من الطبيعة الفلسفية للكتاب واشتباكه مع عدد من المعارف الإنسانية الأخرى إلا أن المترجم القدير قدم نصّاً علمياً سلساً، وممتعاً، مع تعليقات توضيحية ضافية على العديد من المصطلحات الفلسفية، فله الشكر والتقدير.



عرض لكتاب

التاريخ المُقنَّع، نقد أطروحات التوراتيين العرب

أ.د. أحمد السري

كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة صنعاء

ahmedsirri@yahoo.de

عنوان الكتاب:

التاريخ المُقنَّع، نقد أطروحات التوراتيين العرب

لغة الكتاب: العربية

المؤلف: أ.د. عارف أحمد إسماعيل المخلافي

الناشر: مكتبة زهراء الشرق بالقاهرة

سنة النشر: ٢٠٢٦م

عدد صفحات الكتاب: ٤٤٦ صفحة

مقاس الكتاب: ١٧ X ٢٤سم

رقم الإيداع: ١٣٨٩٥

ردمك: ٩٨٧-٩٧٧-٣١٤-٧٢٧-٣

يحتوي الكتاب على ثلاثة أقسام وخاتمة، ويتضمن كل قسم فصولا. كرس المؤلف القسم الأول للمدخل النظري والدراسات السابقة وفيه عرف اصطلاح "التاريخ المقنع"، والقسم الثاني كرس لعرض أطروحات فاضل الربيعي ومركزاته والرد عليه، والقسم الثالث قدم فيه عروضا نقدية لأربعة عشر كتابا تخوض في سردية التوراة والجغرافيا البديلة.

ارتأينا تقديم العرض تحت عناوين محددة تتناغم مع أقسام الكتاب، لنتمكن من الإحاطة بموضوعاته، لاسيما وقد أتى شاملا لطروحات التوراتيين العرب الكبرى، وختمه بعروض نقدية لكتبهم.

• عن المصطلح وأهميته

المصطلح: تجسيد لغوي يتضمن دلالة مكثفة، يختزل تفاصيل حالة معرفية في مجال معين، فينبوب ذكره عن شرح تلك الحالة وتفاصيلها.

واتكاءً على هذا التعريف، فإن المؤلف نقل كلمة "المُقنَّع" من الاستعمال المألوف إلى رتبة الاصطلاح، وجعله دالا على نوع من الكتابة التاريخية خلاصتها، تفصيل قناع مزيف عبر التلفيق والتزوير والمناقلة الجغرافية لمسرح الأحداث، لطمس وجه التاريخ المعلوم والمتواتر، وإبراز القناع وكأنه التاريخ المفقود.

يقدم المؤلف في البداية تعريفا للمصطلح مرتبطا بجماعة التوراتيين العرب، ثم يوسعه بعد ذلك ويجعله صالحا للاستعمال في أية قضايا تاريخية مشابهة يتم تقنيها لطمس ملاحها المألوفة لصالح سرديّة خاصة متنافرة مع العلم.

يقول المؤلف في تعريفه لاصطلاح التاريخ المقنع إنه: "عمل انطباعي يعتمد على نقل الجغرافيا من بلد إلى آخر، بعد تحريف وتجريف ومسح أسماء المواقع الجغرافية في البلد الأصل، والبلد المقترح على السواء" (ص ١٩). هذا هو التعريف المركزي للمصطلح لكن المؤلف لا يتركه دون دعم منهجي فيبين افتقار جماعة تقنيّ التاريخ إلى منهج علمي معتبر، وانطلاقهم من قناعة مشكوك في صحتها أصلاً، وهي صحة سرديّة التوراة التاريخية وكذب الجغرافيا المرتبطة بها. وهذا الزعم الواسع وغير المسبوق تاريخيا في العلاقة بين الحدث وجغرافيته، هو بالضبط سبب التخبط الجغرافي والتكلف في استخراج جغرافيا للتوراة تدعم سرديتها التاريخية الهشة.

المصطلح الجديد "التاريخ المقنع" يشير فورا إلى أننا لسنا أم تاريخ علمي مُمنهج وورسين، بل أمام عمل انطباعي، ولذلك لم يضع المؤلف في التعريف كلمة "انطباعي

اعتباطاً" بل بقصد بيان انتفاء الصفة العلمية عن هذه الأعمال وتحكيم الذوق والهوى والانطباع العاطفي لإنتاج قناع مشبوه تُظهر صورته توافقا مع سردية تاريخية مشكوك في أصالتها.

التاريخ المقنع، اصطلاح يتسم بكثافة دلالية ينوب عن التفصيل، إذ يصف المنجز النهائي وضمنا مراحل صناعة القناع أيضاً، ويضمن فور سماعه دلالة الرفض لهذا التاريخ المقنع، أما العملية قبل اكتمال المنجز فهي "تقنيع التاريخ"، وقد أوضح المؤلف أن هذا التقنيع يتم من خلال اعتماد منهج واحد هو منهج التشابه اللغوي النسبي بين مسميات الأماكن وألفاظ النصوص، واستبعاد مصادر الدراسات الأخرى مثل السجلات التاريخية ونتائج التنقيبات الأثرية، ثم التلفيق والتزوير والتشويه والمسح واللعب بالمراحل الزمنية وأسماء الدول ودمجها، ليظهر قناع طامس لوجه التاريخ المعلوم والثابت فوق جغرافيته. وبمقتضى هذا القناع نُقل مسرح الأحداث التوراتية من جغرافيتها المعهودة في بلاد الشام ومصر تحديداً إلى شبه الجزيرة العربية، دون اتفاق على مكان محدد بينهم، فمرة تكون في عسير وأخرى في جنوب السعودية، ومرة ثالثة في كل اليمن، ومرة في مكة وما حولها، وكأن جغرافيا التوراة المفقودة إبرة في قش.

ونلفت الانتباه إلى أن المؤلف لم يستعمل -حرصاً منه على الدقة العلمية والحذر المنهجي الواجب-، لم يستعمل صفة "الأصيل أو الحقيقي" للتاريخ، ليقارنه بالقناع المشوّه، فذاك زعم لا تفرقه لغة العلم الحصيفة، لكنه يقارن بين هذا القناع المزيف وبين "تاريخ معلوم"، نعم يتحدث المؤلف عن تاريخ معلوم أتاحتها وثائق الإنسان التي خلفها، وكشفت عنها التنقيبات الأثرية وأكدها السجلات التاريخية والنقوش.

هنا يبرز الفرق بين عمل العالم المُنهج والأكاديمي والمتخصص، وعمل الهواة والدُّخلاء وطلاب الإثارة والشهرة. ثم إن المؤلف لا يقف مع المصطلح عند حدود المعرفة الأكاديمية، بل يتساءل مُحققاً عن سبب كل هذا الجهد وكل هذه الإصدارات من جماعة التوراتيين العرب بقصد تقنيع التاريخ التوراتي بوجه لا يعرفه ولا يخصه، ولم يجد مفراً من

الإفصاح في تعريف رديف لاحق للتعريف الأصل، وهو أن اصطلاح التاريخ المقنَّع يشمل "كل شيء ينطوي على أمر مُضمَر يخالف في حقيقته ما هو معلن". والتركيز هنا على كلمة مضمَر، وهذا معناه أن وراء كل هذا العبث بالتاريخ والجغرافيا قصدا مضمرا يتبينه أهل الفطن، ليس أقله نفس الذاكرة التاريخية للمنطقة أو تفكيكها لإعادة بنائها وفق سرديات تاريخية مشبوهة، يغذيها الصراع المعاصر حول فلسطين، والسعي لإنشاء وعي جديد مُتراخٍ يقبل بوجود الغرباء المعاصرين (يهود الخزر) على الأرض العربية.

• الدراسات السابقة وأضحوكة الشيخ زبير

في الفصل الخاص بالدراسات السابقة المنضوي تحت القسم الأول، يستعرض البروفيسور عارف المخلافي، مجموعة من الدراسات التي تصدرت لكتابات التوراتيين العرب، (جماعة تقنيع التاريخ)، ويظهر الاستعراض تنوع الدراسات السابقة بين كتب كاملة وعروض لكتب ومقالات، وأن الدراسات الأولى تركزت حول كتابات كمال الصليبي، بوصفه رائد الاتجاه التغريبي للتاريخ، ومقترح الجغرافية البديلة للتوراة، ثم تتابعت الدراسات لمناقشة كتاب أحمد قشاش، أبحاث في التاريخ الجغرافي للقرآن، ثم كتب فاضل الربيعي المختلفة.

ولأن الموضوع كله جغرافي، أي تحديد أسماء مواضع في جهات عسير أو جنوب المملكة أو مكة وما حولها أو اليمن بمدنه وقراه، فلم يكتف المؤلف بإيراد خلاصات مركزة لهذه الدراسات بل استعرضها بتفصيل وافٍ وصل إلى ما يناهز ١٢٠ صفحة، (١٧٤-٥٧). ولأن مثل هذا التفصيل في عرض الدراسات السابقة غير مألوف، إذ يُكتفى عادة بإعطاء خلاصة مركزة عنها تشتمل على جوهر ما ورد فيها، فالواضح أن المؤلف أراد بهذا التفصيل بيان جهود من سبقه وكيف تتبعت هذه الدراسات بؤس الجغرافيا البديلة، وتهافت المنهج الأحادي، منهج التشابه النسبي بين مسميات الأمكنة في كتاب التوراة ومسميات أمكنة عسير وجنوب السعودية واليمن.

وإجمالاً، أظهرت الدراسات السابقة قصور المنهج الأحادي (التشابه المتوهم لأسماء الأماكن)، وأنه غير جدير بالتوصل إلى أية نتائج معتبرة ما لم يدعم بموارد علمية أخرى معروفة وأولها الدليل الأثري الذي يتجاهله التوراتيون العرب، كما أظهرت التكلف في الموازنة بين المسميات، أو ما نسميه بالترقيع الجغرافي، وهو ترقيع نجح في الإثارة وإحداث ضجيج، وفشل بجدارة عن الإقناع.

أبرز المؤلف كيف وقفت الدراسات المستعرضة أمام المسميات المقترحة للأمكنة والمدن والأنهار والقرى وقارنتها بالسياق التاريخي الواصف للجغرافيا في التوراة وفي غير التوراة، وأبرزت التكلف الظاهر، والترقيع القسري في تقريب المسميات لبعضها، وكشفت حيل الزعم بإعادتها إلى أصولها الأولى لتتفق مع تسميات التوراة، بل كشفت جهلاً فاضحاً للمؤلفين حين لم يراعوا أزمنة نشوء الأماكن حتى مع حصول تشابه بين الأسماء، وإن الأسماء في الجزيرة العربية حديثة النشأة، ولا علاقة لها بإمكانة وأسماء التوراة التي تفصلها زمنياً عن مثيلاتها المتهمة قروناً طويلة، (حمد الجاسر ص ١٦١-١٦٨) بالإضافة إلى الخلط بين اسم المكان واسم القبيلة أو فخذها أو اسم البيت الكبير (قرية) كما في جبال فيفا، واسم القرية الشائع. (الأستاذ عبد الله الفيافي، ص ١٤٤-١٤٧).

تفاوتت الدراسات السابقة المستعرضة من قبل المؤلف في طبيعة الردود، بعضها فصلت وتتبع بدقة المسميات كما فعل السواح مثلاً مع كتاب الصليبي، (ص ٦٩-١٢٧) أو فكري آل هير مع فاضل الربيعي، (ص ١٣٠-١٤٣) فبان العوار المنهجي واضحاً للجماعة تقنع التاريخ، وبعضها اكتفى باختيار مواضع معينة من كتابات قشاش والربيعي لبيان تهافتها عبر أمثلة منتقاة وإبراز جهل المؤلفين بالتاريخ والجغرافيا معاً.

يتضح هدف المؤلف من هذا الاستعراض المفصل، وهو الوقوف مع الأسماء المشهورة للأماكن وكيف اعتُسِفَت أماكن شبه الجزيرة العربية وأخضعت قسراً للقلب وإبدال وتقديم وتأخير للحروف وتحويل مسميات الأنهار إلى جروف وجبال وكهوف، لتتواءم مع هدف

تقنيع التاريخ، وإبراز إصرارهم الواضح على التلفيق والتكلف في إقامة تشابه بين الأسماء، لتستقيم الجغرافيا البديلة مع السرد التوراتي.

ولم يقف الأمر عند فشل الترقيع الجغرافي في إقامة تشابه قسري بين أسماء المواضع، بل أظهرت الدراسات المُستعرضة تناثر هذه المواضع المقترحة في جغرافيا شاسعة لا تتوافق مع سردية التوراة التاريخية المحدودة، التي تزعم جماعة التاريخ المقنع صحتها المطلقة، وهي غير ذلك.

ثم إن هذه الجغرافيا المقترحة من قبلهم تنقلب دليلاً على فشل دعواهم، فالتخطيط الجغرافي المقترح، (خصوصاً فاضل الربيعي، كما بين آل هير) لا ينسجم مع السرد التوراتي، بل ينهض دليلاً على مستوى التكلف والتلفيق، والمجازفة في الخروج عن، شرط العلم الخاضع للمنهج والمتصف بالنزاهة والموضوعية، وأن الإثارة هي المطلب الأول لو تجاوزنا ما تسببه هذه الطروحات من بلبلة معرفية، غايتها إعادة هندسة الذاكرة التاريخية لإنتاج وعي بديل متراخ وهش، وتابع في النهاية.

بينت الدراسات السابقة أيضاً بجلاء وحجج دامغة، عُقم المنهج الأحادي، وافتقاره إلى دعم علم الآثار ونتائج التنقيبات التي جرت في كثير من الأماكن في فلسطين أولاً وفي بعض جهات الجزيرة العربية ولم تظهر أدلة أثرية ولا سجلات تاريخية تعزز مَرويات التوراة في فلسطين، ولا في الجغرافيا البديلة التي زعمها الصليبي ومن جاء بعده من هوة تقنيع التاريخ، بل تغافل الصليبي ورهطه عمداً عن حقيقة أن التوراة كتبت بعد الأحداث التي تروىها بقرون طويلة، وفي ظرف تاريخي أراد كتبها الكهنة إسقاط ماض متوهم (مبالغ فيه) على المستقبل بحثاً عن وطن لليهود.. بل تغافلوا عن النقد الكتابي الراسخ في الكتابات الغربية نفسها التي شككت في النص التوراتي وسرديته التاريخية.

وحسناً فعل المؤلف بإبراز اللفتة المنهجية الرائعة التي استقدمها السواح، وهي محاصرة طروحات الصليبي بتاريخ الجوار، إذ تقضي البداهة بأن الجار يعرف بجاره، والجوار الذي استقدمه السواح للشهادة على تهافت طروحات الصليبي هو الجوار المصري وبلاد

الشام، بل والعراق القديم، وأثبت من خلال سجلاتهم التاريخية ومخلفاتهم الأثرية وسير الحملات العسكرية أثناء المعارك أنها تتحدث عن جغرافية مجاورة لها هي جغرافية فلسطين، وأنها المسرح الجغرافي للحملات الحربية لبعض ملوك مصر، وهي الأمكنة التي أقيمت فيها النُصب التذكارية وخُلِفَتْ فيها آثار مصرية، وأن غرب الجزيرة المقترح لم يرد قط في هذه السجلات. كما لم يرد في تاريخ اليمن القديم وما اكتشف فيه من سجلات ونقوش وآثار، فهي لا تتحدث قط عن ممالك إسرائيلية أو دول يهودية فيها ولا في جوارها الشمالي، ولا الشمالي الغربي (عسير). وبهذا المنهج العلمي أحكم السواح دائرة الحصار العلمي على حجج الصليبي ومن تلاه لتسقط نهائياً ولتتكشف عن فقاعة أثارت ضجيجاً وكفى. ولا بد هنا من التنبيه على أن السواح وهو يدحض مقولات الصليبي عن الجغرافيا البديلة، لا يقر سردية التوراة التاريخية، ولا يمنحها أصالة من أي نوع، وأن محرري التوراة عبر القرون " كانوا يهدفون إلى التأصيل للديانة اليهودية"، وأنهم سخروا تاريخ فلسطين لخدمة المعتقد اليهودي، (ص ٧٠)، وهذا التأكيد هنا من السواح يعني ببساطة أن التوراة كتاب لاهوتي في الأصل، حشرت فيه معطيات تاريخية وجغرافية من أزمنة مختلفة، سببت الاضطراب الحاصل فيها، والشك في مصداقيتها.

واضح أن الدكتور عارف تعمد إيراد هذه الحجج بالتفصيل لبيان قدرة المنهج العلمي المعتبر على دحض المزاعم الواهية، وليعطي للسواح حقه في كونه أول من تصدى للصليبي بهذا المنهج، وهو حق تقتضيه الأمانة العلمية والنزاهة الأكاديمية.

أما دراسة حمد الجاسر ودراسة الفيافي بشكل خاص، فقد أبرزتا حالات التكلف في إقامة التشابه بين الأسماء"، على طريقة -كما قال الجاسر- أضحوكة أن شكسبير هو عربي اسمه الأصلي الشيخ زير. فحمد الجاسر، وهو المؤلف لكتاب " المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية"، الذي اعتمده الصليبي لتتبع الأسماء المشتركة. بين حمد الجاسر جهل الصليبي حين خلط بين حادثة التسميات في جهات عسير وقدم التسميات في التوراة وألا رابط بينها تاريخياً حتى لو حصل التشابه، وهي حجة دامغة أخرى تشهد على مستوى الجهل

والتكلف في حشر تاريخ قديم داخل مسميات جغرافية حديثة تفصل بينها وبين الحدث التاريخي الأصل قرونا.

وبين الجاسر أن الصليبي جهلا منه أو اجتراء على الواقع خلط بين أسماء المواضع وأسماء القبائل أو أفخاذاها فجعل أسماء القبائل أو أفخاذاها مُدنا وقرى وجعلها رغم حداثة تسميتها مسرحا لتاريخ سبق وجودها بقرون. وامتد جهل الصليبي ومن تلاه إلى منطقة فيفا، فقد تتبع الأستاذ الفيقي في كتابه عن "تاريخ بني إسرائيل وجزيرة العرب" المسميات التي تعرض لها الصليبي في منطقته وبين معنى قرية في منطقته جبال فيفا وأنها البيت الكبير، وأن الصليبي بحكم جهله ظن أن قرية كذا اسم مكان بحث له عن شبه في التوراة.

لقد تجشم المؤلف عارف المخلافي عناء قراءة الأعمال السابقة وإبراز مساهمتها في دحض ترهات التوراتيين العرب، إلى الحد الذي أثار عندي سؤال: ما الذي سيضيفه المؤلف بعد كل ما عرضه في الدراسات السابقة، لكنه أظهر مساهمته البارزة في القسمين التاليين للكتاب.

• القسم الثاني: مرافعة علمية ضد الزيف، وإعادة إعمار للذاكرة التاريخية

يكرس المؤلف القسم الثاني للكتاب لتنفيذ أطروحات فاضل الربيعي تحديداً، لكثرتها واتساع المساحة الجغرافيا التي اقترحها مسرحاً لسردية التوراة وهي اليمن، ولأنه الأوسع حضوراً في المخيال التاريخي بسبب الترويج الإعلامي لطروحاته التي ألّبت وجه التاريخ العربي قناعاً غريباً، فشوّت ملامحه وأربكت الذاكرة الجمعية.

في هذا القسم، والذي يليه، تظهر منهجية المؤلف العلمية على نحو أو ضح، منهجية رصينة مكنته من التصدي للتخريب المعرفي الذي أحدثته كتابات التوراتيين العرب، فأعاد به ترميم الذاكرة التاريخية العربية، وبناء ما هَدَمَته تلك الكتابات المزيفة من سرديات وأسماء وأماكن.

وكي لا تستغرقنا الأمثلة التفصيلية، وهي غزيرة في الكتاب أثرت أن أبرز منهج الرد، بوصفه أداة المؤلف الحاسمة في ترميم الذاكرة وإعادة إعمارها. إذ المنهج العلمي هو البرزخ الفاصل بين العلم والخيال المغامر، العالم الحق يُسَلَّم لنتائج البحث، والمغامر يُخضع البحث لنتائج يريدها سلفاً. المنهج العلمي ليس مجرد أدوات بحث، بل منظومة فكرية تفرض على الباحث التجرد، والالتزام بالموضوعية، والوقوف على الأدلة المادية والوثائقية التي تتيح بناء صورة أقرب ما تكون إلى حقيقة الماضي. ومن يقرأ كتاب التاريخ المقنع يدرك حضور المنهج العلمي، وكم الجهد المبذول، وأن التاريخ ليس مجالاً للخيال، بل علماً له أدواته ومصادره وشواهده.

عرض الدكتور عارف طروحات التوراتيين العرب على المنهج العلمي فأبى تقبلها، أسقطها من قوائم الكتابات الحسيفة، لانطلاقها من فكرة مسبقة تبحث عما يؤيدها، وتستبعد ما ينفيها، وحين يعجز أصحابها عن إيجاد الدليل، يلجأون إلى التلفيق والتأويل القسري، وهكذا وُلد الخراب في الذاكرة التاريخية، فكان لا بد من ترميم وإعادة إعمار، وهو ما تصدى له كتاب "التاريخ المقنع" بكفاءة واقتدار.

يبين المؤلف أن المنطلق الأساس عند هؤلاء «التوراتيين العرب» هو الإيمان المطلق بصحة السردية التوراتية، باعتبارها نصّاً تاريخيّاً، وليس كتاباً لاهوتيّاً في أصله وأساسه، متجاهلين أن هذا الكتاب اللاهوتي خضع عبر قرون للحذف والإضافة والتعديل والخلط بين الأحداث التاريخية، وأن علم الآثار التوراتي والغربي تحديداً، أطاح بمصداقيته التاريخية. ولأنهم لم يحترموا نتائج علم الآثار التي أطاحت بمصداقية التوراة، فقد انتهجوا الترقيع الجغرافي سعياً لإيجاد جغرافيا بديلة لإنقاذ مصداقيتها: من عسير إلى اليمن، ومن فلسطين إلى وديان جنوب المملكة، أو مكة وما حولها، ومن مصر إلى الجوف معتمدين فقط على وهم تشابه أسماء الأماكن، مختلفين على مسارح الحدث التوراتي، وهكذا تحولت خرائط التاريخ إلى حقل تجارب لأوهامهم، لكنها تنقلب دليل إدانة ضدهم، فحين يكون منهجهم واحداً ونتائجه متباينة تدحض بعضها بعضاً، فمعنى هذا ببساطة أن ثمة خلل في أصل

الفكرة التي ينطلقون منها (صحة سرديّة التوراة) والمنهج الأحادي الأعرج الذي يعتمدوه (الترقيع الجغرافي)

• مواقع الخراب وخرائط الزيف

في القسم الثاني من الكتاب، يبيّن الدكتور عارف نوع الخراب الذي أحدثه الربيعي تحديداً في الذاكرة التاريخية العربية. وقد سمى تلك المواضع المزيّفة «مرتكزات» وهي التي تشكل بؤراً للتخريب، نذكر منها: الخلط الزمني بين مملكة سبأ الأم ومملكة سبأ وذي ريدان، وربطهما بإسرائيل ويهوذا، رغم القرون التي تفصل بين نشأتهما، الزعم بأن مصر بتاريخها المشهود تقع في الجوف باليمن، ورفض فكرة أن عبارة "معين مصرن" المذكورة في النقوش هي مركز تجاري لدولة معين، يقع شمال الجزيرة، ثم تحريف معنى اسم فرعون وإنكار وجوده في مصر رغم كل الوثائق والسجلات المصرية المتوفرة التي توطن فرعون في بلاده مصر، وإنكار وجود الملكين شيشانق ونخاو الثاني في مصر، ونقلهما إلى اليمن، رغم كل الشواهد الأثرية على انتسابهما لمصر البلد، نفي قصة الخروج والنبي موسى عليه السلام من التاريخ المصري وترحيلها بطريقة بهلوانية إلى اليمن، بالإضافة إلى تفاصيل أخرى كثيرة انبثقت عن المرتكزات الخاطئة.

• الكتاب مرافعة علمية ضد الزيف

اتخذ الدكتور عارف استراتيجية منهجية للرد، صيّرت كتابه عن حق مرافعة علمية كبرى في وجه هذا الخراب، فهو لا يكتفي بالرد، بل يعيد البناء خطوة خطوة، مستنداً إلى شواهد أثرية وتاريخية بلغات متعددة، وإلى دراسات علمية حديثة، ونتائج تنقيبات أثرية، ومقارنات دقيقة بين النصوص والنقوش والوثائق. لا يكتفي بالنقد بل يقدم البديل الموثق، يقرأ النقوش والوثائق المصرية واليمنية والآشورية قراءة مقارنة، ويستقدم تاريخ الجوار ليشهده على جيرانه، وليبرهن أن ما فعله «التوراتيون العرب» ليس إلا عبثاً لغوياً وجغرافياً، وتقنيعاً للتاريخ بأوهام مهلهلة، لانعدام أي أساس علمي لها، ويشير إلى أن لغة الربيعي تحديداً - رغم حسنها الأدبي كونه صحفياً وأديباً في الأصل - تخلو من الحذر العلمي

الواجب في الصياغات، فهي لغة يقين وحسم لا تقرها الكتابات التاريخية الرصينة، وهذا بالضبط مكنم ضعفها وتهافتها، فالمعرفة التاريخية لا تُبنى على إطلاقات وحسم بل على دراسة متأنية لمختلف المصادر ثم الحذر في صياغة خلاصات قابلة للمناقشة والتصويب.

في فصول القسم الثاني من الكتاب، يواجه المؤلف مزاعم فاضل الربيعي تحديداً، فيكشف ما فيها من تناقض وتكلف وخيال هدام، فالربيعي - كما يوضح المؤلف - لم يكتف بتبديل أسماء المواقع، بل حوّل اليمن بأكملها إلى مسرحٍ للتوراة، بعد أن أفرغها من تاريخها الحقيقي، ولم يأبه لسؤال أين تاريخ اليمن الأصل، وإلى أي مكان شُرّد ليحل محله تاريخ غريب.

• أثر الكتاب وأهميته

خطورة هذه الطروحات لا تكمن في ضعفها العلمي الواضح، بل في انتشارها الإعلامي، وتكرارها في القنوات والمقاطع المصوّرة، وهو ما خلق وهماً بالحقيقة لدى كثيرين، فكان لا بد من أن ينهض المختصون لإعادة الإعمار العلمي الدقيق لما هدم من معمار تاريخي مستقر عبر قرون، حمايةً للوعي العام من التضليل.

لذلك يمكن القول إن كتاب "التاريخ المقنع" ليس مجرد ردّ على كتابات التوراتيين العرب، بل منجز علمي بارز يتوخى ترميم الذاكرة التاريخية التي تعرضت للتخريب، إنه مَصَدّق تاريخي صلب في وجه قذائف التخريب، وبناء معرفي متين يعيد إلى الذاكرة توازنها وهيبته.

ونخلص في نهاية هذا القسم من الكتاب إلى أن فاضل الربيعي، بصفته صحفياً وأديباً، استطاع بأسلوبه الأنيق وخياله المُشوِّق أن يقنع غير المختصين. لكن تقديم الخيال على أنه "التاريخ الصحيح" هو بالضبط مقتل طروحاته كلها. لذلك، يعد كتاب "التاريخ المقنع" عملاً تأسيسياً في ترميم الذاكرة الجمعية وتمزيق الأقنعة المزيفة، كما أن هذا العرض المركز لا يغني قط عن قراءته والتمتع بمرافعاته العلمية الحصيفة.

• القسم الثالث: بين التاريخ المشرّد والترقيع الجغرافي

قبل الدخول إلى عرض القسم الأخير من الكتاب، لابد من قول إن هذا الكتاب ترك في أثرًا عميقًا، تفاعلت مع أفكاره بعمق حتى لازمتني تأملاته في أوقات السكون. ومن واقع قراءته تبلور في ذهني مصطلح هو: "التاريخ المشرّد والترقيع الجغرافي"، الذي يتكامل مع مصطلح "التاريخ المقنّع"، ويعزّزه دون أن يحلّ محله. والمقصود به تلك الكتابات التي تنتزع السرديات التاريخية من جغرافيتها المعهودة وتحشرها في جغرافيات بديلة، بعد ترقيع أسماء المعالم والمواضع والملوك لإيهام القارئ أن سردية التوراة الملفقة وجدت أخيرًا موطنها الأصل. ويبقى اصطلاح "التاريخ المقنّع" واصفًا للمنجز النهائي لكل العبث الذي يتعرض له كل من التاريخ والجغرافيا.

في القسم الأخير من الكتاب، يعرض الدكتور عارف المخلافي نقدًا علميًا دقيقًا لأربعة عشر كتابًا من مؤلفات من أطلق عليهم "جماعة التاريخ المقنّع"، وقد جمعهم تحت عنوان بالغ الدلالة هو "بين بيضة الديك وحليب التيس"، عنوان ساخر أراد به تصوير عبث محاولاتهم في البحث عن جغرافيا بديلة للتوراة، فكما أن الديك لا يبيض والتيس لا يُحلب، فإن هذه المؤلفات لا تثمر علمًا ولا تكشف غامضًا.

يبيّن المؤلف أن هذه الكتب، التي صدرت بين عامي ١٩٨٨ و ٢٠٢٠، تمثل سلسلة متواصلة من محاولات تشريد التاريخ والترقيع الجغرافي (التعبير هنا لعارض الكتاب). بدأ هذا التيار مع كمال الصليبي، الذي شرّد السردية التوراتية من فلسطين إلى عسير، فقلّده آخرون في المنهج وخالفوه في التوطين.

وآخر الكتب التي ناقشها المؤلف ورد على مزاعمها هو كتاب "التوراة الحجازية" (٢٠٢٠)، وقد غمّادى الكتاب في الانحراف المنهجي عبر زعمه أن مكة المكرمة وما حولها هي "أرض الميعاد"، وأن الكعبة هي هيكل سليمان، معتبرًا إياها 'القبلة الإبراهيمية' الجامعة لكل الأديان. وهذه الأطروحة لا تختلف في جوهرها عن فكرة كتاب 'العودة إلى مكة'

(٢٠١٢) للكاتب الصهيوني المتطرف "ليكن"، الذي يدعو إلى توسيع حدود "أرض الميعاد" المزعومة ليشمل مكة المكرمة، مطالبًا بوضعها تحت وصاية دولية.

وهذه المؤلفات - بمجموعها - لا يمكن وصفها إلا بأنها ضرب من "التحرش التاريخي"، لافتقارها لأبسط أخلاقيات البحث العلمي، ولاستسهالها الاعتداء على حرمة التاريخ ووثائقه، خدمةً لأغراضٍ قد تكون أحياناً مضمرة، وأحياناً أخرى صريحة لا مواربة فيها.

يؤكد الدكتور عارف أن كثرة الكتب بأسماء مؤلفين مختلفين، أو الصادرة عن مؤلف واحد، لا تتضمن أية إضافات معرفية، وأن كثيراً منها ليس سوى إعادة تدوير لمعلومات واحدة تحت عناوين جديدة، لتوهم القارئ بغزارة الإنتاج وتنوع الرؤى. وقد وقف المؤلف على هذه الأعمال كتاباً كتاباً، وفرز طروحاتها، وردّ عليها بمنهج علمي صارم يستند إلى الدليل الأثري والنقوش والسجلات التاريخية، ونلفت الانتباه إلى كتاب "الحضور البياني في تاريخ الشرق الأدنى القديم: سبر في التاريخ القديم"، لمؤلفه اليميني فضل عبد الله الجثام اليافعي، الذي يتساق مع منهج الصليبي وطروحاته ويستعمل بعض العادات الاجتماعية وأطباق الأكل لتعزيز فكرة الجغرافية البديلة، مع تركيزه على منطقة يافع وصلتها بأوهام الربيعي. وقد أثنى المؤلف على لغة الكتاب وقدرة المؤلف على الربط والتنسيق والحوار الهادئ، لكنه كأقرانه من جماعة التاريخ المقنع سار على نهجهم في التشريد والترقيع المكاني والزمني معاً، لذلك دحض المؤلف مزاعم الجثامي كما دحض غيرها لاسيما مزاعمه حول موقع بلاد بونت (ص ٣٢٦-٣٢٧).

ولئن كان منهج "الترقيع الجغرافي" يقوم على فرضية مشكوك في صحتها هي: صحة التوراة وخطأ الجغرافيا، فإن الدكتور عارف واجهه بالأدوات الحقيقية للبحث العلمي: بالشواهد المادية، والمصادر التاريخية الموثقة، والتحليل المقارن. فأظهر بجلاء أن هذه المؤلفات اعتمدت على قراءة أحادية متحيزة، تغض الطرف عن الأدلة في موطنها الأصلي

وتتجاهل غيابها في الموطن البديل، فُبُنيت أطروحاتها على فراغ معرفي يتكئ على ترقيع جغرافي مهلهل، يشكل في مجموعه فوضى معرفية وتخريباً للذاكرة العامة.

ومن أبرز النماذج التي تناوها المؤلف كتاب "التوراة الحجازية" لمحمد منصور، وهو طبيب اقتحم ميدان التاريخ بلا عُدّة علمية، فزعم أن مكة وما حولها هي أرض التوراة، وأن مصر المذكورة في التوراة تقع في الحبشة، وأن موسى عبر البحر إلى اليمن، وأن أورشليم هي جبل أبي قيس في مكة. تتبع الدكتور عارف أكثر من اثنين وعشرين زعمًا من هذا النوع، وردّ عليها بالأدلة الأثرية والدراسات الحديثة، مستعينًا بما قاله كبار علماء الآثار اليهود أنفسهم مثل فلنكشتاين وسيلبرمان وهرتسوج، الذين أثبتوا أن كثيرًا من نصوص التوراة لا تعدو أن تكون أساطير دينية نسجت في زمن السبي البابلي.

لقد كشف المؤلف في هذا القسم عن حجم الضرر الذي أحدثته هذه الكتب في الوعي العربي، إذ شوّهت الذاكرة التاريخية وأربكت المفاهيم، فبدت كأنها تفتح آفاقًا جديدة وهي في الواقع تغتال المنهج وتغلق باب العلم. ومع أن هذه الأطروحات ليست ذات قيمة أكاديمية كما بيّنت دراسات كثيرة جادة، فإن خطورتها تكمن في الترويج الإعلامي الذي منحها حضورًا زائفًا في الوعي العام. ولهذا السبب نرى كتاب التاريخ المقنع متراسًا تاريخيًا صلبًا يتضمن الرد الضروري والحاسم الذي يعيد للبحث التاريخي توازنه، مؤكدًا أن الدفاع عن الذاكرة التاريخية ليس مسألة فكرية فحسب، بل واجب علمي وأخلاقي.

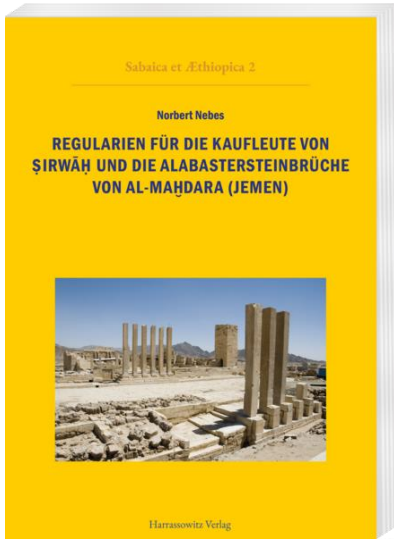
وحسنًا فعل الدكتور عارف حين أورد اعتذار أحد أبرز المتحمسين لهذا الاتجاه عن غيّه العلمي، أحمد الدبش، فاعترف علنًا بخطئه، معلنًا أن ما كتبه بشأن وطن التوراة البديل كان «وهمًا في وهم». هذا الاعتراف يعدّ شاهدًا على صحوة الضمير العلمي، وجرس إنذار للباحثين عن مجد زائف.

أما ما بذله المؤلف من جهد في تتبع هذه المؤلفات ونقدها فيكشف عن عمق معرفته وصدق غيرته على التاريخ العربي القديم. لقد خاض بحرًا من الأكاذيب مستعينًا بسفينة المنهج العلمي، فلم تغرقه أمواج التلفيق والتقنيع والتشريد، بل أبحر بثبات حتى أرسى

القارئ على شاطئ التاريخ العلمي، بمنهجه الفارز بين الغث والسمين، وأراه طرق تقنيـع التاريخ الزائفة التي تحاول التغطية على وجه العلم والبحث الرصين.

يبرهن الدكتور عارف في كتابه أن المنهج العلمي هو السلاح الأمضى في مواجهة الزيف التاريخي، وأن كل محاولة لتشريد السرديات التوراتية وغيرها وإعادة توطينها في جغرافيات بديلة إنما تقوم على مغالطات منهجية وعجز عن تقديم الدليل الأثري أو النصي. ومن خلال عرضه النقدي الدقيق للكتب الأربعة عشر، يكشف عن مدى هشاشة ما سماه التاريخ المقنع، ويعيد للتاريخ العربي القديم أصالته المكانية والمعرفية.

في الختام نؤكد ثانية قيمة هذا الكتاب الاستثنائية، ونراه أول دراسة علمية منهجية تتناول ظاهرة "التوراتيين العرب" بالتحليل والنقد الشامل، إنه كتاب تأسيسي لأنه يقدم نموذجاً رصيناً في دحض الأطروحات الزائفة عبر أدلة أثرية وتاريخية متكاملة، ولا يكتفي هذا العمل بترميم الذاكرة وإعادة إعمارها في هذا الحقل، بل يضع المسؤولية على عاتق المختصين لمواصلة المسيرة كلٌّ من موقعه، في مواجهة تشويه التاريخ والذاكرة الجمعية.



عرضاً علمياً وترجمة موجزةً لكتاب
اللوائح المنظمة لتجار صِرَواح ومحاجر الألباستر في
المَحْدَرَة (اليمن)
أ.د. عميدة شعلان

قسم الآثار والسياحة - جامعة صنعاء
amida_sholan@hotmail.com

عنوان الكتاب: اللوائح المنظمة لتجار صِرَواح ومحاجر
الألباستر في المَحْدَرَة (اليمن)

لغة الكتاب: الألمانية

المؤلف: الأستاذ الدكتور نوربرت نيبس

المحررون: Norbert Nebes, Peter Stein

هيئة استشارية التحرير: Mikhail Bukharin (Moskau), Iris Gerlach (Berlin),

Giovanni Mazzini (Pisa) und Wolbert G. C. Smidt (Jena)

منشورات: SABAICA ET ÆTHIOPICA 2 (ضمن سلسلة مركز أبحاث جنوب

الجزيرة العربية القديم وشرق أفريقيا في جامعة فريدريش-شيلر في جينا

الناشر: Harrassowitz Verlag

سنة النشر: ٢٠٢٥م

عدد صفحات الكتاب: ١٥٦ صفحة، ٥٣ لوحة

مقاس الكتاب: ١٧ X ٢٤ سم

ردمك: ١ - ٩٨٣٣ - ١٢٤٧ - ٤٤٧ - ٣ - ٩٧٨

يقدم مؤلف الكتاب، الأستاذ الدكتور نوربرت نيبس (Prof. Dr. Norbert Nebes) دراسة تحليلية لنقش سبئي فريد، يُعد أول وثيقة موجهة مباشرة للتجار المحليين كمجموعة اجتماعية-اقتصادية محددة. يكشف النقش عن جزء من شبكة التجارة الداخلية في صُرُواح خلال الألفية الأولى قبل الميلاد، مسلطاً الضوء على أهم صادرات المدينة، وأبرزها حجر الألباستر من محاجر المَحْدَرَة شمال المدينة، الذي كان أساس ازدهارها الاقتصادي والثقافي. كما يتضمن الكتاب نشرًا أوليًا لمجموعة نقوش أخرى من صُرُواح، موثقًا مادة نقشية جديدة لفهم البنى المؤسسية والتنظيمية في جنوب الجزيرة العربية القديمة.

يتضمن هيكل الكتاب تمهيداً، مقدمة، عناوين رئيسية وفرعية، ملخصاً باللغة الإنجليزية، فهارس ومراجع، ولوحات تضم خرائط وصوراً.

يستعرض نوربرت نيبس في التمهيد (ص ٩-١٠) موضوع محاضرة ألقاها في "الملتقى السبئي ٢٥"، في سبتمبر ٢٠٢٣ في البحر الميت بعمان، المملكة الأردنية الهاشمية، حيث قدم تحليلاً لنقش سبئي يشكّل محور الكتاب، إلى جانب نقوش أخرى، معظمها غير منشورة، اكتُشفت خلال حفريات قسم الشرق في المعهد الألماني للآثار - فرع صنعاء. كما عبّر المؤلف عن شكره لجميع من ساهموا في إنجاز الكتاب وقدموا نصائح علمية قيمة.

تتناول المقدمة (ص ١١-١٢) تطور العلاقات التجارية منذ بدايات الألف الأول قبل الميلاد، حيث كان التجار السبئيون ينظمون قوافلهم ويقطعون مسافات طويلة من العربية السعيدة حتى بلاد الرافدين. وأوضح الشواهد على هذا النشاط لا تأتي من المصادر المحلية، بل من نص مساري بابلي حديث يعود لمنتصف القرن الثامن قبل الميلاد، يشير إلى أن حاكم سوخو وماري هاجم قافلة قادمة من واحة تيماء ومن سبأ على نهر الفرات الأوسط، واستولى على غنائم عدة، من بينها ٢٠٠ جمل، والألباستر القادم من جنوب الجزيرة العربية. وتظهر النقوش السبئية الصخرية المكتشفة حديثاً أن القوافل كانت تسلك الطريق الشمالي لطريق البخور، بينما تشير الأحداث العسكرية التي شنها حكام سبئيون مثل يثع أمر وكرب إيل إلى أنها كانت تهدف أساساً إلى حماية وتأمين الطريق التجاري الداخلي الجنوبي، بما يعكس مصالح اقتصادية واضحة. ورغم أهمية

(١) عميدة شعلان، ومحمد عطبوش، ٢٠٢٣. عرض علمي عن "الملتقى السبئي الخامس والعشرون، اكتشاف الماضي:

آثار وتاريخ جنوب الجزيرة العربية وجيرانها"، مجلة أدوماتو العدد، ٤٨: ٤٧-٥٢.

التجارة، فإن النشاط التجاري نادراً ما يُذكر في المصادر السبئية المحلية، سواء في النقوش التذكارية الكبيرة أو الكتابات القانونية أو نصوص الزبور، على عكس نقوش الشعوب الشمالية المجاورة التي توضح هذه الأنشطة بوضوح. ويُعد الاكتشاف الأثري الذي نفذته بعثة المعهد الألماني للآثار في صِرَواح عام ٢٠٠٤ تحولاً مهماً، إذ عُثر على نقش في الجهة الشمالية الغربية من فناء المنطقة المقدسة، يعود إلى القرن الثاني قبل الميلاد، يوثق إعلاناً عاماً لاتفاق بين القبيلتين الرئيسيتين في صِرَواح وجماعة التجار المحليين (š'bn / mkrn / d-srwḥ) بشأن منع الاستيلاء غير المشروع على الجمال المخصصة للحمل، مع تحديد غرامات مالية تتناسب مع المسافة التي يُستغل فيها الجمل.

اتفاقية بين بني حُباب وبني عَنانان وجماعة التُّجَّار في صِرَواح (ص ص ١٣-٢٢) من خلال النقش (DAI Sirwāḥ 2004-1) الذي يقدم لنا معلومات تفصيلية عن الدور الاقتصادي والأهمية التجارية لصِرَواح. وللمرة الأولى، يُذكر فئة التُّجَّار في سياق واضح، حيث يُنظر إليهم كجماعة اجتماعية-اقتصادية مستقلة ضمن المجتمع القبلي للمدينة، رغم عدم اليقين بشأن انتماء جميع أفرادها للقبيلتين الرئيسيتين بني حُباب وعَنانان^(١) أو لقبائل أخرى. ومن المرجح أن هؤلاء التُّجَّار مقيمون في صِرَواح، إذ تُحصّل الغرامات والعُشر ومبالغ الذبائح بعد عودة القوافل فقط، ما يشير إلى مساءلتهم محلياً. كما يعكس النقش شبكة الطرق والعلاقات التجارية، إذ تمتد شرقاً إلى مَارِبَ وقَتَبان، وغرباً إلى رحبتان^(٢) وكُتبان، وتبرز صِرَواح كنقطة انطلاق رئيسية لتنظيم حركة القوافل، بما في ذلك استدعاء الجمال من عُرَّان مَوْجَلان والمناطق المحيطة. وتوضح الغرامات المرتبطة بالمسافة، مثل ٢٠ قطعة نقدية (بلط)^(٣) للجمل إلى كُتبان، حجم النشاط التجاري والأهمية الاقتصادية للقوافل. ويشير النقش إلى ثلاثة أنواع من المدفوعات المتعلقة بالاستعارة غير المشروعة للجمال: للمالكين، وعُشر للمعبد، ودفعات إضافية للذبائح، وهو أول دليل كتابي سبئي واضح على دفع العُشر من التجارة الداخلية للمعبد، ويُحتمل أن يكون المعبد الكبير للمعبود ألقه هو المستفيد. كما تشير الأدلة إلى أن النشاط التجاري في صِرَواح شمل نقل السلع الثقيلة باستخدام الجمال وأزواج الثيران، ما يدل على أن

(١) العَنان.

(٢) الرَّحبة.

(٣) القطعة النقدية (بلط)، تعادل (٣، ١٦) غراماً من الفضة (Nebes 2025: 95).

المنتجات المصدرة لم تكن سلعة محلية صغيرة، بل سلعة تجارية رئيسية تُنقل عبر قوافل منظمة، ويؤكد ذكر عُرَّان مَوْجَلان دوره كمصدر رئيسي لحيوانات الحمل.

صُرَواح ومحاجر الألباستر في المَنجَز بَنجَد المَخدَرة (ص ص ٢٣-٤٤)

عُرَّان مَوْجَلان ومصدر الألباستر من المَنجَز: يمكن تحديد الموقع الذي ورد ذكره مراراً في النقوش تحديداً قاطعاً استناداً إلى الشواهد الكتابية، وكذلك إلى خصائصه الجيولوجية. ويمكن تحديد موقع عُرَّان مَوْجَلان القديم^١ بأنه يطابق موقع المَنجَز الحالي^٢، الواقع على بُعد 11.5 كم شمال-شمال غرب صُرَواح، غرب وادي المَخدَرة، وقد سجّل في خريطة إدوارد جلازر باسم (Mankaz) يمتد المحجر على مساحة نحو ٢,٥ كم²، وكان يُستخرج منه الألباستر منذ العصور القديمة، كما يشير المصطلح (موجل) في النقوش السبئية والقبتانية إلى الألباستر. لا يمكن تحديد زمن بدء استخراج المحجر بدقة، لكن استناداً إلى التوقيعات العرضية لأسماء حكام مثل يدع إيل وسُمهُ علي، والارتباط بالمعابد الكبرى في يما، يُرجح أن النشاط كان قائماً منذ القرن السابع قبل الميلاد وربما قبله. كان العمل يتم بأمر المُكْرَب، وينفذه النحاتون (جربي)، ويشير وجود مشرف (قين) إلى أن التعدين وصل إلى مستوى صناعي كبير يستلزم تنظيمًا إداريًا. تؤكد النقوش والمنشآت المعمارية القديمة أن الموقع كان مأهولاً قبل الإسلام، حيث ذُكرت القبائل الرائدة (ذو حُباب، ذو عِنانان) والقبائل الأصغر (موقَص، شهر علي)، إلى جانب الأتباع الموالية لهذه القبائل بصفتهم مالكيين ومستوطنين في مَوْجَلان. الألباستر المستخرج يُنقل جنوباً إلى صُرَواح عبر طريق مخصص لا يزال محفوظاً جزئياً

(١) عُرَّان مَوْجَلان (b-'r/mwgl) لم يُعرف هذا الموضع حتى الآن إلا من خلال نقوش عُثْر عليها في صُرَواح، وذلك في نصّين قانونيّين هما (DAI Şirwāh 2002-12/5 = Gl 1573a Schm/Sir 109/5)، وكذلك في ثلاث مراسيم متطابقة خاصة بأحجار الحدود، حيث يرد الاسم بصيغة (msb'/mwgl) يتعلق الأمر بمنطقة شاسعة لاستخراج الألباستر، تضم بقايا استيطان سكني (Nebes 2025: 16-17).

(٢) بناء على إستفسار وجهته كاتبة العرض إلى د. علي طعيان، أستاذ الآثار المشارك بجامعة حائل، والمؤرخة في ٥ يناير ٢٠٢٦، بشأن اسم الموضع (المَنجَز) الوارد في كتاب نبيس، يرى طعيان أن هذه التسمية غير دقيقة، وأن الاسم المتداول محلياً حتى اليوم في صرّواح هو (المعجَز). ويطلق على الجزء الغربي من جبل هيلان، المعروف محلياً بجبل جيري، والقريب من نجد المَخدَرة، في موضع يُعرف بـ(موقل). ويتميز هذا الموضع بكونه ممراً ضيقاً بين جبلين صغيرين، يعبره طريق قديم أسهمت حركة القوافل في تسويته عبر الزمن.

حتى اليوم. يبدأ هذا الطريق عند مجرى الوادي العلوي على الجانب الأيسر من وادي الغدو، ويمتد نحو محاجر الألباستر في المنّجَز، ويظهر القسم الأخير منه كمسار معبد بطول ٢,٧٥ كم وعرض يصل إلى ٤,٥ متر، مرصّف بحجارة من الحجر الجيري مع أحجار تحديد على الحواف، بحد أقصى للانحدار ١٣ درجة و سطح مصقول، مما يدل بوضوح على استخدامه لنقل الأحمال الثقيلة.

الألباستر كمنتج للتصدير: يُعد الألباستر-الكالسيت من المواد الحجرية المهمة في العمارة الدينية لجنوب الجزيرة العربية، حيث استُخدم في القواعد، مواقد البخور، التماثيل، والرؤوس المنحوتة لشواهد القبور، بما يعكس قيمته الدينية والاقتصادية والاجتماعية. ويظهر بوفرة في معبد ألمقه بصرواح، ويُعزى ذلك جزئياً إلى سهولة استخراجة محلياً، كما جعله متاحاً للتصدير الإقليمي منذ الألفية الأولى قبل الميلاد، مع كون محاجر المنّجَز/مَوْجَلان المصدر الرئيس لهذه المادة عالية الجودة. استُخدم ألباستر صرواح في مواقع رئيسة مثل تمنع، مقبرة حيد بن عقيل، وشبوة خلال القرون الثلاثة الأولى للميلاد، بينما اقتصر ظهوره في مواقع أخرى على قطع نخوية محدودة. وتشير التحليلات إلى أن معظم هذه المواد نقلت من محاجر المنّجَز/مَوْجَلان، ويعزز ذلك وجود شواهد نقوشية تدل على نشاط نحّاتين متخصصين من فرق مهنية بارعة. كما تشير النقوش إلى دور النخبة السبئية في توظيف الألباستر في مشاريع معمارية دينية كبرى. تُظهر هذه المعطيات أن ألباستر صرواح لم يكن مجرد مادة بناء، بل عنصراً محورياً في شبكات التبادل الاقتصادي والثقافي والديني، امتد تأثيره إلى مناطق واسعة، واستمر حضوره في عمارة النخبة الحميرية في فترات لاحقة، ما يعكس قيمته العالية ضمن النشاط التجاري والمعماري للمدينة، رغم غياب ذكره المباشر في النقوش التشريعية كسلعة متداولة.

شبكة طرق جماعة تجار صرواح: يشير تداول ألباستر صرواح منذ الألفية الأولى قبل الميلاد عبر الطرق الصعبة إلى أن المادة كانت تتداول أيضاً عبر مسارات أسهل شمالاً وغرباً نحو شرق البحر الأبيض المتوسط أو عبر تيماء إلى بلاد ما بين النهرين. وعلى نطاق إقليمي داخلي، ارتبطت قوافل صرواح بمراكز جنوب الجزيرة العربية مثل قَتَبان شرقاً، ورحبتان وكُتَبان غرباً، متصلة بـإرب وتمنّع على مسار طريق البخور الجنوبي، مما يعكس نشاطاً تجارياً منتظماً تجاوز الصراعات العسكرية السابقة. منذ القرن الرابع قبل الميلاد، صارت قَتَبان السوق الرئيس للألباستر الصرواحي، كما تدل كميات كبيرة من الرؤوس المنحوتة، وقواعد التماثيل، والشواهد القبرية المكتشفة في تمنّع ومقبرة حيد بن

عقيل، بينما يُرَجَّح أن مدناً قَبْطَانِيَّة أخرى كانت تتلقى الألباستر الخام من محاجر المَنْجَز/ مَوْجَلان عبر قوافل تُجَار صُرَواح. ويرتبط استيراد الألباستر في قَبْبان بزمن نقش الاتفاقية المؤرخ إلى القرن الثاني قبل الميلاد، وهو ذروة استخدام المادة في النقش والزخرفة المعمارية. أما رحبتان وكَبْتان فاحتفظتا بأهمية اقتصادية محلية، كما يوضح نقش قانوني سبئي من صُرَواح يعود إلى أوائل القرن الثالث قبل الميلاد، الذي يشير إلى جمع جزية من جماعات سكانية وتجارية في هاتين المنطقتين. ومن هنا، كان نشاط تجار صُرَواح في رحبتان وكَبْتان مرتبطاً ليس فقط بتصدير الألباستر، بل أيضاً باستيراد المنتجات الزراعية إلى المدينة لتعويض محدودية الإنتاج المحلي.

صُرَواح والأنباط في طريقهم إلى المرتفعات اليمنية: يبرز سؤال مهم للمؤلف، ما هو الدور الذي لعبته صُرَواح بوصفها محطة ووجهة ضمن شبكة الطرق والتجارة في جنوب الجزيرة العربية، بعيداً عن مكائنها كمركز لتصدير الألباستر؟. ساهمت النقوش الجديدة في إلقاء الضوء على هذا الدور. أحد هذه النقوش، ثنائي اللغة سبئي-نبطي، اكتُشف عام ٢٠٠٤ خلال حفريات المعهد الألماني للآثار في معبد المعبود ألقه بصُرَواح. يتناول النقش مقدمة نذرية للمعبود النبطي ذو شَرا، مؤرَّخة بالسنة الثالثة من حكم الملك النبطي الحارث الرابع (حوالي ٦/٧ ق.م). وقد أثار هذا الاكتشاف تساؤلات حول طبيعة وجود الأنباط في مدينة تقع خارج المسارات الرئيسية لطريق البخور الجنوبي. طرحت بعض الفرضيات احتمال تركز أو احتلال نبطي في صُرَواح عقب حملة إيلْيوس جاليوس أو ضمن سياسة الإمبراطور أوغسطس تجاه الحارث الرابع، إلا أن هذه الفرضيات تفتقر إلى دليل مباشر؛ فلا توجد آثار لمستوطنات نبطية أو منشآت دينية نبطية في الموقع، والنقوش السبئية الأخرى لا تشير إلى حضور نبطي دائم أو منظم. وتقدّم الاتفاقية السبئية، التي سبقت النقش بأكثر من قرن، تفسيراً أبسط وأكثر انسجاماً: فمن المرجح أن النبطي المذكور كان تاجرًا توقّف في صُرَواح أثناء تنقله التجاري، سواء منفرداً أو ضمن قافلة، وقدم نذرًا للمعبود ذو شَرا في معبد ألقه، ما يعكس تأثير التجارة على تداخل ديني مؤقت وليس وجوداً عسكرياً أو إدارياً. ويؤكد نقش ثانٍ سبئي-نبطي، اكتُشف حديثاً وأُعيد استخدامه في بناء منزل قرب بينون، وجود تجار نبط في هذا الجزء من المرتفعات، ويشير إلى مسار الطريق من صُرَواح إلى المرتفعات الجنوبية، الذي يبدو أنه اتجه مباشرة نحو الجنوب الغربي مروراً بخولان وبني صَبِيان، ثم الحدّا، بينون وذمار وصولاً إلى العاصمة الحميرية ظفار. تشير هذه النقوش إلى أن صُرَواح لم تكن مدينة هامشية، بل

شكّلت عقدة وصل مهمة للقوافل القادمة من الشمال والمتجهة إلى المرتفعات الغربية والجنوبية. كما تظهر الشواهد النبطية أن هذه العقدة كانت مقصدًا لتجارة يشاركون في التجارة البرية بعيدة المدى. وبغض النظر عن دور ألباستر صرّواح ومراكز مثل بينون وذمار، يبدو أن اهتمام الأنباط كان موجّهًا أساسًا نحو العاصمة الحميرية ظفار ومدن الساحل الجنوبي مثل موزع/ المخا وعدن. ويؤكد نقش نذري من العصر السبئي الوسيط استخدام الطريق البري من صرّواح إلى عدن فعليًا، ما يبرز الدور المحوري لصرّواح في ربط الداخل بالساحل ضمن شبكة طرق جنوب الجزيرة العربية.

صرّواح، مدينة المعابد والألباستر: أدت حركة القوافل دورًا محوريًا في تاريخ صرّواح منذ الألفية الأولى قبل الميلاد، ويتجلى ذلك بوضوح في استخدام ألباستر المنجّر في المعبد الكبير للمعبود ألمقه في محابلهضبة الإثيوبية، وهو ما يستلزم نقل هذه المادة من صرّواح عبر مسارات برية وبحرية معقدة. وخلال هذه المرحلة، وحتى مطلع العصر السبئي المتأخر، كانت التجارة البعيدة المدى— وكذلك استغلال محاجر الألباستر— خاضعة لسيطرة المؤكربين والملوك، وهو ما تؤكده شواهد تاريخية ونقشية متعددة. فالغزو الذي تعرّضت له قافلة مشتركة من تيماء وسبأ على الفرات الأوسط في منتصف القرن الثامن قبل الميلاد، إلى جانب المبادرات الدبلوماسية التي قام بها الحكّام السبئيون يثّع أمر وكرب إيل تجاه الملوك الآشوريين سرجون الثاني وسنحاريب، يشير بوضوح إلى أن التجارة البعيدة كانت نشاطًا منظمًا تديره السلطة السياسية العليا. وتؤكد النقوش الصخرية المكتشفة حديثًا في جبل ساق قرب العلا/ ديدان هذا التصوّر؛ إذ تضم أسماء أشخاص يعرفون أنفسهم بأنهم من مارب، ومن بينها نقش يؤرّخ إلى أواخر القرن الثامن قبل الميلاد يوثق بناء سور حول حرم المعبود ألمقه في ديدان بأمر من الملك السبئي يثّع أمر^١. كما تقدّم نقوش بير حمى، الواقعة شمال شرق نجران، صورة إضافية عن كثافة نشاط القوافل السبئية. فإلى جانب الرسوم والأسماء الشخصية، يرد ذكر (mrkbt/mlkn) "قافلة الملك"، في نقش يعود إلى أواخر الفترة السبئية القديمة، كما تظهر أسماء أفراد سبئيين يُشار إليهم بالألقاب وظيفية مرتبطة مباشرة بخدمة الحكّام، ما يعكس إشرافًا مباشرًا من السلطة على الحركة التجارية المتجهة نحو شمال غرب الجزيرة العربية وشمالها الشرقي. وتكتمل هذه

(١) سليمان بن عبدالرحمن الذيب - أحمد بن محمد المسعود، نقوش عربية سبئية من محافظة العلا: المملكة العربية السعودية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ٢٠٢٥.

الصورة من خلال شواهد وادي سهام في تهامة، الذي كان أحد المنافذ الرئيسة نحو ساحل البحر الأحمر. فمن هذه المنطقة—أو من خلجان قرية—عبر السبئيون إلى إثيوبيا، وهو ما تؤكد نقوش من الحامد والواقر تعود إلى الفترة السبئية القديمة. ورغم أن الإهداءات النقشية في حرم يُحتمل أنه مكرّس للمعبود ألقه في الحامد لا توفر معلومات مباشرة عن طبيعة السيطرة السياسية، فإن نصاً قانونياً من الواقر يقدم دليلاً أوضح؛ إذ يؤكد أحد المُكْرِبِينَ حقوق السكان المحليين استناداً إلى مرسوم سابق محفوظ في معبد ألقه، صادر عن يدع إيل ذريح، الذي يُرجح أنه كان فاعلاً في منتصف القرن السابع قبل الميلاد. ويشير ذلك إلى سيطرة المُكْرِبِينَ السبئيين على تهامة، ولا سيما على المنافذ الساحلية التي انطلقت منها القوافل القادمة من مَارِب وصِرَواح لعبور البحر الأحمر. وعليه، يتضح أن نشاط القوافل—تماماً كاستغلال الألباستر—لم يكن شأنًا فردياً أو عائلياً، بل خضع لإشراف المُكْرِبِينَ السبئيين. غير أن التنفيذ العملي لهذه الأنشطة كان، على الأرجح، منوطاً بأعضاء القبائل البارزة، الذين قد يكونون شكّلوا أطراً جماعية للتجارة، شبيهة بما نعرفه لاحقاً من "جمعية التجار" في صِرَواح في القرن الثاني قبل الميلاد. وتُظهر النقوش الصِرَواحية أن المعبد كان الجهة الوحيدة المخوَّلة بجمع العُشَر وضرائب ذبائح المعارك، إلى جانب القبائل البارزة وروابط مواليتها، دون ذكر لأي سلطة ملكية مباشرة في هذا السياق. ويتوافق ذلك مع حقيقة أن آخر المراسيم الملكية المعروفة من صِرَواح تُورَخ إلى أوائل القرن الثالث قبل الميلاد، وأن النقوش اللاحقة—حتى منتصف الفترة السبئية—صدرت إمّا عن معبد ألقه أو عن مجتمع صِرَواح نفسه. وتشير هذه المعطيات إلى أن المدينة تمتعت منذ القرن الثاني قبل الميلاد بدرجة عالية من الاستقلالية المجتمعية مقارنة بمَارِب، وأن تنظيم التجارة الداخلية أصبح من اختصاص المجتمع المحلي.

ومن الناحية الدينية، تُعدّ صِرَواح—بعد مَارِب—أحد أهم مراكز العبادة السبئية، وهو ما تؤكد سجلات الأعمال من أواخر القرن الثامن وأوائل القرن السابع قبل الميلاد، فضلاً عن المساحة الواسعة التي تشغلها المنطقة المقدّسة مقارنة بمساحة المدينة المسوّرة. ويحتل حرم المعبود ألقه مكانة محورية في هذا السياق، بوصفه أكبر مجمّع معماري في المدينة، حيث وُضعت السجلات الملكية والنقوش الإهدائية التي تمتد على مدى أكثر من ألف عام. وإلى جانب ذلك، يمكن إثبات وجود ما لا يقل عن أربعة معابد أصغر، اثنان منها مكرّسان لعبودات أنثوية. وعلى الرغم من وضوح الأهمية الدينية لصِرَواح، فإن وضعها الاقتصادي لم يحظَ بالاهتمام نفسه. فرغم معرفة محاجر الألباستر منذ

ثمانينيات القرن الماضي، لم تُدرَس بعد بشكل كافٍ الآثار الاقتصادية الواسعة لاستغلالها الصناعي. ومن المرجح أن تصدير الألباستر، المرتبط بحركة قوافل نشطة، أسهم في ازدهار المجتمع الصرّوآحي وفي النشاط الإنشائي المبكر الذي تميّز ببناء معابد ضخمة. ومع ذلك، فإن الشواهد النقشية لا توفر دلائل مباشرة على تجارة الألباستر؛ إذ لا يظهر مصطلحه الجنوبي القديم (موجل) في نقوش صرّوآح إلا نادراً، وغالباً في أسماء مواضع. كما تغيب النقوش اليومية على الأعواد الخشبية التي نعرفها من مراكز أخرى. ويبدو أن المعبد أدّى دوراً مركزياً بوصفه هيئة عليا للمعاملات المالية والقانونية، وهو ما يفسّر كثرة النقوش الضخمة المرتبطة بالحركة النقدية. ويُحتمل أن يرتبط هذا التنظيم بهذه الإتفاقية، وكذلك بالمجمع المعماري الدنيوي المكتشف شمال سور المدينة، والذي يُفسّر على نطاق واسع بوصفه منشأة إدارية. ويؤرّخ أقدم مراحلها إلى القرن الثاني قبل الميلاد، وهو ما يتوافق مع زمن نقش الاتفاقية، ويشير إلى تزايد أهمية إدارة حركة القوافل في تلك الفترة. وبذلك يتضح أن تجار صرّوآح في القرن الثاني قبل الميلاد كانوا منخرطين في شبكة تجارية واسعة، شملت المرتفعات الشمالية والجنوبية، وارتبطت على نحوٍ خاص بقتبان، التي كانت آنذاك الشريك التجاري الأهم، والمستورد الرئيس للألباستر المنجّز.

نصوص من المنطقة المحيطة (ص ص ٤٥-٩٣) يضم هذا الجزء عرضاً تحليلياً لمجموعة من النقوش المكتشفة في محيط صرّوآح، منها نقوش جديدة وأخرى منشورة سابقاً، ترتبط بقبيلة عنانان والمواقع المجاورة. وتُسهم هذه النقوش في توسيع فهم السياق السياسي والاجتماعي للمنطقة. منها النقش (DAI Şirwāḥ 2005-30=Sir05 C 175): "رَزِين (من قبيلة) عِنَانَان من (عائلة) دَزَّان قَدَم هذه النقش كإهداء لِلْمَقَّة، سيد أوعال صرّوآح، لأنه قدّم أمطار الخريف في الشهر الذي تولى فيه، في السنة الثالثة من حكم عَم يَتْع ابن عَم كَرَب، من قبيلة كبير خَلِيل، منصب الكاهن لصالح أَلْمَقَّة، في جميع أنحاء البلاد، وذلك بعد الطاعون الذي حل قبل هذا الشهر. وشكر قوة أَلْمَقَّة وعثر شيمم". ويشير النقشان (DAI Şirwāḥ 2002-25=Schm/123) و (DAI Şirwāḥ 2002-26) إلى أن "مَعْد كَرَب ابن عَم كَرَب من قبيلة ذو حُبَاب والمسؤول عن أَلْمَقَّة وكَرَب إيل وسُئْمَةُ علي يَدْع إيل، قام بتمهيد أرضية الألواح في معبد أَلْمَقَّة، وذلك ببركة عثر وأَلْمَقَّة. والنقش الثاني يعتبر جزء من نسخة ثانية للنقش الأول.

وعن الاتفاقية بين مالكي الأراضي والمستوطنين في عُرَّان مَوْجَلان تتجلى في النقش (GI 1573a) عبارة عن "قرار صادر عن بَنُو ذو حُبَاب وبَنُو عِنَانان وبَنُو شَهْر علي وبَنُو موقَص، وكذلك عن موكلِّي ذو حُبَاب وموكلِّي عِنَانان و[موكلِّيهم]، وهم "السادة" والمستوطنون في عُرَّان مَوْجَلان يقضي بعدم السماح لهم بأن [...] الألباستر لأي شخص [...]".

أما نقوش الحجارة الحدودية على الطريق من صِرَواح إلى المَنَجَز/ مَوْجَلان، النقش الأول (DAI ad-Dara'ī 2005-1) موجود عند المنبع الأعلى لوادي الغُدُو' ومحافظة بالكامل، مما يسمح باستكمال النسخ المكررة (Lu 11; GI 1532)؛ فالنقش الثاني (GI 1532)، وفقاً لما رايها هوفنر، يعود إلى منطقة الباطن شمال صِرَواح على الطريق المؤدي إلى مَوْجَلان عبر وادي الغُدُو، أما النقش الثالث (Lu 11) فمكان العثور عليه غير معروف، وبحسب ملاحظة (أ.ج. لوندن) يرجح أن حجر الحدود الأصلي وُضع على نفس المسار الشمالي للطريق شمال صِرَواح. وتشير النقوش الثلاثة إلى أن لوحات الحظر كانت منصوبة شمال صِرَواح على طول الطريق الممتد عبر وادي الغُدُو، وتحدد هذه اللوحات نطاق الحماية من الغرب بواسطة أنصاب الحدود المتجهة شرقاً، ومن الشرق عبر مصفوفات الأحجار التي تحد الطريق، بهدف منع استغلال الأراضي الزراعية الممتدة باتجاه الطريق وضمان ثباته. والمخاطبون بهذه النقوش هم (غبرم)، وهم فئة اجتماعية-اقتصادية متدنية، ربما كانوا مستوطنين قرب مَوْجَلان ومستفيدين من استخراج الحجر، ومستغلين أجزاء من أرض الوادي العليا، إذ أن منطقتهم في نجد المَحْدَرَة لا تسمح بزراعة فعالة.

نقوش المَنَجَز/ مَوْجَلان التي تم توثيقها خلال المسح الميداني الذي أجرته البعثة الألمانية لمنطقة المحاجر عام ٢٠٠٧ (DAI al-Manğaz 2007-1; 2; 3; 4; 5; 6) يرى نيس أن الألقاب الوظيفية المرتبطة بالحاكمين يدَع إيل وسُمُهُ علي، اللذين يُرجَّح نشاطهما في منتصف القرن السابع قبل الميلاد، تدلّ على أن استخراج الألباستر في العصر السبئي القديم كان يتم تحت إشراف المُكْرَب، وقد نُفِذت أعمال المحاجر بتفويض منه على يد نَحَّاتين محترفين (جَرَبِي)، بينما تشير التواريخ الاسمية لـ (قين)، مدير تابع لسُمُهُ علي، إلى وجود تنظيم إداري تطلّب حضوره في موقع العمل.

(١) ورد في الصفحة (٥١) خطأ مطبعي في اسم الموضوع، حيث كُتِب المؤلف (Wadi al-Gudū)، والصواب (Wadi al-Gudū) ، وادي الغُدُو، كما ورد صحيحاً في الموضوع نفسه وفي الصفحات اللاحقة من الكتاب.

(٢) غُبرُم: فئة من المتقطعين على الطرق الذين يعتمدون على إثارة النزاعات كمصدر للرزق.

وهناك نحات من بني عنانان في يحا في النقش (DAI Grat 2019-1=Yeh 19 B 102)، ومسؤول رفيع من بني عنانان في مارب وشبوة في النقش (DAI Bar'ān 1990-9).
النقش الثنائي اللغة النبطي-السبئي المؤرخ من صرّواح، بصيغته النبطية: (DAI Širwāḥ 2004-12=Sir04 A 172) معنا "هذا هو حجر العبادة والقاعدة (المستطيلة) التي أقامها تيممو، ابن كوشاي، ابن تيممو، للمعبود ذو شرّا في صرّواح، وذلك في شهر طبت، في السنة الثالثة من حكم الحارثة، ملك الأنباط، (محبّ شعبه)". وبصيغته السبئية، من النقوش المجمعة: (DAI Širwāḥ 2004-12+2004-6+1992/3-x+2002-83) معنا: "تيمم[وم]، ابن كوشاي، النبطي، شيد وأكمل [مقام العبادة] لمعبوده ذو شرّا، إله الأنباط، في [صرّواح في شهر ...] ذو سبّا في سنة الإيونييم (الشخص) [بعث] تر من قبيلة حزفر [الحارثة]، ملك الأنباط [...]".

يشكل النقش الثنائي المؤرخ من صرّواح شاهداً محورياً لضبط الكرونولوجيا في جنوب الجزيرة العربية قبل الميلاد، إذ يتيح تحديداً دقيقاً لحوالي عشرين شكلاً حرفياً في النسخة السبئية. ويكشف عن ظواهر لغوية نادرة، مثل تمثيل اللاحقة النبطية (و) بالميم في السبئية، ونقل الفروق الصوتية للصوامت الصفيرية، حيث يقابل الحرف النبطي (ش) ب (س) أو (ش) حسب الإدراك السمعي للكاتب. كما يبرز النقش آلية ترجمة واعية، إذ لم تُنقل الصيغة السبئية حرفياً، بل أُعيدت صياغتها لتتوافق مع الأعراف السبئية، من خلال تكييف الصيغ النحوية، وحذف عناصر غير مألوفة، مع إبراز الهوية النبطية للمانح وتحديد المعبود الرئيسي محلياً. ويجمع التأريخ في النسخة السبئية بين نظام الاسم الإيونييمي وسنة حكم الملك النبطي، ما يعكس الاعتراف بالانتهاء السياسي رغم اختلاف البيئة الثقافية. وتزداد خصوصية النقش عند مقارنته بالنقش الثنائي الأقصر من قرية الفاو (Qaryat-F13-43) حيث تهيمن النسخة السبئية بصرياً، بينما تُذكر الصيغة النبطية المختصرة لاحقاً، ما يشير إلى ارتباطها بالسياق الجنائزي وتأكيد الدلالة القانونية للنص في بيئة لغوية أجنبية.

نقش لأحد أفراد بني عنانان في عدن وقنا (DAI Širwāḥ 2005-60) يقدم هذا النقش رواية فريدة عن أحد أفراد قبيلة صرّواح الذي وصل إلى السواحل الجنوبية للبحر الأحمر وأقام عامّاً كاملاً في قنا، على ما يبدو لأغراض تجارية، حيث يشير استخدام الفعل (سبّا) إلى رحلة برية من صرّواح مروراً بينون ودّمّار وظفار ووادي تبن إلى عدن ثم قنا، وهو ما يتوافق مع المسارات التجارية البرية المعروفة. ويكشف النقش أيضاً عن إلزامية المشاركة في الحج السنوي للمعبود ألقه في شهر ذو أهبّي،

مع فرض عقوبات من بني حَزَفَرٍ في مَارِبَ على المخالفين، ما يعكس سيادة الالتزامات الدينية على القبائل التابعة للمجال السبئي. ويشير تخصيص الإهداء إلى أن المانح أوقف لأسباب دينية لكنه نجا من عقوبات أشد، مؤكدًا استمرار خضوع صُرُواح للسلطة الدينية لمَارِبَ في أوائل القرن الثالث الميلادي وقدرة كهنة أوام على فرض الالتزامات الطقسية.

نقوش من معبدي رَحَبَ وَخُلَيْمٍ في صُرُواح: منها للمعبود عثر شميم في معبد رَحَبَ، من خلال النقشين (Sirwāḥ 2005-4=Sir04 A 248; Sirwāḥ 04; DAI). وأخرى للمعبود عثر شميم دون ذكر اسم المعبد، من خلال ثلاثة نقوش (Schm/Sir 46; DAI Sirwāḥ 2008-H4; Collection privée yéménite 2016-3). تبرز أهمية النقوش الخمسة المكتشفة في صُرُواح في دلالتها الواضحة على عبادة المعبودة عثر شميم بصيغة أنثوية خالصة، دون اقترانها بصيغة مذكرة، وهو ما يعكس تركيز العبادة على شخصية أنثوية مستقلة. كما تُظهر تراكيب الاسم المركّب، مثل عثر شميم، ارتباط المعبودة بحامٍ إلهي محدد، وإن بقيت هويته غير واضحة، على غرار أمثلة أخرى كعثر المرتبطة بالمعبود نَكْرَحَ. وترتبط هذه المعبودة بمعبد داخل المنطقة المقدسة في صُرُواح، يُرجَّح أنه معبد رَحَبَ، ثاني أكبر معابد المدينة بعد معبد أَلْمَقَه، ويقع في الفناء الشمالي الغربي، ويتميّز ببوابته الأمامية الضخمة وبحجر وقف البناء الذي يذكر أَلْمَقَه وعثر شميم معًا. وتشير المعطيات النقشية والأثرية إلى المكانة المركزية لعثر شميم في المشهد الديني للمدينة، إذ شكّل المعبد المكرّس لها محورًا للعبادة والإهداءات الرسمية، بما يعكس التداخل بين الطقوس الدينية والبنى الاجتماعية وتوزيع السلطة في المجتمع السبئي.

نقوش للمعبودة أثيرت/ أم عثر، مع ذكر معبد خُلَيْمٍ، من خلال النقوش الثلاثة (DAI أثيرت/ أم عثر دون ذكر معبدها، من خلال النقش: (1) al-Ġarū-al-Hāḡḡ).

(١) في الصفحة ٨٧ من الكتاب، الفقرة (1 al-Ġarū-al-Hāḡḡ 4.10.2.2.1) يُستحسن أن يعتمد المؤلف في المقام الأول على المقال الأصلي المنشور للنقش، باعتباره المصدر المرجعي الأساسي، وهو المقال الذي أعدّه مؤلفا النقش، أسمهان الجرو ومحمد الحاج، "المعبودة أثيرت (أثيرة) أم المعبود عثر في ضوء نقش سبئي جديد (الجرو-الحاج ١)"، مجلة الخليج للتاريخ والآثار، العدد العاشر، ٢٠١٥: ٧١-٩٦.

تُبرز هذه النقوش، وفقاً لنيس، فرضية مفادها أن أثرت وأم عثر تمثالان معبودة واحدة، وهو ما تؤكد لوحه برونزية مكرسة لهما. تنتمي أثرت في الأصل إلى الدائرة القتبانية، بينما يقتصر ذكر أم عثر على الإقليم السبئي. ويمكن تحديد معبد أثرت أم عثر داخل الحرم المقدس في صرّواح اعتماداً على السوار الذهبي المودع والإهداء المنقوش على حجر المذبح، الموجه أيضاً إلى المعبود ألقه، والمتضمن دعاء لضمان استمرارية الذرية. ويُلاحظ أن نص السوار جاء بالصيغة القتبانية فقط، ما يعكس اختيار المهدي للاسم المؤلف لديه. ويُعد هذا السوار أقدم شاهد كتابي معروف، يُورخ إلى معبد محلّثم نحو القرن الرابع قبل الميلاد، يليه نقش المذبح المحتمل من القرن الثاني قبل الميلاد. كما يظهر أن المعبد لم يقتصر على الوظائف الدينية، بل لعب دوراً حياً في المعاملات المالية والقانونية، إذ تشير وثائق مثل نقش (GI 1533) إلى استخدامه في تسليم مبالغ كبيرة وحفظ الوثائق، مما يعكس مكانته كسلطة عليا إلى جانب دوره الطقسي.

حول موقع كُتبان^(١): تشير الشواهد النقشية إن الأمثلة الواردة فيما يلي لاسم الموضع (كبتن) كُتبان مأخوذة من نقوش تمتد زمنياً من النصف الثاني من القرن الرابع قبل الميلاد إلى منتصف القرن الثالث الميلادي، وهي: (C 375=J 555; R 3951; Schm/Sir 133; YM 367; Na Mahram Bilqīs 1). ويمكن تحديد موقع كُتبان من خلال النقش (Na Mahram Bilqīs 1/13, 21) بأنه في اتصال مباشر مع أرض حمير (rd / hmyrm)، التي قاد فيها إيل شَرَح يَحْضِب حملاته العسكرية ضد خصمه الحميري كَرَب إيل أَيْقَع.

يرى نيس أن موقع المنطقة يجب أن يكون غرب الهضاب الجنوبية، حيث تجري المواجهات العسكرية المشار إليها في النقوش، جنوب نَقِيل يَسْلِح. ويقدم النقش الإهدائي (C 375) الموجود على جدار المعبد الكبير في أوام، والمؤرخ إلى النصف الثاني للقرن الرابع قبل الميلاد، دليلاً إضافياً، إذ يذكر قائداً عسكرياً بقي خمس سنوات لخدمة ملك سَبَأ في كُتبان خلال الحرب ضد قُتبان، ما يوضح أن الموقع كان جزءاً من سلطة سَبَأ آنذاك. ويشير نقش (R 3951) للملك السبئي كَرَب إيل وَرَ.

(١) حسب قراءة وتقدير طعيان لموقع (كُتبان)، الذي قد يشير إلى نَقِيل غرب صرّواح، المعروف بنقيل الملح أو نقيل حَرِيب، الواقع بين حَرِيب القراميش (بني جبر) وبلاد نُهْم، بالقرب من منجم الرضراض في نُهْم. ويُعد هذا المسار جزءاً من الطريق القديمة، ولا تزال توجد فيه حتى اليوم قرية تحمل اسم كُتبان.

الثاني القرن الثالث قبل الميلاد إلى استمرار السيطرة السبئية على كُتْبَان، مع تسجيل جماعات خاضعة للضرائب في رحبتان وكُتْبَان. وبالنظر إلى الموقع الاستراتيجي لكُتْبَان والمؤشرات الأخرى، يمكن تضيق نطاق المنطقة لتشمل إقليمًا جنوب شرق ذمار، جنوب بَيْنُون، شمال شرق ظَفَّار وغرب رَدَاع، وهي تمثل بوابة دخول إلى الهضاب الجنوبية بالنسبة لِقَتْبَان وحلفائها رَدْمَان وأولاد عَمَّ. من هذا الموقع أشرف السبئيون على الأراضي القَتْبَانِيَّة، ومنه أرسل مقدم نقش (C 375) جنوده إلى مدينة تُهَرَّجَب "نحو الأسفل" (هورد)، ويُرجَّح أنها قاع فَيْد، شرق ذَمَار، جنوب بَيْنُون، وشمال شرق ظَفَّار. يتميز الموقع بإشرافه على أراضي قَتْبَان في المرتفعات الغربية، وسهولة الوصول منه إلى مدن قَتْبَان وأراضي حمير ومدينة ظَفَّار، كما يتيح شمالاً التقدم نحو المناطق السبئية أعلى نَقِيل يَسْلُح وصُرُواح وبني صَبِيَّان، مما يجعله عقدة طرق تجارية وعسكرية مهمة، وربما كان سوقاً تجارياً قديماً كمِنطَقَة الرَّحْبَة. ويُرجَّح أن نقش (YM 367)، الذي يذكر إعادة بناء منزل دُمَر، يعود إلى كُتْبَان أو إلى موقع قريب منها، وربما يرتبط بحملة سبئية في المنطقة، غير أنه لا يمكن الجزم بأن هذه الحملة هي ذاتها المذكورة في نقش (Na Maḥram Bilqīs 1). في كل الأحوال، يشير النقش (YM 367)، إلى طابع سبئي جنوبي غربي، كما يتضح من مصطلح (m'dbt) الذي يُترجم بـ"موكلون/تابعون". كما يُظهر أن كُتْبَان في القرن الثالث الميلادي، وقت كتابة النقش، كانت ثقافياً وسياسياً تتبع الجانب الحميري.

ويُختتم الكتاب بملخص موجز باللغة الإنجليزية (ص ص ٩٥-٩٧): بأن هذه الدراسة تعتمد على نقش سبئي غير منشور اكتُشف عام ٢٠٠٤ في الحرم المقدس لمدينة صُرُواح، ثاني أكبر مركز حضري بعد مأرب. يسجل النقش اتفاقاً بين قبيلتين رئيسيتين وجماعة التُّجَّار المحليين حول الاستيلاء غير المصرح به على الجِمال، مع غرامات وتعويضات حسب المسافة. ويعد النص أول دليل كتابي سبئي يوضح وجوب دفع العشور من التجارة الداخلية للمعبد، بالإضافة إلى غرامات لإعارة الجِمال غير القانونية. كما يبرز النقش التُّجَّار كمجموعة اجتماعية-اقتصادية متميزة ضمن المجتمع القبلي، ويشير إلى التُّجَّار المحليين المنظمين دون الإشارة إلى القوافل العابرة. كما يقدم معلومات عن موقع (عُرَان مَوْجَلَان)، كمركز استخراج الألباستر، واستخدامه محلياً وللتصدير إلى المعابد في جنوب الجزيرة العربية وإثيوبيا. ويكشف دور صُرُواح في التجارة البرية الدولية كنقطة عبور

للقوافل، مؤكّداً أهميتها الاقتصادية والسياسية-الدينية، وحفاظها على مكانتها كبوابة تجارية ومورّد رئيسي للألباستر حتى الفترة السبئية الوسطى.

الفهارس والمراجع واللوحات (ص ص ٩٩-١٥٦): تشمل مدونات النقوش، دليل النقوش

المعالجة، أسماء المعبودات، أسماء الأشخاص، أسماء الأماكن، قائمة المراجع، واللوحات. ترى كاتبة العرض أن النقوش التي نشرها نوربرت نيس، بعد انتظار طويل، ولا سيّما تلك التي تُنشر هنا للمرة الأولى، تمثّل إسهاماً علمياً نوعياً في حقل الدراسات السبئية. وتكمن أهمية هذا العمل في ما يقدّمه من مفردات ومصطلحات دقيقة لم تكن معروفة من قبل، وهو ما يمنحه موقعاً متقدماً في مجال نشر النقوش، ويوفّر مادة معجمية موثوقة ذات قيمة تفسيرية عالية لفهم التاريخ السبئي، وأنماط النشاط التجاري، والممارسات الدينية في جنوب الجزيرة العربية. ويُحسب للمؤلف اعتماده منهجاً تحليلياً رصيناً، قائماً على التتبّع الدقيق للألفاظ في سياقاتها النقشية، وضبط الأسماء بالحركات استناداً إلى التراث العربي الجنوبي وطرائق النطق الموثّقة. وبذلك يغدو هذا الكتاب مرجعاً أساساً لا غنى عنه للباحثين المتخصصين في النقوش العربية الجنوبية القديمة وتاريخ شبه الجزيرة العربية، كما يفتح آفاقاً جديدة للبحث، ويدعو إلى إعادة النظر في عدد من القضايا اللغوية والتاريخية على ضوء هذه المادة الجديدة.

Contents

Articles:

- **The Role of Al-Masjid Al-Nabawi in Strengthening the Reformist Mission Among the Scholars of the Algerian Muslim Association in the Early Twentieth Century.**
 Prof. Boudalia Touatia 1
- **The Role of Al-Mahra in the Dhofar Revolution (1383-1402 AH /1963-1982 AD).**
 Dr. Samah Saeed Ali Yaslam Al-Azani 41
- **The Old Market in Dhamar City, Yemen: An Archaeological Civilizational Study.**
 Dr. Mabrook Mohammed Al-Dhamari, Tariq Ahmed Al-Mohnish 85
- **New Qatabanian Dedication Inscriptions**
 Prof. Jamal Muhamad Nasir Al-hasny 139

Reviews:

- **Book Review: “In Defense of History”**
 Prof. Abdulrahman Abdullah Al-Ahmari 171
- **Book Review: “The Masked History: A Critical Refutation of Arab Biblicalist Claims”**
 Prof. Ahmed Ali Assirri 191
- **Book Review: “Regulations for the Merchants of Şirwāḥ and the Alabaster Quarries of al-Maḥḍara (Yemen)”**
 Prof. Amida Mohammed Sholan 207

Submit the Manuscript

- Manuscripts should be submitted to the journal's email (shcajournal@ksu.edu.sa) and ensure that the guidelines, terms and policies for submission and publication of manuscripts is being followed.
- Worktime: The journal receives scientific research throughout the year.
- Publication Language: Manuscripts may be submitted in Arabic or English and will be published in one of these languages. Writing quality and clarity are essential requirements for publication.

Guidelines Submission

- Manuscripts should be submitted in (Word) and (pdf) file format.
- The email should include the following details(documents-elements):
 - 1- A cover letter addressed to Editor-In-Chief and should include the importance of the research and its hypothesis. Also its relating to the journal's goals (aim) and visions.
 - 2- An abstract of the research in Arabic and English, which should not exceed 200 characters with spaces and 5 keywords.
 - 3- The principle author bio and associate author if any.
 - 4- A declaration form after filling out and sign it. If there is more than one researcher, each researcher fills out the declaration and approves it individually.

Language and Style

1. Compliance with the scientific method by avoiding the passion, redundant and concise.
2. Adopting the clarity, accurate and well formed the ideas and concepts are required.
3. The issues should be addressed in comprehensive approach.
4. Working on achieving the balance and proportion between the elements of the subject.
5. Taking into account the principle of scientific editing (the validity of the language, orthography and punctuation).

Manuscript style and format

1. Page size: A4
2. Margins: (2.5 cm) at the left and right sides of each page, and (3.5 cm) at the top and bottom sides of each page.
3. Use uniform font for the text (Lotus Linotype, 14 points).
4. Use uniform font for the title (Lotus Linotype, 14 points, bold).
5. Use uniform font for the title of figures, images and tables (Lotus Linotype, 12 points, bold).
6. Use uniform font for the comments (Lotus Linotype, 10 points).
7. Use uniform font in the tables (Lotus Linotype, 10 points).
8. Use uniform font for the English text (Times New Roman, 10 points).
9. Use uniform font for the margins in English (Times New Roman, 8 points).

department/center, college, and university), address, email, and phone number).

13. The author's or authors' name(s) or any indication of their identity must not be mentioned implicitly or explicitly anywhere in the body of the manuscript instead.
14. Submitting the manuscript to the journal is to be considered a pledge that the submitted manuscript has not been previously published, is not currently under consideration for publication at another journal, conference proceedings, or similar publication, and will not be submitted elsewhere while it is under consideration at the Journal of Studies in the History and Civilization of Arabia.
15. The editorial board have the right to run an initial review ensuring the manuscript follows publication regulations.
16. All manuscripts considered for publication must undergo a double-blind peer review in which the author's or authors' names are not revealed to the referees/reviewers and vice versa.
17. Each manuscript must be reviewed by no less than two referees. If two referees have different recommendations, a third referee will be assigned, and their recommendation will determine the final decision.
18. If the referees recommend that a manuscript be revised, the author(s) will be asked to revise and resubmit no longer than 2 weeks.
19. Once a manuscript is accepted for publication by the Journal of Studies in the History and Civilization of Arabia it cannot be published elsewhere, either electronically or in print, without a written consent from the editor-in-chief.

Publication Regulations & Procedures

1. The journal publishes only original research articles (which has never been published) in Arabic or English in the Field of the history of the Arabian Peninsula and its civilization.
2. Research should be characterized by objective, connected organized, and avoiding use personal pronouns as much as possible.
3. Commitment to the scientific method, originality in writing, Being proficient in language and writing style, and organizing the facts and ideas.
4. Compliance with the origins of scientific research in presenting the facts and value others' perspectives
5. The manuscript must be free from any sort of plagiarism, patch writing, or intellectual property violations.
6. Placed the picture, maps, document in the research as much as possible.
7. Name and introduce the places' names and the people's names accurately, and referring them to the suitable sources and references.
8. The official citation format system used by the journal is the ABA. ABA should be used both for in-text citations and the reference list.
9. Manuscripts should not exceed a maximum of 10.000 words, including the abstracts (both in Arabic and English), keywords, references, and appendices.
10. Each manuscript must be accompanied by two versions of the abstract, one in Arabic and one in English. Each should be within 200 words.
11. Each abstract must be preceded by no more than 6 keywords that represent the major topics and the manuscript addresses.
12. The author(s) must provide the following information both in Arabic and English: name, occupation, specialization, affiliation (e.g.,

- Looking forward to the participation of researchers and post- graduate students, and urging them to further improve and scrutinize their research on the history and civilization of the Arabian Peninsula.
- Attracting researchers in the field of historical and civilizational studies of the Arabian Peninsula.

Correspondence

Journal of Studies in the History and Civilization of Arabia (SHCA).

King Salman's Center for Historical and Civilization Studies of

Arabian Peninsula.

King Saud University.

P.O. Box 2456, Riyadh 11451

Kingdom of Saudi Arabia

Tel.: 011- 4698539

Deposit No. (Print): 1443/9173

ISSN (Print): 1658-9270

Deposit No. (Electronic): 1445/2699

EISSN: 1658-9831

Manuscripts must be sent to the managing editor at:

shcajournal@ksu.edu.sa

Website: <https://shcajournal.ksu.edu.sa/ar>

© King Salman's Center for Historical and Civilization Studies of Arabian Peninsula. 1447 AH (2026 AD).

All publishing rights are reserved. No part of the journal may be republished or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording, or via any storage or retrieval system, without written permission from King Salman's Center for Historical and Civilization Studies of Arabian Peninsula/King Saud University.

Journal of Studies in the History and Civilization of Arabia (SHCA)

A semi-annual refereed scholarly journal in the studies of the history and civilization of the Arabian Peninsula published in the months (October - March) by King Salman's Center for Historical and Civilization Studies of Arabian Peninsula at King Saud University. It is concerned with publishing researches, studies, book reviews, and abstracts of university thesis in Arabic & English.

Vision

Journal aspires to be an international, indexed, accessible electronically, and a pioneer in the field of research publishing in the history and civilization of the Arabian Peninsula. In addition to its endeavor to publish critical studies of the latest Arab and international publications on the history and civilization of the Arabian Peninsula.

Mission

The journal seeks to become a scientific reference for researchers and students of the history and civilization of the Arabian Peninsula, to provide them with knowledge and skills, based on Arab and Islamic culture, and human heritage.

Objectives

- Publishing refereed historical and cultural research in the field of history and civilization of the Arabian Peninsula.

Journal of Studies in the History and Civilization of Arabia (SHCA)

Peer-Reviewed Academic Journal, Published by

King Salman's Center for Historical and Civilization Studies of Arabian

Peninsula/King Saud University

General Supervisor

Prof. Ali Mohammed Masmali

President of King Saud University

Vice General Supervisor

Prof. Nayef Thunayan Al Saud

General Supervisor of King Salman's center for Historical and Civilization Studies of Arabian Peninsula

Advisory Board

Prof. John Hailey
Manchester University

Prof. Ahmed Al-Faya
King Khalid University

Prof. Mohamed Elkahlawy
Cairo University

Prof. Laila Nehme
Sorbonne University

Prof. Saad A. Sammar
Wasit University

Prof. Ahmed Boucharb
Hassan II University

Prof. Mody Abdullah Al-Sarhan
King Saud University

Editor-in-Chief

Prof. Solaiman Abdulrahman Altheeb

Editorial Board

Prof. Khaled A. Al-Bakr
King Saud University

Prof. Abdulrahmn A. Al-Ahmari
King Saud University

Prof. Ahmed M. Ameen
Fayoum University

Prof. Ahmed Al-Jallad
Ohio University

Managing Editor

Dr. Ahmed M. Atwa Abdelhamid

Secretary & Production

Mohammed S. Abdullah Abdulrahmn M. Al-Jadeed
Saud M. Al-Tamim

Journal of Studies in the History and Civilization of Arabia (SHCA)

Peer-Reviewed Academic Journal

Published by

King Salman's Center for Historical and Civilization Studies of

Arabian Peninsula

King Saud University

Volume 3, Issue No.2

March, 2026 AD/ Shawwal, 1447 AH.

<https://shcajournal.ksu.edu.sa/ar>
shcajournal@ksu.edu.sa



IN THE NAME OF ALLAH
THE MOST GRACIOUS, THE MOST MERCIFUL



Journal of Studies in The History and Civilization of Arabia SHCA

The Role of Al-Masjid Al-Nabawi in Strengthening the Reformist Mission Among the Scholars of the Algerian Muslim Association in the Early Twentieth Century
Prof. Boudalia Touatia

The Role of Al-Mahra in the Dhofar Revolution (1383-1402AH / 1963-1982 AD)

Dr. Samah Saeed Ali Yaslam Al-Azani

The Old Market in Dhamar City, Yemen: An Archaeological Civilizational Study
Dr. Mabrook Mohammed Al-Dhamari
Mr. Tariq Ahmed Al-Mohnish

New Qatabanian Dedication Inscriptions
Prof. Jamal Muhamad Nasir Al-Hasny

Reviews:

- Book Review: "In Defense of History"
Prof. Abdulrahman Abdullah Al-Ahmari
- Book Review: "The Masked History: A Critical Refutation of Arab Biblicalist Claims".
Prof. Ahmed Assirri
- Book Review: "Regulations for the Merchants of Sirwāh and the Alabaster Quarries of al-Mahdara (Yemen)"
Prof. Amida Sholan

